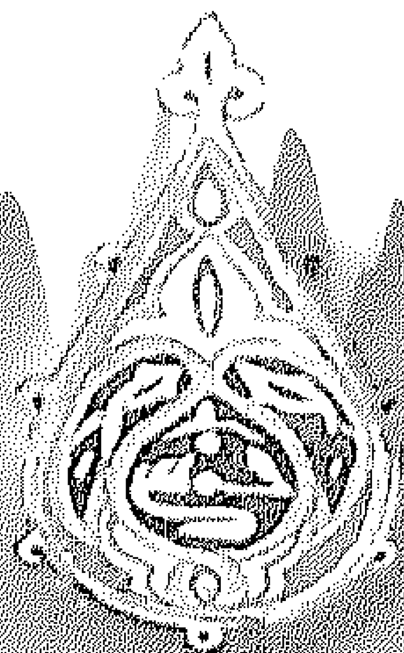
مملكة السموات

المسلمون في إنجيل متى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾



د. ممدوح جاد

مكتبة النافذة

مملكة السموات

المسلمون

فى إنجيل متى

د. ممدوح جاد

مكتبة النافذة

المسلمون فى إنجيل متى

د. ممدوح جاد

الطبعة الأولى / ٢٠٠٦

رقم الإيداع / ٩٩/٩٥٧٤

الترقيم الدولى / 977-19-9280-5

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

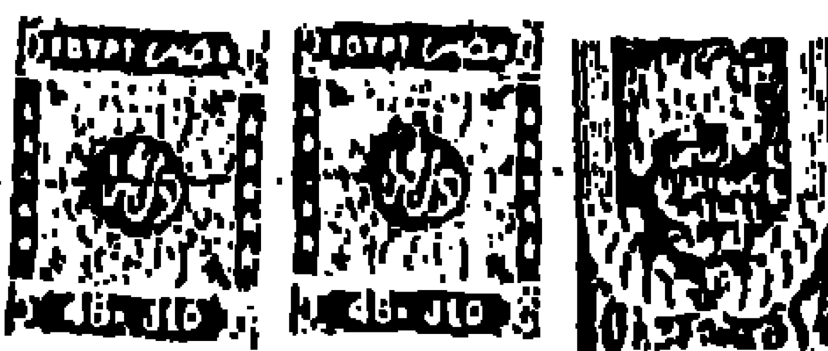
الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٢

Email : alnafezah@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة



نموذج رقم ١٧
AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

السيد / د. ممدوح محمد جبريل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : المسلمون في انجيل برنابا ...... تأليفكم : ....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
ادارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في ١١ / ٨ / ١٤١٨ هـ
الموافق ١١ / ١٢ / ١٩٩٧ م

١٢/١٥



المقدمة

في طريق المسلمين من مكة إلى المدينة بعد أن صدتهم قريش عن الحج وزيارة مكة فى العام السابق للفتح نزلت سورة الفتح لتعزى المسلمين الذين كان كثير منهم يشعرون بالمرارة لمنع قريش لهم من الحج ، وتم عقد صلح الحديبية الذى ظن الكثير من المسلمين الأوائل أنه صلح يغبن المسلمين ويحط منهم ولكن نزلت سورة الفتح ببشارات كثيرة بفتح مكة ومن دونه فتح آخر وكذلك بأن مثل المسلمين فى الإنجيل هو الزرع الذى أخرج ثمره أو سنبله واستخدم القران كلمة (الشطأ - شطأه) وهى كلمة فريدة تعنى الثمر أو السنبل، وبمعنى آخر هو النتيجة المرجوة من الزرع سواء كان قمحا أو غيره من الحبوب ذات السنابل والكيس حامل الحبوب أو زرع آخر يؤتى بثمر فكل مثل فى الأناجيل الموجودة لزرع يخرج ثمرا أو سنبلا هو مثل للمسلمين .

وقد ورد فى الأناجيل ثلاثة أنواع للزروع فى أمثال المسيح للناس :

١ ـ زرع لايخرج ثمرا لأنه لم يزرع بأرض جيدة.

٢- زرع لم يُخرج ثمره (شجرة تين باليه) وهذه الشجرة لعنها المسيح

٣- زروع تأتى بثمر (تين - قمح - خردل) وكانت كلها أمثلة يشرح بها المسيح رسالته التى جاء خصيصا بها وهى كما قال البشارة

(الإنجيل) بملكوت الله أو مملكة الله.

وإليك عزيزى القارىء ماورد فى الأربعة أناجيل (متى - مرقس - لوقا - يوحنا) عن مملكة الله والزرع وطريقة بشارة (إنجيل) المسيح بهذه المملكة التى قال القرآن عنها إنها مثل محمد﴿ﷺ﴾ والذين معه فى الإنجيل ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (٤٨ : الفتح : ٢٩) فترى من تلك الآية ان مثل أصحاب محمد ﴿ﷺ﴾هو مثل الزرع الجيد الذى يخرج الثمر ويستقيم على سوقه ويعجب الزراع فهو أحسن أنواع الزروع فى الإنجيل والجدير بالذكر أن مملكة المسلمين نمت بعد وفاة محمد ﴿ﷺ﴾ وما خرج الإسلام خارج جزيرة العرب إلا بعد وفاة محمد﴿ﷺ﴾ ومملكة المسلمين تمت فى عهد أصحاب محمد ﴿ﷺ﴾ أو الذين معه تأكيدا لدقة نبوءات القرآن ، وصدق محمد ﴿ﷺ﴾وهذا ما ورد عن تلك المملكة فى الأربعة أناجيل .

د. ممدوح جاد

الباب الأول

متى ومملكة الله



نستعرض معا فى هذا الباب كيف تناول الانجيلىّ (متى) مملكة الله وكيف وصفها وفهمها من أقوال المسيح عليه السلام ولنتناول الآيات بالترتيب كما وردت فى انجيله.

يوحنا المعمدان ومملكة الله

جاء على لسان يوحنا المعمدان :

« وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات . فإن هـذا هو الذى قيل عنه بأشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية أعدُّوا طريق الرب . اصنعوا سبلة مستقيمة» (متى ٣ : ١ -٣)

نرى من ذلك أن يوحنا كان يبشر بمملكة السماء وشريطة الإعداد لها هو التوبة .

وجاء من بعده المسيح طبقا لمتى وصرح بالأقوال التالية عن المملكة فى الإصحاح الخامس٣:

« طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » .

وفى (٥ : ١) «طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات » .

فهنا نجد أن ملكوت السموات سيكون لمن يخرج من وطنه مطرودا لأجل عقيدته الخيرة أى للمهاجرين فى سبيل الله . وفى نفس الإصحاح نجد وصية من المسيح لتلاميذه بأن يتمسكوا بالناموس (كتب اليهود المنزلة من قبله) وأوصاهم بأنه لن تزول كلمة من التنزيل حتى يتم كل شىء !! وأن من يُعلِّم الناس وينقض هذه الوصايا فسيدعونه فى مملكة السماء بأنه الأصغر والأحقر أما العظيم فهو الذى يعمل ويعلِّم الناس بما هو موجود فى التوراة والأنبياء

(متى : ٥ : ١٧ - ٢٠)

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ، فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلَّم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات . فإنى أقول لكم إنكم إن لم يزد برّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات ».

فمن أقوال يوحنا المعمدان ومن قول المسيح لتلاميذه : « فإنى أقول لكم إنكم إن لم يزد

برِّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » . نجد أن الملكوت أو تلك المملكة لم تكن قد أتت بعد وأن المسيح نفسه لم يكوِّنها أو يقول إنه يعطيها لأتباعه فى ذلك الوقت ، ولكن لابد من التوبة والتمسك بالتنزيل والشريعة وما هو موجود بكتب الأنبياء حتى يتمكن أتباع المسيح من دخول المملكة ، وسيأتى تفصيل المعلومات عن تلك المملكة فيما يلى :

المسيح يأمر أتباعه بالصلاة كى تأتى المملكة

قال المسيح لتلاميذه :

« فصلّوا أنتم هكذا أبانا الذى فى السموات ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض » (متى ٧ : ٩ - ١٠)

فنجد من تلك الآيات مفهومين :

١ - أن المسيح قد أمرهم بالصلاة لكى تأتى المملكة " ليأت ملكوتك "

٢ - أن المملكة ستجعل مشيئة الله محققة على الأرض كما هى صائرة فى السماء مما يؤكد أن المملكة ستكون قوية بحيث تطبق مشيئة الله وقوانينه أى شريعة الله .

ويكرر المسيح وصيته فى إنجيل متى بطلب مجىء المملكة فيقول :

« لكن أطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » (متى ٦ : ٣٣)

فهنا يأمرهم بعدم الاهتمام بالملبس والمأكل ولكن طلب المملكة واستعجال مجيئها وكل ذلك يدل على أن المسيح يبشر بمملكة تأتى بعده وليست له أو فى زمنه .

عدم إعطاء المقدسات للكلاب والخنازير

وصف المسيح الإغريق « اليونانيين » وصفا قاسيا وأوصى ألا يُعطوا شيئا من الدين لأنهم إن أخذوا منه سيضطهدوا أتباعه ويمزقونهم .

« لا تعطوا القدس للكلاب . ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم » (متى ٧ : ٦)

وفى مرقس وصف المسيح اليونانيين بأنهم كلاب ولا يصح لهم أن يأخذوا خبز الأطفال .

(مرقس ٧ : ٥ – ٩)

« لأن امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت به فأتت وخرّت عند قدميه . وكانت الامرأة (أممية وفى جنسها فينيقية سورية) ، فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها وأما يسوع فقال لها : دعى البنين أولا يشبعون . لأنه ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فأجابت وقالت له نعم ياسيد والكلاب أيضا تحت المائدة تأكل من فُتات البنين . فقال لها يسوع : لأجل هذه الكلمة اذهبى قد خرج الشيطان من ابنتك».

الكلام بين الأقواس « وكانت الامرأة أممية وفى جنسها فينيقية سورية » ليس له معنى وهو موجود فى كل نسخ الأناجيل الأصلية باليونانية أو النسخ السكندرية المصرية هكذا .

(وكانت الامرأة يونانية وسورية فينيقية بالمولد) ويعنى ذلك أن المسيح دعا اليونانيين بأنهم كلاب ، ومما سبق : (متى ٧ : ٦)

« لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم » . نرى أن المسيح منع أن يأخذ اليونانيون كلامه ووصاياه وبالتالى الإنجيل حتى لا يحرفوه ويضطهدوا من آمن بالمسيح وقد حدث ذلك وصارت المسيحية تؤمن بالعقيدة اليونانية القديمة . راجع كتاب « القرآن وتصديق التوراة والانجيل » فصل (العقلية الصليبية للحملة الفرنسية) للمؤلف .

وتعليق أخر لماذا كل النسخ من إنجيل مرقس تنص على أن المرأة المذكورة كانت يونانية بينما إنجيل مرقس باللغة العربية يقول إنها كانت أممية !! (مرقس ٧ – ٢٥ : ٣٠)

ولماذا تم تحريف كلمة يونانية إلى أممية مع أن كلمة أممية تسئ للمعنى وتقلل المفهوم إن لم تمح المفهوم تماما، وإذا وصف المسيح اليونانيين هكذا . فهل نقول إن اليونانيين هم مملكة الله .. لا يمكن!!

وأخر تعليق أن اليونانيين هم الذين أضافوا رسائل بولس إلى العهد الجديد وأعطوها مرتبة أعلى من كلام المسيح عندما تتعارض معه وقد تعارضت رسائل بولس كثيرا مع المسيح حتى أن كلام المسيح ينص على أن من عارض كلماته فى موضوع التمسك بالناموس، «الشريعة » والأنبياء ولم يقدس تلك الكتب وعارضها وكتب ذلك فى تعاليمه للناس فإن مملكة

الله ستدعوه بالأصغر ولن يعترفوا به ولذلك فإن المسلمين لا يعترفون بأن كلام بولس هو وحى من عند الله ولا يرون أن بولس (١) ذو شأن فى العقيدة المنزلة وهذا ما يوجد فى كتب التفاسير المسلمة فمثلا من كلام المسيح عن الشريعة « الناموس » وكتب الأنبياء قال :

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات »

متى : (٥ : ١٧ -١٩)

أما تعاليم بولس عن الناموس « الشريعة »:

١ - إنه ليس به بر وإنه يميت من يتبعه

« لأنى مت بالناموس للناموس لأحيا لله. مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى فما أحياه في الجسد فإنما أحياه فى الإيمان . إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى. لست أبطل نعمة الله . لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب »

(غلاطيه ٢ : ١٩ - ٢١) .

٢ - جميع أعمال الناموس تحت لعنة وأن لا أحد يكون بارا بأعماله والمسيح صار لعنة لأجل المسيحيين . حاشا لله وتغمد الله المسيح برحمته ولعن الله من لعنه

« لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها . المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة »

(غلاطيه ٣ : ١٠ - ١٣)

---

(١) اسمه الأصلى شاول وأطلق عليه تلاميذ المسيح (بولس) وهى تعنى الصغير . مما يعنى أن اسمه يطبق نبوءة المسيح عنه بأنه (الأصغر) هكذا عرفه التلاميذ وأطلقوا عليه الاسم الذى دعاه به المسيح دون أن يراه.

المسيح جاء ليبطل الناموس

وأخيرا مخالفة صريحة تلبس ثوبا جميلا فادعى بولس أن المسيح جاء ليبطل الناموس ويفتدى الناس من الناموس

« ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولودا من امرأة ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى» (غلاطيه ٤ : ٤ – ٦)

كلام غريب ولا تعليق سوى ذكر كلام المسيح مرة أخرى :

" لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات » (متى : ٥ : ١٧ – ٢٠)

وأما عن خلاف بولس (الأصغر) مع التلاميذ وقوله إنه رسول للأمم فالمسيح لم يأت إلا لبنى إسرائيل ونهى نهيا شديدا عن إعطاء الأمم أى شئ من رسالته بل يبشروهم فقط بقرب مجئ الملكوت فقال المسيح.

« لا تعطوا القدس للكلاب . ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم » (متى : ٧ :٦)

كما قال للمرأة التى لم تكن يهودية وسألته شفاء ابنتها بأنه لا يصح أن تأخذ الأمم شيئا من رسالته لأنه لم يرسل إلا إلى بنى إسرائيل . (متى : ١٥ : ٢١ – ٢٨)

« ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيداء وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمنى يا سيد يا ابن داود ابنتى مجنونة جدا فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة فأتت وسجدت له قائلة :

يا سيدى أعنِّى . فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فقالت : نعم يا سيدى والكلاب تأكل أيضا من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لك كما تريدين فشفيت ابنتها من تلك الساعة »

طلب الملكوت أهم من أى دعاء

أمر المسيح أتباعه بألا يهتموا بالمأكل والملبس والمشرب ولكن ان يطلبوا مجئ مملكه الله فجاء فى متى (٦ : ٣١ : ٣٣)

« فلا تهتموا . قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس ، فإن هذه كلها تطلبها الأمم لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » .

الأنبياء الصادقون ثمارهم جيدة والكذبة ثمارهم رديئة

حذّر المسيح أتباعه من الأنبياء الكذبة الذين يأتون باسمه وأخبرهم بأن الانبياء الصادقين ستكون ثمارهم جيده وهذا يعنى التبشير بأن هناك من سيأتى بعده ويضل الناس وذكر ايضا ان الذى يتمسك بالشريعه ويعمل بما يأمره الله هو الذى سيدخل الملكوت وحتى لايظن البعض ان الملكوت هو الجنه فى السماء سنورد فيما بعد مايؤكد انها مملكه على الارض وستعلن عن نفسها

« احترزوا من الانبياء الكذبه الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفه من ثمارهم تعرفونهم ، هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا ، هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة وأما الشجرة الرديئه فتصنع أثمارا رديئة لاتقدر شجره جيدة ان تصنع أثمارا رديئة ولا شجرة رديئه أن تصنع أثمارا جيدة.

كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار فإذا من ثمارهم تعرفونهم.

ليس كل من يقول لى يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ أصرخ لهم إنى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » . (متى ٧ : ١٥ - ٢٣)

ومن ذلك نرى :

١- تصريح المسيح بمجئ أنبياء بعده كذبة وصادقين وشبّه أمم الصادقين بزرع له ثمر جيد والوحيد الذى أعطى ذلك الوصف عن أمته هو القرآن فى وقت كان الإنجيل ممنوعا على غير رجال الدين المسيحى كما أن الإنجيل كان باليونانية وأول ترجمة عربية كانت بعد وفاة محمد ﴿ﷺ﴾ بمائتى ونيف من الأعوام فيأتى القرآن ويعطى وصف المسلمين بالزرع الجيد ذى الثمر فهو يعطى علامة صدقه أو الشفرة المتفق عليها أو كما يلطق بالعامية « الأمارة » .

٢- المسيح فى مجيئه الثانى سيتبرأ من فاعلى الإثم وهذا حال من ينسب نفسه إليه ويستبيح المحرّمات من زنى ولواط وخلافه الآن .

٣- المسلمون هم الزرع الجيد .. شريعتهم سمحاء فبرغم إيمانهم بكتب اليهود والنصارى وسيادتهم فى بلاد بها يهود ونصارى لم يجبروهم على أخذ تلك الكتب أو ترجمتها لهم وذلك فعله اليونانيون في الترجمة السبعينيه مع أنهم لم يؤمنوا بتلك الكتب. وعاش أهل تلك الأديان بحرية تامة وبنوا كنائسهم ومعابدهم ولم يجرؤ مسلم على إيذائهم لحديث الرسول ﴿ﷺ﴾ ووصيته « بأنه من آذى ذمياً فقد آذى محمداً ﴿ﷺ﴾ نفسه » وهذا ما لم يجده المسلمون عند تغلب أعدائهم عليهم فى الأندلس أو البوسنة وغيرها من البلاد.

بعض أبناء المملكة يدخلون النار

نص القرآن على أن العمل هو الأساس بعد الإسلام وأن الظالمين ومرتكبى الذنوب بلا توبة أمرهم إلى الله إما أن يعذبهم أو يغفر لهم ولكن كلٌّ سيُحاسَب على أعماله إن خيرا فخير وإن شرا فشر فجاء فى القرآن :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ (الزلزلة : ٧ - ٨)

وجاء :

وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ

سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ (الفرقان : ٧ -٦٣)

ويؤكد الإنجيلى متى ذلك فى إنجيله وإن كان المسيح فى تلك الآيات ينص بتعجب على أن بعض أبناء مملكة الله « أمة محمد» سيدخلون النار وينبذون خارج الجنة ففى متى: (٨ : ١٠ - ١٣)

« فلما سمع يسوع تعجب وقال للذين يتبعون . الحق أقول لكم لم أجد ولا فى إسرائيل إيمانا بمقدار هذا و أقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحاق ويعقوب فى ملكوت السموات وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية » .

والمسيح كان عمله الأساسى أن يبشر بملكوت الله ومجيئه .. والكلام فى هذه الآيات من آنجيل متى لا ينطبق على كل أبناء المملكة التى جاء ليبشر بها المسيح فلو كان كلهم سيطرحون خارج الملكوت فما جدوي بشارة المسيح بملكوتهم الذى هو فى الحقيقة مملكة يحكمها الله بقانونه وينفذه أبناء تلك المملكة .

وظيفة المسيح كانت التبشير بالمملكة «أمة محمد» والمعجزات جاءت لتثبت دعوته

جاء فى إنجيل متى أن المسيح كان يطوف بالمدن والقرى ليبشّر بمملكة الله (ولم يذكر أى عمل آخر له سوى ذلك) وكان المسيح يشفى المرضى حتى يقوّى إيمانهم بمجئ ذلك الملكوت فجاء فى متى (٩ : ٣٥ - ٣٨)

« وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت . ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب ولما رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها . حينئذ قال لتلاميذه الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون فاطلبوا من رب

الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده »

كما جاء نفس المعنى فى أوامره لتلاميذه بأن ينطلقوا إلى قرى اليهود فقط ليبشروا باقتراب مملكة الله التى ستكون فيها مشيئته « أوامره ونواهيه » مطبقة على الأرض كما هى فى السماء وأن يشفى التلاميذ المرضى ويقوموا بالمعجزات لتقوية إيمان الناس بمجئ المملكة فجاء فى متى (١٠ : ٥ – ٩) « هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا إلى طريق أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات اشفوا مرضى طهروا برصا . أقيموا موتى أخرجوا شياطين مجانا أخذتم مجانا أعطوا لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقكم » .

من ذلك نرى أن التلاميذ أيضا كانت الأوامر الصادرة لهم من المسيح عليه السلام بأن يذهبوا إلى كل قرى اليهود ومدنهم ليبشروهم باقتراب «وليس مجئ » مملكة الله وكانوا يفعلون المعجزات حتى يؤمن اليهود باقتراب تلك المملكة .

مجيء محمد سيكون واضحا ومعلنا

تفرق تلاميذ المسيح من بعده ولم يقدروا على إكمال تبشير كل المدن اليهودية واضطهدوا واخبرهم المسيح أن ابن الرجل محمد ﴿ﷺ﴾ سيأتى قبل أن يستطيعوا إكمال المدن اليهودية وهذا ما لم يفعلوه أو يستطيعوا تكميله وإتمامه والملاحظ أن المسيح كان يتكلم عن محمد ﴿ﷺ﴾ بابن الرجل حتى يُفرِّق بينه وبين محمد لأن المسيح لم يكن له أبا من الرجال لذلك فإن " قال ابن الرجل" فهو بالقطع لم يكن يقصد نفسه أو يعنى بذلك أن يكون السيد المسيح وإلا كان كاذبا « حاشا لله » أو كان يعانى من عقدة عدم وجود أب له « حاشا لله » وتنزه السيد المسيح عن ذلك فقد جاء فى متى : (١٠ : ٢١ – ٢٨)

« وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإنى والحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان . (ابن الرجل فى باقى تراجم الإنجيل) ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد

أفضل من سيده يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول. (إبليس) فكم بالحرى أهل بيته.. فلا تخافوهم لأن ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفى لن يعرف الذى أقوله لكم فى الظلمة قولوه فى النور والذى تسمعونه فى الأذن نادوا به على السطح ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها"

واضح أن المسيح يتكلم عن أنه بعد إضطهاد تلاميذه سيأتى ابن الرجل الذى يعلن أنه مكون وقائد للمملكة التى يبشر بها المسيح وسيكون حازما فى تطبيق القوانين الربانية كما سيأتى فيما بعد ولم يعلن أحد منذ مجئ المسيح إلى الآن أنه قائد لمملكة الله وأن أمته هى تلك المملكة إلا محمد ﴿ﷺ﴾ وذلك فى نبوءة الله له فى القرآن . ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (الفتح : ٢٩)

فلا يوجد أى مثل لزرع جيد فى الأربعة أناجيل سوى مملكة الله التى كان يبشر المسيح بقدومها وقال إنها لن تكون خفية ولكن واضحة وإنها ستعلن عن نفسها وقد حدث فلم لا يصدق أتباع المسيح المسيح عليه السلام ؟!

الأنبياء نسبت نفسها لأمة محمد

أخبر المسيح بأن الأنبياء كانوا ينسبون أنفسهم إلى أمة محمد وكذلك أخبر القرآن فقال المسيح ذلك فى متى عندما أرسل له يوحنا ليسأله .. هل هو الآتى أم ننتظر آخر؟ أى هل هو النبى الذى سيكوّن المملكة أم هناك آخر بعده ؟ فأخبره المسيح بحكمة بالغة وفهم كامل بالعهد القديم أنه هو الذى يشفى المرضى ويجعل العرج يمشون والعمى يبصرون وأى دارس للعهد القديم سيفهم ما يقصده المسيح فكان رد المسيح ليوحنا المعمدان عليهما السلام بالشفرة أو بالكود الذى يوجد فى أشعياء والذى يعرفه تماما كل من يوحنا والمسيح عليهما السلام ففى أشعياء سيجئ من يشفى وتكون له معجزات وسيُظلم من الناس ويأتى بعده العبد المستقيم محمد ﴿ﷺ﴾ الذى يكون المملكة فكان رد المسيح على يوحنا على درجة عالية من البلاغة فيوحنا كان يتمنى أن يكون المسيح هو الملك حتى يفك سجن يوحنا ولكن المسيح أخبره بأن حاله أسوأ من حال يوحنا فهو المسيح الذى سيشفى الناس ويظلمونه ، فجاء فى متى :

(١١ : ١ - ٦)

« ولما أكمل يسوع أمره لتلاميذه الإثنى عشر انصرف من هناك ليعلم ويكرز فى مدنهم ، أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر . فأجاب يسوع وقال لهما إذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشّرون وطوبى لمن لا يعثر فىّ »

وواضح هنا أن المسيح رد على سؤال يوحنا ولكن بهذه الطريقة لا يفهم أحد الرد لأن المسيح أخبرهما « والمساكين يبشّرون وطوبى لمن لا يعثر فى »

أى أنه طوبى لمن لا يخطئ فى المسيح ويظنه النبى الآخر المنتظر الذى سينقذ المساكين كما كان المسيح يَعِدُ أصحابه بالفرج عندما يأتى ابن الرجل أو ابن الإنسان محمد ﴿ﷺ﴾ فقال ليوحنا « والمساكين يبشّرون » أى أنه يبشرهم فقط أما منقذهم فهو آخر وأن المسيح هوالذى يشفى فقد جاء فى أشعياء حلا لتلك الشفرة التى رد بها المسيح على يوحنا وقد صرح المسيح فى مواضع كثيرة أنه يتكلم بحكمة ومن له فهم فليفهم جاء فى أشعياء (٥٣ : ١ - ٢١)

« من صدّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا « وأخفينا كما قدّر أوجها منه » محتقر فلم نعتد به .

ولكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جاذيها فلم يفتح فاه من الضغطه ومن الدينونة أخذ وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبى وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فمه غش .

أما الرب فسر بأن يسحقة بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح من تعب نفسه يرى ويشبع . وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو

يحملها لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمه »

فهنا رغم سوء الترجمة - راجع الترجمة الصحيحة فى كتاب « المسيح فى الانجيل بشر » للمؤلف باب « التوراه تنفى قتل أو صلب المسيح وتبشر بمحمد » - يتضح أن هناك العبد البار الذى يأتى بعد الذى يشفى الناس حتى بثيابه ويأتى ذلك العبد ويبرر ويقوم كثيرين ويقسم الغنائم مع العظماء.

وبمطالعة الإنجيل فى الحوار الذى دار بين السيد المسيح والتلميذين اللذين أرسلهما له يوحنا المعمدان نجد أن المسيح قد ردّ ذلك الرد البليغ على يوحنا وعلى الفور أخبر تلاميذه بأن أبناء تلك المملكة سيكون كثير منهم أعظم من يوحنا وأن جميع الأنبياء كانت تغتصب لنفسها حق الإنتساب لتلك المملكة فجاء فى متى (١١ : ٢ - ١٥)

« أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه. وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا وأخبرا بما تسمعان وتنظران العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يُطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشّرون وطوبى لمن لا يعثر فىّ وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا أقصبة تحركها الريح. لكن ماذا خرجتم لتنظروا إنسانا لابسا ثيابا ناعمة. هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبيا نعم أقول لكم وأفضل من نبى فإن هذا هو الذى كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيئ الطريق قدامك. الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى من له أذنان للسمع فليسمع » .

فنرى من ذلك أن الملكوت من أيام كل الأنبياء إلى يوحنا والمسيح كان يختطف ويغتصب أى أنهم كانوا يتنبأون به وينسبون أنفسهم غبطة وفرحا إليه وهذا ما جاء فى القرآن فى الآيات التالية :

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)

(٢ : البقرة : ١٢٧ - ١٢٨)

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) (٢ : البقرة : ١٣٠ - ١٣٣)

وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤)

(يونس : ٨٤)

وعلى لسان سليمان :

قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) (النمل : ٤١ - ٤٢)

المسيح يخشى من معجزاته

كان المسيح عليه السلام متواضعا رقيق الحال ويخشى إظهار معجزاته لأنه يعلم أنهم سيتخذونه إلها لذلك نراه بعد عمل المعجزات يرجو الناس ألا يذيعوا خبر المعجزات وفى إنجيل متى نرى الإنجيلى متى يذكر لنا سبب طلبه الغريب من الناس ألا يظهروا معجزاته وذلك حتى يتم مجئ محمد ﴿ﷺ﴾ لعله يجد إيمان الناس لم يضل ويعبدوا المسيح بدلا من الله لأن عزاء المسيح كان دائما هو مجئ محمد ﴿ﷺ﴾ الذى يخبر الناس بحقيقة المسيح فكان المسيح يرجو أن يكون مروره بالحياة هينا ولا تغالى الناس فى قدره وأن يكون عدد من سيتخذونه إلها أقل ما يمكن حتى يجئ الرسول﴿ﷺ﴾ ويجد بعض الإيمان .. وفى متى : (١٢ : ١٤ - ٢١)

« فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكى يهلكوه . فعلم يسوع وانصرف من هناك وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعا وأوصاهم أن لا يظهروه لكى يتم ما قيل باشعياء النبى القائل هو ذا فتاى الذى اخترته حبيبى الذي سُرت به نفسى أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيله مدخنة لا يطفئ حتى يخرج الحق إلى النصر. وعلى اسمه يكون رجاء الأمم »

ومن غير المعقول أن يكون المقصود بفتاى فى هذه الآيات من أشعياء فى إصحاحه الثانى والأربعين هو المسيح لأن المقصود فى هذا الإصحاح فى الآية الرابعة .

« لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته »

والمسيح لا ينطبق عليه قول أشعياء :

« ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض »

كما أن المقصود فى هذا الإصحاح سيحارب وينتصر على أعدائه .. ففى الآية :

(٤٢ : ١٣) من أشعياء

« الرب « السيد » كما لجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته ليهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه»

ومعروف أن المسيح لم يحارب ولم ينتصر على أعدائه ولكن محمد ﷺ فعل وهو من الديار التى سكنها قيدار ابن اسماعيل أى من نسله ففى آية (١١) من نفس الإصحاح :

« لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التى سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا »

وسالع مدينة بالجزيرة العربية كما أن فى الآية (١٢) ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر، والجزائر هى ترجمة لكلمة أرض الشواطئ أو الجزيرة العربية ويعتقد المسيحيون أن المسيح هو الله متخذا جسدا أو المسيح هو الإله المتأنس ، وإن كان لا يوجد هذا فى الإنجيل راجع كتاب «المسيح فى الإنجيل بشر» وهذه الآيات تتحدث عن عبد الله ورسوله .

ففى أشعياء : (٤٢ : ١)

« هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى وضعت عليه روحى فيخرج الحق للأمم»

فهنا عبد الله وضع عليه روحه « جبريل بالقرآن » ولا يظن إلا ساذج أن الله له روح وجسد وأن له روح كأرواحنا دونها يصير جثة.. فتعالى الله الذى لا نعلم كل أمور مخلوقاته فكيف بنا سنعرف ذاته ؟! ولكن الروح هنا «روحى» روح يملكها الله وليست روح الله نفسه كروحنا سبحانه خالق غير مخلوق واجب غير محدث فى وجوده.

وكما تشير باقى آيات أشعياء عن العبد ودوام استعمال كلمة العبد توضح للإخوة المسيحيين خطأ اعتقادهم بأن المسيح هو الله كما أن المقصود بها آخر سيخرج الحق للأمم لأنه كما أشرنا من أقوال المسيح أنه أخبرنا بأنه رسول لخراف بيت اسرائيل ونهى عن إعطاء الأمم « الكلاب والخنازير كما وصفهم » شيئا من رسالته وإن كانت أواخر الأناجيل تقول : إنه بعد صلبه وقيامة رفعه أمرهم أن يكرزوا الأمم بشارة الملكوت أى بمجئ محمد ﴿ﷺ﴾ ولكن هذا لا يعنى الدعوة لدخول الدين فقط إخبار الأمم عن محمد ﴿ﷺ﴾ كذلك كل هذه الروايات عن الصلب والقيامة مأخوذة عن يوحنا ومريم المجدلية وهى بنص الإنجيل كانت الزانية التى أمر المسيح اليهود بعدم رجمها قائلا :

" من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر" وهى التى سكبت الطيب على المسيح ولكن هذا لا يضعها فى مرتبة التلاميذ كما لا يجعلها حجة فى الرواية وينطبق عليها قول الرسول ﴿ﷺ﴾ :

« خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام » .

فهى كانت تزنى فى يهوديتها فهل صارت قديسة وصادقة بعد المسيح وإن كان ذلك والله أعلم فلماذا انفردت دون التلاميذ بروايات الصلب والقيامة وما لازمها !!!

ومن الإصحاحين الثانى والأربعين والثالث والأربعين اللذين أشار إليهما متى تكرر الحديث عن عبد الله الذى يخبر الأمم بالحق ويخرجه لهم أى رسول الأمم ومعروف أن كل منا لا يختار اسمه واسم أبيه واسم محمد ﴿ﷺ﴾هو محمد عبد الله أى أن اسمه نفسه هو خبر صادق عن كونه العبد المشار إليه فى أشعياء وهو كما أشرنا لم يختر ذلك الاسم ولكن خلق به فهل هى مصادفة أن يكون اسمه مطابقا لوصفه فى أشعياء ونص الإصحاح ٤٢ بأشعياء

« هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يسمع فى الشارع صوته قصبه مرضوضة لا يقصف وفتيله خامده لا يطفىء إلى الأمان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته .

هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا. أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين

في الظلمة.

أنا الرب هذا اسمي ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات. هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها قبل آن تنبت أعلمكم بها . غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها لترفع

البرية ومدنها صوتها الديار التى سكنها قيدار . لتترنم سكان سالع من رءوس الجبال ليهتفوا . ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر .

الرب « السيد » كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوي علي أعدائه قد صمت منذ الدهر سكت تجلدت كالوالدة أصيح أنفخ وأنجز معا أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبسا وانشّف الأجَاَمَ وأسير العمى فى طريق لم يعرفوها. فى مسالك لم يدروها أمشيهم. أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم قد ارتدوا إلى الوراء يخزي خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا.

أيها الصم اسمعوا أيها العمى أنظروا لتبصروا من هو أعمى إلا عبدى وأصم كرسولى الذي أرسله من هو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب ناظر كثير ولا تلاحظ مفتوح الأذنين ولا يسمع الرب قد سرّ من أجل بره يعظم الشريعة ويكرمها. ولكنه شعب منهوب ومسلوب قد اصطيد فى الحفر كله وفى بيوت الحبوس اختبأ صاروا نهبا ولا منقذ وسلبا ولیس من يقول ردّ » .

معجزة الشفاء تبشر بالملكوت

قال المسيح للفريسيين « طائفة من علماء اليهود المتمسكين بالشريعة وكتب اليهود »

« ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله ».

(متى ١٢ : ٢٨)

فهنا يتجادل المسيح مع الفريسيين فلابد أن يكلمهم بما يعرفونه جيدا وهى الكتب التى لديه فما هى علاقة الملكوت بالشفاء وما علاقة ذلك بكتب اليهود التى يؤمن بها الفريسيون فلو

رجعنا لأشعياء (٥٣) لعرفنا قصد المسيح ففى أشعياء يجىء الرجل الذى يشفى المرضى والناس لاتفهمه الفهم الصحيح وتؤله وتجرحه ويكون رجل أوجاع ولكنه يقوم بالشفاء حتى بأجزاء من ثيابه ، وبمعرفته على حقيقته يأتى العبد المستقيم بعد أيام طويلة ويقوِّم شعوبا كثيرة ويدخل الكثير فى الدين .. أى بمعنى أصح أن العبد المستقيم الذى يعرف المسيح المعرفة الحقة سيكوِّن المملكة أو كما تسمى فى التراجم العربية الملكوت الذى أشار إليه هنا المسيح فى كلامه مع الفريسيين راجع ذلك تحت عنوان « كل الأنبياء نسبت نفسها لأمة محمد ﴿ﷺ﴾ » فى هذا الكتاب وتحت عنوان « التوراه تنفى قتل أو صلب المسيح » فى كتاب «المسيح فى الإنجيل بشر » ونص أشعياء :

« من صدَّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة لاصورة له ولاجمال فننظر فنشتهيه . محتقر ومخذول من الناس . رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستتر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به .

لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولاً . وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا مِلْنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا ، ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه .من الضغطه ومن الدينونة أخذ . وفى جيله من كان يظن أنُه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبى .وجعل من الأشرار قبره ومع غنى عند موته . على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن فى فمه غش . أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحه إثم . يرى نسلاً تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح من تعب نفسه يرى ويشبع وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها . لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمه من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع إثمة وهو حمل خطيه كثيرين وشفع فى المذنبين »

(أشعياء : ٥٣)

أما ترجمة نسخة الملك جيمس الأصلية لهذا السفر فهى :

« من الذى صدق كلامنا ؟ ولمن تكشفت ذراع الرب ؟ لأنه سوف ينمو أمامه . كنبات نضير وكجذر خارج من أرض جافه لم يكن له هيئة أو حسن . وعندما نراه دون جمال كما وجب أن نريده . يحتقر وينبذ من الرجال .رجل ذو أسف متقابل مع الحزن وأخفينا كما قدر أوجها منه . كان محتقرا ولم نعزه وبالتأكيد فقد تحمل أحزاننا وحمل أسفنا إلا أننا قدرناه

مصابا ومبتلا من الله ذليلا ولكنه جرح بسبب تعدياتنا وسحج بسبب ظلمنا والتأديب لأجل راحتنا كان عليه . وبسيوره نشفى . كلنا كغنم صارت ضاله وقد تحول كل واحد إلى طريقه والرب قد أركن « أعد » عليه ظلم جميعنا . قهر وكان ذليلا لكنه لم يفتح فاه . أقتيد كحمل للذابح وكشاه أمام جازيها صامته . وهكذا لم يفتح فاه . أخذ من السجن والمحاكمة ومن الذى يعلن إلى جيله ؟ أنه قد اقتطع من أرض الأحياء ؛ وبسبب تعديات شعبى كان مصابا . وهم جعلوا قبره مع الشقى ولكن مع الغنى عند موته . لأنه لم يعمل أى عنف ولم يكن فى فمه غش.

إلا أنه قد سرُ الرب أن يسحجه . وضعه للحزن عندما تجعلوا روحه قربانا للخطيئه سيرى بذره وستطول الأيام . ومسرة الرب ستزدهر في يده . سيرى كدّ روحه كن راضيا .

بمعرفته عبدى المستقيم سيقوِّم كثيرين لأنه سيحمل عنهم إصرهم لذا سأقسم له نصيبا مع العظيم وسيزهق الباطل بالقوى لأنه أهرق روحه حتى الموت وحسبوه مع المعتدين » .

يلاحظ من الترجمتين ما يلى :

١- أن الناس لم تصدق كلام الله فى أشعياء عن الذي تكلم عنه .. «المسيح» فتم افتتاح الأصحاح بـ «من صدق خبرنا» فى ترجمه الشرق الأوسط و «من صدق كلامنا» فى ترجمة الملك جيمس.

٢- يأتى الخبر عن الرجل الأول الذى يعانى ويحتقر وينبذ من الرجال ويكون مسحوقا «بالطبع نفسيا» من أجل آثامهم ومتألما «إذ يجعلوا روحه قربانا للخطيئه » كما فى عقيدة الخلاص المتمثله فى أن المسيح هو الذبيحه التى كفرت عن البشر خطاياهم كما أنه له قدرات من الله أنعم بها عليه لإحياء الموتى وعمل المعجزات « لمن تكشفت ذراع الرب » كما وهب أيضا القدرة على الشفاء حتى بثيابه « بحبره شفينا » و « بسيوره نشفى » وأن هناك أمورا منه ستخفى حتى على جيله « وأخفينا كما قدر أوجها منه » التى جاءت ترجمتها « كمستتر عنه وجوهنا » فى نسخة الشرق الأوسط. وأن أمر وفاته فيه قولان وشبهات حتى على جيله:

وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ (النساء : ١٥٧)

هذا ما جاء في القرآن بأن الأمر شُبّه لهم والتبس عليهم .

أما فى نسخة الملك جيمس « ومن الذى يعلن إلى جيله ؟ أنه أقتطع من أرض الأحياء وبسبب تعديات شعبى كان مصابا »

فواضح هنا أن ماجاء بأشعياء عمن سيعلن إلى جيل المسيح ومن بعدهم أنه أقتطع من الأرض حيا ومع ذلك جعل له الناس شخصا غنيا - يوسف الرامي - مدعين أنه دفنه «لكن مع الغني عند موته » .كما أنهم جعلوا له قبراً مع الشقى ذلك هو الكلام عن الشخص الذى لم يصدقه الناس لذا إبتدأ السفر بـ «من صدق كلامنا » أو من صدق خبرنا .

٣- أن روح ذلك المسجون بآثام الناس المجروح من معاصيهم عندما اتخذوه قربانا لخطاياهم روح ذلك الشخص ستفرح يوم ولادة محمد ﴿ﷺ﴾ وأمته ويطمئنه الله بها كما فى « يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح من تعب نفسه يرى ويشبع وعبدى المستقيم بمعرفته يبرر الكثيرين » فنرى فى ترجمة الشرق الأوسط أن المسيح سيرى النسل الذى يتعب ويغزو وتكون أمته قوية تنجح وتشبع بعد تعبها بقيادة العبد المستقيم ، أما فى ترجمة الملك جيمس فنرى معان جديدة لنفس الفقره توضح الكثير « سيرى بذره وستطول الأيام ومسرة الرب ستزدهر فى يدها. سيرى كدّ روحها كن راضيا بمعرفته عبدى المستقيم سيقوم الكثيرين »

فنرى من ترجمة الملك جيمس أن المسيح سيرى بذرة النسل التى ستسر الرب ويرى كدّ روحها بعد أيام طوال والله يخبر أن المسيح سيكون راضيا لأن العبد المستقيم محمد ﴿ﷺ﴾ سيقوم الكثيرين ويضع آثامهم التى اعتقدوا فيها أن المسيح هو قربان للخطيئة .

٤- ويأتى الكلام عن العبد المستقيم أو الشخص الثانى فى هذا الإصحاح الذى جاء فى أوله « من صدق كلامنا » أى من صدق كلامنا عن المسيح وعن محمد ﴿ﷺ﴾ العبد المستقيم الذى يصحح فكرة الناس عن المسيح ويعرفهم معنى ملكوت الله ويخبرهم أنه أمته . ولكن كما قال المسيح لتلاميذه:

« لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات وأما لأولئك فلا»

(متى ١٣ : ١٢)

وكما قال فى لوقا: (٤ : ١٠ - ١٢)

« ولما كان وحده سأله الذين حوله مع الإثنى عشر عن المثل فقال لهم قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شىء . لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم » .

(لوقا ٤ : ١٠ -١٣)

فمن كلام أشعياء وخطاب المسيح لتلاميذه نرى أن ملكوت الله « مملكة الله » ستكون صعبه الفهم على غير التلاميذ . وتلاميذ المسيح وبعضهم كتبة لبعض الأناجيل قد وضّحوا الأمثال التى ضربها المسيح . أما باقى الناس غير التلاميذ فلن يفهموا معنى كلمة مملكة الله حتى مع الأمثال وحتى بعد مجيء محمد ﴿ﷺ﴾ وإعلانه لهم أنه هو المقصود بهذا المثل .فقال المسيح عن فهم غير التلاميذ للمملكة « وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء . لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم ».

ومن العجيب أننا لو سألنا عددا من الإخوة المسيحيين عن معنى كلمة « مملكة الله أو ملكوت الله » لأجاب كل واحد بإجابة مختلفة أى أنهم للآن وبعد ألفى عام من ولادة المسيح عليه السلام لم يعرفوا لماذا جاء ....!!!! لأن وظيفته الأساسية الواضحة فى الأناجيل هى التبشير بتلك المملكة . إن إخواننا المسيحيين يصلُّون دائما لكي تاتى تلك المملكة التى ستطبق شريعة الله فى الأرض كما هى فى السماء فقد أمرهم المسيح بالصلاة وطلب مجيئنا نحن المسلمين وعندما جئنا حاربونا وشوهوا صورة نبينا عليه الصلاة والسلام فقال المسيح :

(متى ٦ : ١٠)

« فصلوُا أنتم هكذا أبانا الذى فى السموات ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيتتك كما فى السماء كذلك على الأرض » .

وفى لوقا : (١١ : ٢)

« فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذى فى السموات . ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ».

كما أن المسيح صرح بوضوح بأنه مرسل فقط لكى يبشر بالملكوت ومملكة الله ففى لوقا

(٤ : ٤٣ ، ٤٤)

« فقال لهم إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت . فكان يكرز فى مجامع الجليل ».

فنرى هنا أن المسيح يصرح بأنه لم يرسل إلا لكى يبشر بالملكوت ولكن الإخوة المسيحيين

يعتقدون أنه جاء ليتم صلبه كفارة عن خطايا البشر مستندين إلى أقوال بولس ورسائله وكتاباته مع أنه لم يكن من تلاميذ المسيح ولا حتى رآه . فقط رأى رؤيا فصار يعلم بما يراه دون حتى أن يقابل أحداً من تلاميذ المسيح إلا بعد سنوات من تعاليمه فصار بولس مصدقا لديهم أكثر من المسيح فإن قال المسيح أنه جاء فقط ليبشر بمملكة الله لم يعرف المسيحيون ما هى المملكة ولم يصدقوا القرآن بأنها المسلمون على كافة العصور . فلا يصدقوا المسلمين ولا المسيح ، فقط يصدقون بولس فى قوله إن المسيح هو مثل خروف ذبيحه الإثم لدى اليهود ولكنه لكل البشر و فى معتقد بولس والمسيحيين الآن أن المسيح جاء ليكون ذبيحه أما كلام المسيح بأنه جاء ليبشر بمملكة الله وأن هذه فقط هى كل رسالته لم يصدقوه وضربوا بكلامه عرض الحائط ولكن بولس هو المصدق دائما .. !!

الباب الثاني

زرع أخرج شطأه

كلمة السر الزرع المثمر

لقد أرسل المسيح ليبشر بمملكة الله « فقال لهم إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت .فكان يكرز فى مجامع الجليل » .

(لوقا ٤ : ٤٣ – ٤٤)

ونوالى عرض كيف تناولت الأناجيل شرح الملكوت ، فجاء فى (متى ١٣ : ١ – ١١)

« فى ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس عند البحر . فاجتمع إليه جموع كثيره حتى إنه دخل السفينة وجلس والجمع كله وقف على الشاطىء . فكلمهم كثيرا بأمثال قائلا هوذا الزارع قد خرج ليزرع وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فجاءت الطيور وأكلته . وسقط أخر على الأماكن المحجرة حيث لم تكن له تربه كثيره فنبت حالا إذ لم يكن له عمق أرض . ولكن لما أشرقت الشمس احترق . وإذ لم يكن له أصل جف . وسقط اخر على الشوك فخنقه وسقط أخر على الأرض الجيده .فأعطى ثمراً . بعض مئة وأخر ستين وأخر ثلاثين . من له أذنان للسمع فليسمع .

فتقدم التلاميذ وقالوا له لماذا تكلمهم بأمثال . فأجاب وقال لهم لأنه قد أعطى لكم إن تعرفوا أسرار ملكوت السموات وأما لأولئك فلم يعط » .

يتضح من كلام المسيح هنا أن هناك مشكلة فى فهم الناس للملكوت وأن التلاميذ فقط هم الذين سيفهمونه ولأن فهم الملكوت مشكلة قال المسيح « من له أذنان للسمع فليسمع » بعد أن ضرب مثل الزرع ولم يحدد أى نوع ولكنه خص الملكوت بأنه الزرع الذى يخرج ثمراً وقد كانت كلمة الزرع الذى يخرج الثمر مهمة جداً عنده حتى أنه قال بعدها « من له أذنان للسمع فليسمع » لماذا ؟ لأنها كلمة السر أو الإشارة أو بالدارجة « الأمارة » التى سيأتى قائد تلك المملكة ويقول: إنه وأصحابه هم المملكة ويقول لهم كلمة السر المذكورة فى الإنجيل « نحن الزرع الذى يخرج الثمر » ولم يكن المسيح ليرهق نفسه هباءً إلا لعلمه أنه حتى بعد مجىء محمد ﴿ﷺ﴾ وإعطائه لهم كلمة السر « بأنه وأصحابه هم الزرع الذى يخرج الثمر » فلن يصدقوه بدليل أنه يوجد حتى الآن أكثر من طائفة تحمل الإنجيل وتعتقد فيه ولا يصدقون أقوال المسيح الذى قال لهم إن المملكة عندما تأتى ستعلن عن نفسها وتكون واضحة ولم يعلن

أى من معتنقى المسيحية أنهم المملكة ولكن بعضهم يظن أنهم هم مملكة الله ، والبعض الآخر يظنون إنها فى السماء . فإن ظن المسيحيون أنهم أعضاء تلك المملكة فأين الإعلان عنها وأين الرجل الذى سيأتى بقوات وملائكة ليحققوا تلك المملكة والشريعة فجاء فى لوقا.

(٢١ : ٧ - ٣٠)

« وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحابه بقوة ومجد كثير. ومتى بدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب وقال لهم مثلا انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار ، متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب » .

من هنا نرى أن المسيح بعد أن قال فى الآيات السابقة لهذه الأيات إن المملكة ستأتى بعد وقت كبير يشرح لهم أن هناك رجلا « ابن الإنسان » وفى الترجمة الإنجليزية « ابن الرجل » والمسيح لم يكن له أبأ من الرجال فلا ينطبق وصف ابن الرجل عليه - سيأتى ومعه قوات ويكون على يديه وعلى يد قواته خلاص البشر وأعطاهم كلمة السر « أنظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب »

فهنا المسيح يعطى مثلا بكل الزروع ولم يعلن أحد على مر العصور بأنه ذلك الزرع وذكر كلمة السر وأنه المقصود بكلام المسيح إلا الرسول ﴿ﷺ﴾ وهو لم يكن عالما بالإنجيل ولم يكن الإنجيل قد ترجم إلى العربية بل كان باليونانيه ومحمد ﴿ﷺ﴾ لم يقرأ أو يكتب فى العربية - حتى الرسالة - فهل يمكنّه ذلك من تلك المعرفة القوية بما صعب فهمه على معاصرى المسيح.

ويأتى محمد ﴿ﷺ﴾ ويقول القرآن ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

(الفتح : ٢٩)

فيأتى بمثل المسيح كما ذكره بمنتهى الدقة فأى مثل فى الإنجيل لكل زرع يخرج ثمرا جيدا هو مثله وأصحابه فى الإنجيل ويضرب المسيح المثل « شجرة التين وكل الأشجار » فهل هذه مصادفة .. وهل أيضا من المصادفة أن يحقق المسلمون اكبر مملكة فى التاريخ فوق الألف والمائتى عام هى عمر الخلافة الإسلامية حتى انتهائها على يد مصطفى كمال أتاتورك فى العقد الثالث من القرن العشرين « ١٩٢٤ » فلم تدم مملكة فى تاريخ البشر تلك الفترة لذا صارت تلك المملكة هى بحق « ملكوت » أى ملك كبير مستمر . وهل من المصادفة أن يدعى حاكم تلك المملكة الخليفة » أو « خليفة خلفاء رسول الله » أى أنه يحكم بعد الرسول الآتى

من الله ويحكم بشرع الله .

أما عن إعلان القرآن بأن المسلمين هم الزرع الذى يخرج الثمر فلم يسبقهم أو يأتى بعدهم من أعلن ذلك والمسيح قال إن الملكة عندما تأتى ستكون واضحة وضوح البرق فى السماء وستعلن عن نفسها فقال فى (مرقس ٤ :٢٠ - ٢٣)

« وهؤلاء هم الذين زرعوا على الأرض الجيدة الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها ويثمرون واحد ثلاثين وآخر ستين وآخر مئه .

ثم قال لهم هل يؤتى بسراج ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير . أليس ليوضع على المنارة . لأنه ليس شيء خفى لا يظهر ولاصار مكتوما إلا ليعلن . إن كان لأحد أذنان للسمع فليسمع » .

واضح هنا أن الإعلان شرط فى المملكة « ولاصار مكتوما إلا ليعلن إن كان لأحد أذنان للسمع فليسمع » وأشرنا من قبل أنه من المعجزات ألا يعلن أحد إلا القرآن قبل تكوين مملكة المسلمين وفى أشد لحظات الضيق أن محمدا ﴿ﷺ﴾ والذين معه هم تلك المملكة وقد حدث ذلك واستمر الفا ومئتا عام أما فى لوقا فقد ورد نفس المعنى : (لوقا ٨ : ١٥ - ١٧)

« والذى فى الأرض الجيدة هو الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها فى قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر .وليس أحد يوقد سراجا ويغطيه بإناء أو يضعه تحت سرير بل يضعه على مناره لينظر الداخلون النور لأنه ليس خفى لايُظهر ولا مكتوم لا يُعلم ويعلن » .

متى والزرع الذي أخرج شطأه

أورد الإنجيلى متى أمثله كثيره للزرع الذى أخرج الثمر أو السنبلة . وقد أورد أن المسيح كانت مهمته الأساسية هى التبشير بمملكة الله التى كانت كل أمثلة الزرع المثمر تُضرب لها فى الأناجيل (متى - مرقس - لوقا) ومن هذه الأمثال التوضيحية نرى أن الأمثال التى وردت عن ملكوت الله « مملكة كبيره تستمر طويلا » كل هذه الأمثلة لا تنطبق إلا على المسلمين وإن حاول أحد تطبيقها على غيرهم لا ينطبق البعض عليهم ويستحيل تطبيق باقى الأمثلة ولكن كل هذه الأمثلة تنطبق على المسلمين والمسلمين فقط بالإضافة إلى شرط الأعلان الذى ذكره المسيح ونقلناه من قبل وهكذا نرى أنها معجزه إلهية نص عليها سفر أشعياء بأن الله يذكر

لنا على لسان أنبيائه كل ما سيحدث فى المستقبل لكى نتأكد من وجود الله وبأن الله يـفعل ما يريده بنا. ولا أحد يستطيع أن يرد مـا أخبر الله بأنـه سيحدث . فجـاء فـى أشعيـاء.
(٤٢ : ٨ - ٩)

« أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها . قبل أن تنبت أعلمكم بها »

وقال فى أشعياء. (٤٣ : ٩ - ١٣)

« اجتمعوا ياكل الأمم معا ولتلتئم القبائل من منهم يخبر بهذا ويعلمنا بالأوليات . ليقدموا شهودهم ويتبرروا . أو ليسمعوا فيقولوا صدق. أنتم شهودى وعبدى الذى اخترته لكى تعرفوا وتؤمنوا بى وتفهموا أنى أنا هو . قبلى لم يصور إله وبعدى لا يكون. أنا الرب وليس غيرى مخلص. أنا أخبرت وخلصت وأعلمت وليس بينكم غريب وأنتم شهودى يقول الرب وأنا الله . أيضاً من اليوم أنا هو ولا منقذ من يدى أفعل ومن يرد »

مما سبق من آيات أشعياء وتأكيد الله بأنه يخبرنا بالأشياء قبل حدوثها لنؤمن به .. ومن كلام المسيح - أنه جاء خصيصا ليبشر بمملكة الله - نرى أن تبشير المسيح بالمسلمين معجزة إلهيه كبيره لا ينبغى طمسها وإنكارها وأحيانا محاربتها كما فعل الصليبيون .

دعنا الآن نسرد ما جاء على لسان المسيح فى أمثلته عن الزرع الذى يخرج الثمر ومملكة الله .. جاء فى متى (١٣ : ١٠ - ٥٣)

« فتقدم التلاميذ وقالوا له لماذا تكلمهم بأمثال . فأجاب وقال لهم لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات . وأما لأولئك فلم يعط . فإن من له سيعطى ويزداد وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه . من أجل هذا أكلمهم بأمثال . لأنهم مبصرين لايبصرون وسامعين لايسمعون ولايفهمون . فقد تمت فيهم نبوءة أشعياء القائلة : تسمعون سمعا ولا تفهمون . ومبصرين تبصرون ولا تنظرون. لأن قلب هذا الشعب قد غلظ . وآذانهم قد ثقل سماعها .. وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم . ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر. ولآذانكم لأنها تسمع . فإنى الحق أقول لكم إن أنبياء وأبرارا كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا . وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا . فاسمعوا أنتم مثل الزارع . كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتى الشرير ويخطف ما قد زرع فى قلبه . هذا هو المزروع على الطريق . والمزروع على الأماكن المحجرة

هو الذى يسمع الكلمة فحالاً يقبلها بفرح . ولكن ليس له أصل فى ذاته بل هو إلى حين . فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر والمزروع بين الشوك هو الذى يسمع الكلمة . وهمّ هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر . وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذى يسمع الكلمة ويفهم . وهو الذى يأتى بثمر فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين .

قدم لهم مثلا اخر قائلا : يشبه ملكوت السموات إنسانا زرع زرعا جيداً فى حقله وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زوانا فى وسط الحنطة ومضى . فلما طلع النبات وصنع ثمرا حينئذ ظهر الزوان أيضا . فجاء عبيد رب البيت وقالوا له يا سيد أليس زرعا جيدا زرعت فى حقلك . فمن أين له زوان . فقال لهم إنسان عدو فعل هذا . فقال له العبيد أتريد أن نذهب ونجمعه . فقال لا . لئلا تقلعوا الحنطه مع الزوان وأنتم تجمعونه . دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد . وفى وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولاً الزوان واحزموه حزما ليحرق وأما الحنطه فاجمعوها إلى مخزنى .

قدم لهم مثلا آخر قائلا . يشبه ملكوت السموات حبه خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله . وهى أصغر جميع البذور . ولكن متى نمت فهى أكبر البقول وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها .

قال لهم مثلاً آخر . يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع . هذا كله كلم به يسوع الجموع بأمثال ، وبدون مثل لم يكن يكلمهم .. لكى يتم ما قيل بالنبى القائل سأفتح بأمثال فمى وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم .

حينئذ صرف يسوع الجموع وجاء إلى البيت فتقدم إليه تلاميذه قائلين فسر لنا مثل زوان الحقل . فأجاب وقال لهم الزراع الزرع الجيد هو ابن الإنسان . والحقل هو العالم .والزرع الجيد هو بنو الملكوت والزوان هو بنو الشرير . والعدو الذى زرعه هو ابليس . والحصاد هو انقضاء العالم والحصّادون هم الملائكة . فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم . يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم . ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . حينئذ يضىء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم من له أذنان للسمع فليسمع. أيضا يشبه ملكوت السموات بكنز مخفىً فى حقل وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع ما كان له واشترى ذلك الحقل .

أيضا يشبه ملكوت السموات بإنسان تاجر يطلب لآلىء حسنة فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ماكان له واشتراها . أيضا يشبه ملكوت السموات بشبكة مطروحه فى البحر وجامعة من كل نوع . فلما امتلأت أصعدوها على الشاطىء وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعيه . وأما الأردياء فطرحوها خارجا .

هكذا يكون فى انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان .

قال لهم يسوع أفهمتهم هذا كله . فقالوا نعم يا سيد . فقال لهم من أجل ذلك كُلّ كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء ولما أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك » .

يلاحظ من تلك الأمثلة الواضحة المفاهيم التاليه :

١- الملكوت لا يكون بالمسيح ومعاصريه .. فى وقت المسيح وحياته على الأرض لم .. يفهم كلمة الملكوت سوى التلاميذ « وقال لهم لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات وأما لأولئك فلم يعط » أى أن معاصرى المسيح ينطبق عليهم قوله « كل من يسمع كلمه الملكوت ولا يفهم فيأتى الشرير ويخطف ما قد زرع فى قلبه » (متى ١٣ : ١٩)

وعلى ذلك يستحيل أن يكون الملكوت قد بدأ تكوينه فى أيام المسيح.

٢ - عدم وجود أى دور للتلاميذ فى قيام المملكة ويتضح ذلك من أن المسيح لم يذكر أى دور لتلاميذه فى تكوين الملكوت ، فقط أمرهم أن يبشروا بقربه وعلى ذلك نستبعد أن يكون تلاميذه قد كونوا الملكوت أو كانوا هم الزارع بل فقط مبشرين بأنه قريب . وخلال شرح المسيح لمثل الزارع للتلاميذ لم يوجه لهم أى تعليمات أو مهام ولكنه قال : إن الذى سيبدأ زرع الملكوت هو ابن الإنسان :

« فأجاب وقال لهم الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان والحقل هو العالم . والزرع هو بنو الملكوت » . (متى ١٣ : ٣٧)

فمن هذا النص نجد أن زرع المملكة سيبدأه ابن الإنسان . وقد يقول قائل إن المسيح هو ابن الإنسان ولكن المسيح نفى ذلك وسنقدم النص تحت عنوان « المسيح ليس المقصود بابن الإنسان ». كما أن المسيح حدد فى الأناجيل أن زمن تأسيس الملكوت سيبدأ بعد شتات اليهود

وهدم الهيكل وحروب ضد الروم كما سيأتى تحت عنوان « زمان الملكوت » .

وتفصل كلام المسيح السابق تحت ما يلى من عناوين فى هذا الباب وما يليه :

النمو السريع للمملكه

مرت الديانه المسيحيه بعصور إضطهاد شديدة استمرت ثلاثه قرون كامله . وخفت حدة الإضطهاد وبعد مجيء الملك قسطنطين في بداية العقد الثالث من القرن الرابع الميلادى . وقد قام الملك قسطنطين بمحاولة لتوحيد أديان البلاد التى يحكمها بإدخاله نظرية الثالوث المقدس « القديمة والموجوده فى البوذيه والهندوسيه » إلى المسيحيين وتعددت الثورات من بعده وقتل فى عامى (٣٤٢ - ٣٤٣) من المسيحيين بأيدى المسيحيين عدد من القتلى يزيد على عدد من قتلوا بسبب اضطهاد الوثنيين للمسيحيين فى تاريخ روما كلها وكانت الحرب بين الأريوسيين «المعتقدين فى المسيح كبشر وليس الله » والمعتقدين فى الثالوث من المسيحيين « انظر كتاب قصة الحضاره لول ديورانت » .

وعلى ذلك نستطيع القول بأن حتى القرن الرابع الميلادى عانت المسيحيه من الإضطهاد وأنها لم تنتشر إنتشاراً سريعا بل بطيئا وصعبا .

أما بالنسبه للخلافه الإسلاميه ففى فتره قصيره جداً تقل عن أربعين عاما من بعثه محمد ﴿ﷺ﴾ انتشر الإسلام من الجزيرة العربية حتى وصل إلى أفريقيا وأسيا وأوربا وتكونت دولة المسلمين الأوائل بسرعة مذهلة وظلت تحكم تلك البلاد قرابة ألف ومائتى عام . ولكن كل النمو حدث فى جيل واحد وفى مده تقل عن أربعين عاما منها ثلاثة وعشرون عاما من بدأ رسالة محمد ﴿ﷺ﴾حتى وفاته وخمس عشرة عاما خلافة ابى بكر وعمر ولننظر كيف وصف المسيح نمو ملكوت الله :

« وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذى يسمع الكلمه ويفهم وهو الذى يأتى بثمر فيصنع بعضه مئه وآخر ستين وآخر ثلاثين » . (متى ١٣ " ٢٣)

« قدم لهم مثلا آخر قائلا يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله . وهى أصغر البذور ولكن متى نمت فهى أكبر البقول وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها ». (متى : ١٣ : ٣١ - ٣)

وبعيداً عن أمثلة الزرع ضرب المسيح مثلا أخر معبرا عن سرعة نمو الملكة وانتشارها فقال : (متى : ١٣ : ٣١ - ٣)

« قال لهم مثلا أخر . يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع » .

فهنا خميرة قليله تخمر ثلاثة أكيال وحبه صغيرة تصير أكبر الأشجار وتأوى كل الطيور وزرع يعطي ثمراً مئه والبعض ستين فهو نمو وملك كبير وسريع ، لا ينطبق إلا على الخلافة الاسلامية والفترة القصيرة لتكوينها وطول فترة سيادتها وجاء هذا الوعد فى القرآن :

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)

(٢٤ : النور: ٥٥)

إنفاق كل مال المؤمن من سمات الملكوت

يذكر التاريخ الإسلامى تنافس المسلمين الأوائل على الانفاق فى سبيل الدعوه فمن التاريخ المتواتر أن أبا بكر (رضى الله عنه) أنفق كل ماله وعمر أنفق نصف ماله ولما سئل أبو بكر ماذا تركت لأهلك قال « تركت لهم الله ورسوله » فتوالى بعد ذلك إنفاق عمر (رضى الله عنه) حتى أنه وهو خليفة للمسلمين لم يكن لديه ثوب يكفيه فوصل ثوبه بثوب ابنه نظراً لطول قامه عمر (رضى الله عنه) .

ويذكر التاريخ الإسلامى تَصَدُّقْ عثمان بقافلة جاءه فيها أضعاف ثمنها ربحا فى عام الرمادة ،كما يُذكر له تجهيز جيش العسرة بأكمله على نفقته .. وصف ذلك المسيح عليه السلام بقوله : « أيضا يشبه ملكوت السموات إنسانا تاجراً يطلب لآلىء حسنة فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها ». (متى : ١٣ : ٤٥ - ٤٦)

كما جاء فى (متى ١٩ : ٢٠ -٢٣) « قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتى فماذا يعوزنى بعد . قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى فلما سمع الشاب مضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة فقال

يسوع للتلاميذ الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات » .

فنرى من ذلك المثال ان المسلمين الأوئل أنفقوا كل أموالهم ليشتروا دينهم والجنة فقال القرآن :

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) (٩ التوبة : ١١١)

فهنا المؤمن باع كل ما له حتى نفسه كقول المسيح « فلما وجد لؤلؤه .. واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها »

ويصدقه قول الرسول ﷺ : « ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله هي الجنة »

وقال القرآن الكريم عن الإنفاق في سبيل الله :

لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) (٩ التوبة : ٨٨)

وكانت الهجرة وترك المال وإنفاقه في سبيل الله والجهاد بالنفس والمال في القرآن حافزا لشراء اللؤلؤة الغالية فقال القرآن :

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) (٩ التوبة : ٢٠)

وقال أيضا :

الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) (٢ البقرة : ٢٧٤)

والآيات القرانية في ذلك كثيرة .

الباب الثالث

وصف للشريعة الإسلامية وللمسلمين

شريعه جديده يدل عليها القديم

بعد أن شرح المسيح للتلاميذ الملكوت وأمثلته كما ورد فى إنجيل متى أخبرهم بأن علماء الملكوت سيكون لديهم من الجديد ما ورد ذكره فى القديم فيكونوا كمن عنده كنز يستخرج منه القديم « من توراه .. وإنجيل » وحديث « قرآن كريم » يستخرج منه الدرر الجديدة التى تدل عليها درر التوراة والإنجيل فجاء عن ذلك : (متى : ١٣ : ٥١ - ٥٢)

« قال لهم يسوع أفهمتم هذا كله . فقالوا نعم يا سيد . فقال لهم من أجل ذلك كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء » ،أى أشياء جديدة وأشياء عتيقه قديمه، هذا قول المسيح القديم بالنسبة لعلمائنا .: اما الجديد الذى ورد فى قرآننا والذى ضرب به المسيح المثل فتوضحه لنا الآيات التالية :

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦)

(الصف : ٥ - ٦)

كما ورد فى القرآن أيضا:

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)

(البقرة : ٢١٣)

فهذه الآية تفسر لنا اختلاف الذين أوتوا الكتاب من قبلنا وعنادهم وإصرارهم على إنكار آيات انبيائهم واختلافهم فى الأشياء الواضحة مما أدى إلى تنكرهم للإسلام والمسلمين وإلى وجود مئات الأديان على الأرض مع أن آيات الله واضحه وكتبه يدل بعضها على بعض بآيات بينات والمثال على ذلك أن مثل المسلمين فى الإنجيل هو الزرع الذى أخرج ثمره . وقد أورد المسيح فى كلامه أن ملكوت الله عندما يأتى سيعلن عن نفسه فقال :

« وهؤلاء هم الذين زرعوا على الأرض الجيده الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها ويثمرون

واحد ثلاثين وآخر ستين وآخر مئه . ثم قال لهم هل يؤتى بسراج ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير . أليس يوضع على المنارة . لأنه ليس شيء خفى لا يظهر ولاصار مكتوما إلا ليعلن إن كان لأحد أذنان للسمع فليسمع » . (مرقس ٤ : ٢٠ – ٢٤)

فهنا يقول المسيح عن مملكة الله أو مملكة السموات بأنها ليست شيئا خفيا لا يظهر ولا هى مكتومه إلا لتعلن أى أنها سيعلن عنها فى وقتها ولعلمه بأن هناك من سيتطاول وينكرها ويماطل ويمتنع عن الإعتراف بها قال :

« من له أذنان للسمع فليسمع » وجاءت المملكة وجاء الإعلان عنها فى الجديد من كنز الله « القرآن » الذى دلت عليه آيات الإنجيل « العتيق من الكنز » ومع ذلك ماطلوا ولم يكن لهم فهم أو آذان للسمع فقال القرآن فى بداية الإسلام عن المسلمين إن مثلهم فى الإنجيل هو الزرع الذى أخرج الثمر وهذا هو ما اسماه المسيح بملكوت الله أو مملكة السموات فقال القرآن عن المسلمين ومحمد والذين معه « ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » (الفتح : ٢٩)

وجاءت المملكة التى تحكم بشريعة السموات وحاكمها هو الخليفة الذى يخلف الله فى حكم الأرض وينفذ أوامر الله وشريعته الوارده فى القرآن أى أنها مملكة السماء أو مملكة الله التى يحكمها الله بكتابه وشريعته وينفذ ذلك الخليفة ومع ذلك ألبسوا الباطل ثوب الحق وماطلوا وما زالوا .

الثواب والعقاب شريعه لا الخلاص

يعيب المسيحيون على المسلمين بأن الديانه الإسلاميه قاسيه ورد فيها عقاب كثير للسارق وشارب الخمر والزانى . كذلك أنها تنص على وجود النيران والسلاسل والتنكيل فى الآخرة فى جهنم . وفى نظرهم أن هذا يتعارض مع فرط محبه الله للمؤمنين والخلق وأن الله لا يفعل ذلك « فى ظنهم ». كما يؤمن الإخوة المسيحيون بأن إيمانهم بصلب المسيح يجعل دمه كفارة لذنوبهم وأن البر والأعمال الخيره لا تأخذ ذلك النصيب بعد الفداء العظيم الذى قدّمه المسيح بدمه « فى ظنهم » وذلك لنص المقدس لديهم (بولس) على ذلك فى رسالته إلى أهل غلاطيه.
(٣ : ١٠ – ٣)

« لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به . ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها . المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة »، والناموس فى عرف اليهود هو كتب الشريعه والأنبياء . أى الكتب المنزله والتنزيل يدعى فى العبريه « توراه » وإن كان العرف يدعو أسفار موسى الخمسة التوراة . وهنا ينص بولس على أن أعمال الشريعه إفتداهم المسيح منها وأن المسيح « صار لعنة لأجلهم» ومع أنه كلام غريب إلا أنه لب الإعتقاد المسيحى حاليا فى أن المسيح هو كفارة للخطايا وأن القساوسه تغفر الخطايا للمعترف حتى وصل الحد إلى صكوك الغفران التى تعطى للمرء « نظير تبرعه » وتحتوى على غفران جميع خطايا المتبرع ودخوله الجنة بل إن الإعتقاد الحالى بأن الباباوات والقساوسة لهم سلطة المغفرة وعدم المغفرة وإمساك الرحمه وطرد من يرونه أو ما يسمى بالحرم أى حرمانه من الدخول فى جماعة الله . أما فى الإسلام فالاعتقاد هو أن كل ما يفعله المرء يحاسب عليه إن خيرا فخير وإن شراً فشر .. الجزاء من جنس العمل وينص على ذلك القرآن الكريم :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ (٩٩ الزلزله : ٧ – ٨)

كما قال فى نفس المعنى :

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ (٦ الأنعام : ١٦٤)

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

(٣٩ الزمر : ٧)

وفى عذاب الآخرة وردت ايات كثيره مثال

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾

(١٤ إبراهيم : ٤٩ – ٥١)

وقد كان المسيح يعرف التوراة والأنبياء عن ظهر قلب ويعرف وصفه فيها جيداً . وان من

سينسبون أنفسهم إليه سيدّعون أن روح المسيح قد تمّ تقديمها قربانا لخطاياهم فلذلك وصف شريعة المسلمين « ملكوت الله » بعده بأنها يحاسب فيها المرء على عمله لذلك أسهب المسيح فى أمثلته بأن فاعلى الإثم من أبناء ملكوت الله سيطرحون فى النار وذلك ليفرق بين شريعة مملكة الله أو مملكة السموات وبين شريعة من ينسب نفسه إليه ويؤلم المسيح بأن يجعل روحه قربانا للخطيئة كما هو الحال مع الديانة المسيحيه الحاليه . التى جاء فى التوراة عن إعتقادها بأن المسيح قدّم روحه قربانا لمعاصيهم :

« إلا أن الرب قد سر بأن يسحجه فقد وضعه للحزن عندما تجعلوا روحه قربانا للخطيئه ».

(أشعياء : ٥٣ : ١٠)

وتلك هى الترجمة الحرفيه للأصل العبرى لأشعياء كما ورد فى نسخة الملك جيمس بالإنجليزية . أما الترجمة العربية فقد أوردت المعنى محرفا كما يلى :

«أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحه إثم »

طبعا المعنى هنا غير واضح فالرب سر بأن يسحق نفسه بالحزن فكيف يُسر بالحزن طبعا كلام غير عاقل وهذه هى النتيجة الحتمية لمن يتذاكى على الله ويحاول تحريف كلامه فيخرج المعنى مسخا كما ورد فى ترجمة الشرق الأوسط .

أما تبشير المسيح بشريعة الثواب والعقاب لبنى مملكة الله المسلمين فقد ورد فيما يلى من إنجيل متى :

١- (متى : ٨ - ١١ -١٢)

« وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات . وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ».

فإجتماع ابراهيم وإسحق ويعقوب مع بنى المشارق والمغارب يكون يوم الحساب وما يدل على أن الملكوت تكوّن على الأرض وقبل يوم الحساب أن بنى الملكوت الذين عاشوا فى أيامه سيطرحون فى الظلمة الخارجية « وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية ».

٢- (متى : ١٣ : ٣٩ - ٤٣)

« والحصاد هو إنقضاء العالم والحصادون هم الملائكة فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار

هكذا يكون فى انقضاء العالم . يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان حينئذ يضىء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم من له أذنان للسمع فليسمع ».

٣ - (متى : ١٣ : ٤٧ - ٥١)

« أيضا يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة فى البحر وجامعة من كل نوع . فلما امتلأت أصعدوها على الشاطىء وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية . وأما الأردياء فطرحوها خارجا . هكذا يكون فى إنقضاء العالم . يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار . ويطرحونهم فى أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . قال لهم يسوع أفهمتم هذا كله . فقالوا نعم يا سيد »

ومن الملاحظ فيما ورد فى تلك الآيات أنها تنتهى بـ « من له أذنان للسمع فليسمع » و «أفهمتم هذا كله » وهذه الآيات تدل على أن أبناء المملكة من فاعلى الإثم سيدخلون النار ويركز المسيح على أن يفهم تلاميذه كتابه وإنجيله « بشارته » عن شريعة الملكوت . وهل هى المصادفة التى جعلت تلك هى شريعة الإسلام والمصادفة أيضا التى أقامت دولته وجعلتها تستمر وهل هى المصادفة التى جعلت القرآن يضرب مثل المسلمين بمثل الزرع المثمر الذى يقابله فى الإنجيل مملكة الله وذلك قبل قيام دولة المسلمين وتقوم الدوله وتنطبق عليها كل أمثلة المسيح الذى كان بكل مثل من أمثلته عن مملكة السماء يصف جانبا من دولة المسلمين وشريعتهم وغير ذلك من أمور المسلمين .. هل هى المصادفة أم أن أهل الكتاب يماطلون فى إيمانهم بالإسلام ويلبسون ما لديهم من معتقدات لا تستقيم مع كلام المسيح يلبسونها باطلا ثوب الحق وهل تكون من المصادفة أن يتنبأ القرآن بما يفعلونه فيقول لهم :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)

(٣ آل عمران :٧١)

وهل هى المصادفة أن يتنبأ القرآن بعنادهم وكفرهم بمحمد ﴿ﷺ﴾ ورسالته الموصوفه لهم تفصيلا فيما عندهم فقد وردت آيات كثيرة توضح هذا المعنى :

وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ

كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)

(٢- البقرة : ١٤٥ - ١٤٦)

فقد تنبأ القرآن بكفرهم بمحمد ﴿ﷺ﴾ ونبأ بأنه مكتوب لديهم ايات بينات يكتمونها وها نحن نظهرها ولله الحمد .

المسيح ليس المقصود بابن الإنسان

القى المسيح أمثلته عن الملكوت واصفا محمد ﴿ﷺ﴾ بابن الإنسان . ولكن الناس أخطأوا الفهم وظنوا أنه يقصد نفسه بابن الإنسان ولحرصه على توضيح الأمر لتلاميذه بأنه ليس المقصود بابن الإنسان سأل تلاميذه عن ظن الناس به فقالوا له إن ظن الناس به ليس ابن الإنسان فقط ولكن هناك إعتقادات بأنه يوحنا المعمدان ، أو إيليا ، أو إرميا أو واحد من الأنبياء فسألهم ولكن أنتم أيها التلاميذ من تظنونني فأجابه سمعان بطرس بأنه المسيح ابن الله الحى أى أنه قد مسح أو عُيّن ابن لله وليس إبنا بالجسد ولكن بالإعتبار والتعيين فجاء في أنجيل : (متى : ١٦ : ١٣ - ٢٠)

« ولما جاء يسوع إلى نواحى قيصريه فيلبس سأل تلاميذه قائلا من يقول الناس أنى أنا .. ابن الإنسان . فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا . وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء . قال لهم وأنتم من تقولون إنى أنا . فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى، فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا . إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات . وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح » .

فكما نرى من تلك الآيات أن المسيح سوّى بين من اعتقد أنه ابن الإنسان ومن اعتقد أنه يوحنا المعمدان أو إرميا أو آخر لأنه ليس المقصود بلفظ ابن الإنسان . ولكن إجابه .. بطرس أنه المسيح « الممسوح » ابنا لله . أطربت المسيح وعلم أن الله أوحى لبطرس بتلك الإجابة وأوصى التلاميذ أن لا يقولوا لأحد ذلك لأنهم سيعتقدون فيه إعتقاد الوثنيين أنه ابن حقيقى لله

أو جزء منه « حينئذ أوصى التلاميذ أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح » ولكن إجابة سمعان بطرس التى أطربت المسيح كانت مكافأتها أنه أعطاه المفاتيح ليدخل إلى مملكة الله وليكون من المسلمين ومن أمة محمد ﴿ﷺ﴾ وقد ورد ذلك فى القرآن فى قوله تعالى :

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

(٥ المائدة : ١١١)

فحوار المسيح مع بطرس وإقرار المسيح أن الله اعلم بطرس بان إبن الإنسان ليس يسوع وأن محمداً ﴿ﷺ﴾ هو ابن الإنسان الذى سيبذر بذور المملكة أو هو الزارع . اعلمه الله لبطرس والحواريين الذين دخلوا مملكة المسلمين وآمنوا بمحمد ﴿ﷺ﴾

مثال آخر أن المقصود بابن الإنسان ليس هو المسيح :

فى هذا المثال معنيان كبيران أولهما : أن الذى سيقوم من الأموات ليس هو المسيح.

والثانى : أن محمدا ﴿ﷺ﴾سيتألم لكفر أهل الكتاب به .

نرى المعنيين فى الآيات التالية :

« وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات . وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبه إن إيليا ينبغى أن يأتى أولا فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتى أولا ويرد كل شىء ولكنى أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتألم منهم . حينئذ فهم التلميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » (متى : ١٧ : ٩ -٣)

فى اعتقادنا كمسلمين أن المسيح لم يُقتل ولم يُصلب ولكن شُبِّه ذلك لمعاصريه . وأن الذى صلب غيره وقد جاء ذلك فى سفر إشعياء (٥٣ : ٨ - ٩)

« ومن الذى يعلن إلى جيله أنه قطع من أرض الأحياء وبسبب ظلم شعبى كان مبتلاً . وجعل قبره مع الشقى ولكن مع الغنى عند موته » .

« أما المسيح فلم يكن له أباً من الرجال وكلمة ابن الإنسان هى ترجمة لما فى أصله « ابن الرجل » فهل يتكلم المسيح عن نفسه بضمير الغائب أمام الناس واصفا نفسه ابن الرجل فماذا يقول الناس عنه بالطبع سيتهمونه بالكذب وبالعقد النفسية والإختلال العقلى وقد يقولون أيضا ما قالوه له : « أليس هذا ابن النجار أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب وموسى

وسمعان ويهوذا . أوليست أخواته جميعهن عندنا » . (متى : ١٢ : ٥٥ - ٥٦)

وهذا ما يغضب بشده المسيح وأمه والمسلمين أيضا .

وناهيك عن ذلك وفى حياتنا اليوميه إذا حدثك أى شخص حاضر أمامك عن نفسه بضمير الغائب قائلا « هو سيأتى إليك غدا وهو سيجلس معك » فماذا ستصف ذلك الرجل وماذا تظن به وهل يكون طبيعيا ؟!

إن التفسير المسيحى بأن المسيح كان يقصد نفسه بابن الإنسان كما نرى يسىء جداً لشخص المسيح وأمه عليهما السلام المصطفين الأخيار . كما يخرج أقوال المسيح وشخصه عن الإتزان والعقل وهذا مالا نعتقده فى المسيح. لذلك فإن قول المسيح كما جاء فى متى « لا تعلموا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات » اعتراف بأنه يقصد شخص أخر وليس نفسه قد يكون من أخذ شبهه وتم صلبه بدلاً منه وقد يكون المقصود أى شىء أخر والله أعلم .

وإن قال : « كذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتألم منهم » .

نعلم أنه يقصد شخصا آخر سيؤله كفرهم به عندما يأتى :

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ (١٨ الكهف : ٦)

نذكر هذا لأن معظم - إن لم يكن كل - المرات « ٧٨ مرة » التى ذكر فيها المسيح أمثال إبن الإنسان كان الحديث فى هذه المرات لا ينطبق على المسيح وكان يقصد بها آخرين ولهذا قال المسيح : « فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا. لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها ».

فكما قال المسيح إنه يتكلم بحكمة .. وأبسط قواعد الحكمة أن تكون واضحة وأن تنطبق على المقصود بها وأن يظهر قائلها بمظهر الحكيم لا المختل وأن تكون منطبقة على الواقع لا أن يتكلم إنسان عن نفسه بضمير الغائب ويقول عن نفسه « هو » ولا يقول « أنا » وأن ينطبق كلامه على المقصود إن كان نفسه أو كان غيره والحكيم لا يتكلم عن نفسه بكلام يستحيل أن ينطبق عليه أو يتكلم عن نفسه بضمير الغائب .

المسيح والجزيه

لا ينسى المسيحيون فى الشرق والغرب أنهم دفعوا الجزيه للمسلمين بل إن من أسباب ما يغل فى صدورهم من الخلافة الإسلامية أنها كانت تأخذ الجزيه من تلك البلاد مثل روسيا والنمسا وغرب أوروبا الجنوبى . ولكن هذه هى شريعة الملكة التى وصفها المسيح كما ورد فى (متى : ١٧ : ٢٤ - ٢٧)

« ولما جاءوا إلى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين إلى بطرس وقالوا أما يوفى معلمكم الدرهمين . قال بلى . فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلا ماذا تظن يا سمعان . ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزيه أمن بنيهم أم من الأجانب قال له بطرس من الأجانب قال له يسوع فإذا البنون أحرار. ولكن لئلا نعثرهم اذهب إلى البحر وألق صنارة والسمكه التى تطلع أولا خذها ومتى فتحت فاها تجد إستارا فخذه وأعطهم عنى وعنك . فى تلك الساعة تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين فمن هو أعظم فى ملكوت السموات ».

وصف المسيح لأبناء المملكة بأنهم أحرار يثير مفهومين ولكن عند تحكيم العقل والنظر فى رسالة المسيح التى جاء من أجلها ودراسة ما سبق من كلام المسيح نجد أن الكلام يُقصَدُ به معنى واحد :

فالمعنى الأول :

١- أن المسيح يقصد أن أبناء مملكة روما هم الأحرار وأن اليهود هم التابعون وفى ذلك حط من قدر أتباعه أو دعوة للثورة على الرومان وهذا مالم يلاحظه أحد فى كلام المسيح من قبل فإن مدح الروم نقول أنه وصف الأمم أو الأغريق بأنهم كلاب لا يجب إعطائها المقدسات أو خبز الأطفال ومن غير المعقول أن تعجب المسيح حريتهم .

٢- وإن قيل إن تلك هى لوعة فى نفس المسيح من المحتلين ودعوة للثوره نقول أن المسيح أمر بترك المال لقيصر أى مسالمته وأن يكون الإنسان لله ولا يهتم بما لقيصر فى قوله : « فعلم رياءهم وقال لهم لماذا تجربوننى . إيتونى بدينار لأنظره . فأتوا به فقال لهم لمن هذه الصوره والكتابه . فقالوا لقيصر . فأجاب يسوع وقال لهم أعطوا ما لقيصر لقيصر ومالله لله . فتعجبوا منه ». (مرقس : ١٢ : ١٥ - ١٧)

وقد جاء نفس المعنى فى لوقا :

« فسألوه قائلين يا معلم نعلم أنك بالإستقامه تتكلم وتعلم ولا تقبل الوجوه بل بالحق تعلم طريق الله . أيجوز لنا أن نعطى جزيه لقيصر أم لا فشعر بمكرهم وقال لهم لماذا تجربوننى . أرونى ديناراً لمن الصوره والكتابة فأجابوا ، وقالوا لقيصر . فقال لهم أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وماالله لله » (٢٠ : ٢١ - ٢٥)

مما سبق يتضح لنا أن المسيح كان أبعد ما يكون عن مدح الروم أو الإشادة بأنهم أحرار وأيضا كان بعيداً كل البعد عن التحريض على الثورة بل كان ما يشغله كان كما قال :

« فقال لهم ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت ».

(لوقا : ٤ : ٤٣)

وكما قال متى عنه :

« وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت . »

(متى : ٤ :٢٣)

مما يؤدى إلى المعنى الحقيقى :

إن المسيح كان يوضح لأتباعه أن مملكة الله « المسلمين » عندما تأتى سيأخذ ملوكها الجزيه ممن ينسب نفسه إلى المسيح ولا يدين بدين المسيح . لذلك ضرب لهم المثل قائلا :

« ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزيه من بنيهم أم من الأجانب قال له بطرس من الأجانب قال له يسوع إذا فالبنون أحرار » .

أى إنك إن وجدت نفسك تدفع الجزيه وأنت تعتقد أنك تتبع المسيح فاعلم أنك ممن عثروا فى المسيح وقال عنهم قوله : « وطوبى لمن لا يعثر فىَّ » . (لوقا : ٧ : ٢٣)

أى أنه كان يعلم من الله ومن وصفه فى أشعياء بأن الناس ستعثر وتخطىء فى إعتقادهم فيه ويغالوا فى قدره وأن شريعة ملكوت الله «الإسلام » ستكون هى أخذ الجزيه ممن عثروا وأخطأوا فى اعتقادهم . لذلك أوضح لهم المسيح أن المملكة عندما تأتى ستأخذ الجزيه ممن هم غير أبنائها ولذلك نجد أن أول شىء فعله التلاميذ أن تقدموا إليه « فى تلك الساعة » كنص الإنجيل وسألوه عمن هو أعظم فى مملكة الله أي أنهم فهموا أنه يتكلم عن ملكوت الله وأخذ الجزيه من غير أبنائهم « غير المسلمين » ولذلك تحمس التلاميذ وأتوا ليستزيدوا منه فى

المعرفة عن أمور مملكة الله كما ورد.

« يا سمعان ممن يأخذ ملوك الأرض الجبايه أو الجزيه أمن بنيهم أم من الأجانب . قال له بطرس من الأجانب . قال له يسوع فإذا البنون أحرار . لكن لئلا نعثرهم اذهب إلى البحر وألق صناره والسمكة التى تطلع أولا خذها ومتى فتحت فاها تجد إستارا فخذه وأعطهم عنى وعنك في تلك الساعة تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين فمن هو أعظم فى ملكوت السموات »

وبالمنطق هل كان التلاميذ سيسألونه عن الملكوت إن لم يكن يكلمهم عنه .

أم هى الفذلكه التى دعت مفسرى الإنجيل لأن يقولوا :

« أن السمكة أتت لتدفع الجزيه عن الله فإذن قيصر أخذ الجزيه من السمكة التى هى عبده مثله ولم يأخذها من المسيح الذى هو الله » .

فلا أعلم .... من قال ذلك التفسير هل كان يدخن وقتها أحد الأعشاب أم ماذا ؟!

ولم يفكر قليلا لماذا سأله « فى تلك الساعة » التلاميذ عن العظيم فى ملكوت الله طالما أنه وصف لهم أن أبناء ملوك الأرض « ملكوت الله » سيكونون أحراراً ولا يدفعون الجزيه لذلك أحب التلاميذ أن يعرفوا من هو أعظمهم إن كانوا جميعا أحرارا وكان حديث المسيح بعد ذلك عن الذين سيعثروا فيه « ويل للعالم من العثرات : فلابد أن تأتى العثرات ولكن ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة » (متى : ١٨ : ٧)

وعند المسلمين أن العثرات أتت من بولس وسنوضح مخالفته تعاليم المسيح .

الإسلام دين الفطرة

الإسلام هو أن تسلم أمرك لله وأن يكون أمرك كله لله . عندما يخبر الآباء المسلمون أطفالهم عن الله يقولون لهم : هو الذى خلق كل شىء . وبالنسبة لكل أطفال المسلمين ذلك هو كل ما يريد أن يعرفه ليبدأ فى تقديم كل فروض الطاعة لله . أى أنها مسأله فى غاية البساطة أن يتعرف الطفل المسلم على الله .

فى الأديان الأخرى التى تؤمن بتعدد الأقانيم « أو الآلهة » داخل وحده الإله الواحد هناك صعوبة بالغة فى تعريف الأطفال والعامة تلك النظريات .

وفى الإسلام المنطق هو إننا لا نفهم كل ما يحيط بنا من خلق الله كأسباب الحياة والموت وغيره وكيف لعقولنا – إن لم تدرك ذلك – إدراك خالق كل شىء الذى هو أكبر من خلقه وإن كان البشر على مر العصور قد تغيرت مفاهيمهم عن الكون كثيرامن حيث حجم الكون وعدد فصائل المخلوقات فبالتالى يصير التصور الإنسانى قاصراً عن إدراك أية معلومات عن الذات الإلهية ولكن الصفات المعنوية من السهل شرحها وفهمها . من ذلك يتضح لنا أن إيمان الطفل المسلم بالله لا يتغير كثيرا فى مراحل عمره المقبله .

وقد تحدث عن ذلك القرآن الكريم فقال :

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم : ٣٠)

فهنا أمر للرسول ﴿ﷺ﴾ والأمة المسلمة بأن يطيعوا الدين القيم وأن يتوجهوا لله مائلين عن الإعتقاد فى أية آلهه أخرى وأن يظل ذلك أمام وجوههم وأعينهم . وهذا هو الإعتقاد الذى خلق به الله الناس كلهم بأن الله خالقهم وهو مدبر كل شىء . وهذا هو نفس قول الرسول ﴿ﷺ﴾ : عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾:

« ما من مولود إلايولد على الفطرة – وفى رواية على هذه الملة – أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمه جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » (مسلم)

وفى رواية «حتى تكونوا أنتم تجدعونها » والجمعاء الصحيحة الجسم والجدعاء مقطوعة الأنف والأذن .. من هذا الحديث يخبر الرسول ﴿ﷺ﴾ أن كل الأطفال يولدون على الفطره البسيطة وهى دين الإسلام ولكن الأبوين إما يقنعونهم بالشرك والآلهة الأخرى ويمجسانهم أو يهودانهم ويصفون لهم صفات غريبة عن الله أو ينصرانهم ويقنعونهم بأن الله خالق المجرات والكون كله يولد من فرج إمرة، ومن بين فخذيها، وظل عامين يرضع ثدييها ويمصهما .. وفى سفر الرؤيا يصير ذلك المولود والموصوف بالإله خروفا قائما له سبعه قرون . سبحان الله تعالى عما يصفون وعما يشركون .. وإن كان هذا ليس المجال لمناقشة هذه الأمور ولكن المسيح عليه السلام ظل فى أمثلته عن الملكوت يشرح كل شىء عن عقيده الإسلام ووصف المسلمين حتى وصف أن إيمان المسلمين هو إيمان الفطرة وأمر تلاميذه أن يفعلوا نفس الشىء ويؤمنوا إيمان المسلمين ، الإيمان الفطرى الذى يكون عند الأطفال فقال المسيح (متى : ١٨ : ١ – ٩)

« فى تلك الساعة تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين فمن هو أعظم فى ملكوت السموات فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه فى وسطهم وقال . الحق أقول لكم أن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم فى ملكوت السموات . ومن قبل ولداً مثل هذا باسمى فقد قبلنى ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ويغرق فى لجة البحر . ويل للعالم من العثرات فلابد أن تأتى العثرات ولكن ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثره فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك . خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى النار الأبدية ولك يدان أو رجلان » .

يطلب المسيح من تلاميذه أن يرجعوا مثل الأولاد ... هل فى الجسم والحجم !! بالطبع مستحيل!!... هل فى العقل والخبرة ؟!... بالطبع لايمكنهم ومستحيل أيضا ولكن الواضح أنه يطلب منهم إيمان الأطفال الذى لا يدخله شك ولا يستطيع فهم النظريات المعقدة كالثالوث التى لا يفهمها معظم المسيحيين وكثير من القساوسه فى كيفية أن يكون الثالوث واحداً وما العلاقة بين الثلاثة أقانيم ومن هو الأسبق والأقوى ولماذا ثلاثة فى واحد فعقل الطفل وإيمانه لا يتحمل كل ذلك . لذلك نرى أن المسيح يطلب من تلاميذه الإيمان الفطرى الذى يكون عليه الأطفال .. السؤال : ما علاقة هذا بدخول المملكة وقطع اليد والرجل .... وعلاقة العثرات بالأطفال ومن حكمة المسيح البالغة ومن كونه المبشر الأكبر لتلك المملكة « مملكة الله » فهو يعرف صفاتها وأمورها ألا نرى أنه يأمرهم بتقبل حد القطع فى الإسلام بفطره الأطفال لأنه هكذا أمر الله ؟!!

وألا يتناول من ادعى أنه من اتباعه عرض الإسلام بسبب الحدود . أما علاقة الكبار بإعثار الصغار وإتلاف إيمانهم فقد شرحه شرحا بليغا حديث الرسول ﴿ﷺ﴾ الموجز:

« ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة – وفى رواية على هذه الملة – أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » صدق رسول الله ﴿ﷺ﴾ وصدق المسيح عليه السلام :

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

(الروم : ٣٠)

السماحة والعفو من سمات المملكة

من سمات الإسلام البارزة العفو فى كل المظالم تقريبا والعفو فى الإسلام هو من القربات التى يتقرب بها المسلم إلى الله . وأكثر من ذلك أن إسم « العفو »هو أحد اسماء الله الحسنى التى سمى الله بها نفسه ونجد كل ذلك فى الآيات التالية :

إن تُبْدُوا خيْراً أوْ تُخْفُوهُ أوْ تعفوا عنْ سُوءٍ فإنَّ اللَّهَ كانَ عفوًا قديرا (١٤٩) (النساء : ١٤٩)

فهنا المقربات لله هى إبداء الخير أو إخفاؤه « الإبداء للمنافسه على فعل الخير » والعفو عن السوء والله نفسه عفو وقدير ويلاحظ أن هذا الآية ينطبق عليها مثل المسيح الذى سنذكره الآن . وفى الآيات التالية المزيد:

وَإن طَلَّقْتُمُوهُنَّ من قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)
(البقرة : ٢٣٧)

هنا العفو فى ماديات الطلاق من الموصى به للرجال ومن المخير فيه النساء ولكن العفو هو سمه التعامل الإسلامى دائما . فى دين الربا مثلا فى آيات تحريم الربا وتركه:

وَإن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)

(البقرة : ٢٨٠)

وفى دية القتل الخطأ « التعويض » وأيضا يجوز العفو عن دم القاتل المتعمد أو قبول الدية إن قبل أهله أو عفوا :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إلَيْهِ بِإحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) (البقرة : ١٧٨)

وفى القرض والتعامل والهبات :

« ولايأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » . (٢٤ النور : ٢)

والآيات الوارده عن العفو فى القرآن عديده .. وغالبا شمل العفو كل شىء فى الإسلام والمسيح يصف ذلك فى أمثلته عن مملكة السماء « مملكة الإسلام » وكان المسيح فى كل مثل من أمثلة الملكوت يصف المسلمين وشريعتهم حتى لا يترك أى فرصه للعثرات وعدم الفهم فقال عن العفو فى الإسلام . (متى : ١٨ : ٢١ - ٣٤)

« حينئذ تقدم إليه بطرس وقال يارب كم مرة يخطىء إلى أخى وأنا أغفر له . هل إلى سبع مرات . قال له يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات . لذلك يشبه ملكوت السموات إنسانا ملكا أراد أن يحاسب عبيده فلما ابتدأ فى المحاسبة قدم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنه . وإذ لم يكن له ما يوفى أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ماله ويوفى الدين فخر العبد وسجد له قائلا يا سيد تمهل علىّ فأوفيك الجميع فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين . ولما خرج ذلك العبد وجد واحدا من العبيد رفقائه كان مديونا له بمئة دينار. فأمسكه وأخذ بعنقة قائلا أوفنى مالى عليك فخر العبد رفيقه على قدميه وطلب إليه قائلا تمهل علىّ فأوفيك الجميع . فلم يرد بل مضى وألقاه فى سجن حتى يوفى الدين . فلما رأى العبيد رفقاؤه ماكان حزنوا جدا وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى . فدعاه حينئذ سيده وقال له . أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إلى . أفما كان ينبغى أنك أنت ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا . وغضب سيده وسلمه إلى المعذبين حتى يوفى كل ما كان له عليه . فهكذا أبى السماوى يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته».

فهنا يأمر المسيح أتباعه بغفران زلّات إخوانه ويحفزهم بأن هذه هى شريعة الملكوت المنتظر إلا أن الملكوت « الملك الكبير ولزمن طويل » عندما جاء كانت شريعته ليس فقط مجرد الغفران لإخواننا ولكن العفو عن حقوقنا لديهم إن تعسروا فى أدائها والعفو عن المسىء حتى ولو وصل إلى أكبر الجرائم وهى القتل . والجدير بالذكر أنه بعد المسيح وفى الدول المسيحية إلى عهد قريب وفى البعض إلى الآن القتل هو عقاب القتل أى أن القوانين الكنسيّة كانت مشتقة من التوراة التى كانت تنادى بقتل الأسرى وحرب الإباده « راجع كتاب القرآن وتصديق التوراة والإنجيل للمؤلف باب العقوبة فى التوراه والإنجيل والقرآن » وقد كان القانون السائد « لا تشفق عينك . نفس بنفس عين بعين . سن بسن يد بيد رجل برجل » (تثنيه : ١٩ : : ٢١)

« وإذا حدث إنسان فى قريبة عيبا فكما فعل كذلك يفعل به . كسر بكسر وعين بعين وسن

بسن كما أحدث عيبا فى الإنسان كذلك يحدث فيه من قتل بهيمه يعوض عنها ومن قتل إنسانا يقتل » (لاويين : ٤ : ١٩ - ٢٢٢)

دخول الإسلام عسير على الأغنياء

إنفاق المرء من ماله مطلوب فى الإسلام ولكن الإنفاق من أعز ما لديه هو شرط لنيل الجنة وأن يكون من الأبرار أصحاب الجنة وهذا هو ما أخبرت به هذه الآية القرآنية :

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

(٣ آل عمران : ٩٢)

كما جاء نفس المعنى فى آيات أخرى !

لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (٢ البقرة : ١٧٧)

فهنا بعد الإيمان بالله والغيبيات أهم شرط للبر هو الإنفاق فى مختلف الوجوه مع إيتاء الزكاة .

كما جاء :

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ (٩ التوبة : ٢٠)

وقد كان معظم أصحاب رسول الله من الفقراء وكان المنافقون والكافرون يتآمرون على الإسلام بصدهم عن الإنفاق على الفقراء المؤمنين لكى ينفضوا من حول الرسول ويتركوه أى أن غالبية الأغنياء فى عصور الإسلام الأولى حاربوه وقله قليله أمنت مثل عثمان بن عفان (رضى الله عنه) فقد جاء فى حرب الأغنياء للإسلام .

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ (٦٣ المنافقون : ٧)

وعند وصف المسيح لأمة الإسلام « ملكوت الله - أو ملكوت السموات » شرح أنه صعب وعسير على الأغنياء دخول الإسلام فجاء فى متى (١٩ : ٢٣ - ٢٦)

« فقال يسوع لتلاميذه الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات وأقول لكم أيضا إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله . فلما سمع تلاميذه بهتوا قائلين إذا من يستطيع أن يخلص . فنظر إليهم يسوع وقال لهم . هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع» .

تلاميذ المسيح شهوده مع محمد ﴿ﷺ﴾

الآيات الدالة على شهادة الرسول ﴿ﷺ﴾ يوم القيامة على كل الأمم كثيره كذلك شهادة المرسلين إلى أممهم عليهم فجاء فى القرآن الكريم :

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ (٤ النساء : ٤١)

وفى شهادة الرسل على أممهم وإدانتهم للكفار منهم.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾

(١٦ النحل : ٨٤)

أما أن الرسول ﴿ﷺ﴾ هو كبير الشاهدين وأن القرآن يبين ماجاء فى الإنجيل والتوراه عن ذلك ويهدى الناس لما جاء الله به من قبل على لسان أنبيائه ومنهم المسيح جاء فى القرآن :

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ (١٦ النحل : ٨٩)

والآيات فى ذلك كثيرة ووضحها القرآن وذلك هو نفس ما أخبره المسيح عليه السلام لتلاميذه . (متى ١٩ : ٢٧ - ٣٠)

« فأجاب سمعان بطرس حينئذ وقال له ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا. فقال لهم يسوع الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر . وكل من ترك بيوتا أو إخوه أو أخوات أو أبا أو امرأة أو أولاداً أوحقولاً من أجل

اسمى يأخذ مئه ضعف ويرث الحياة الأبدية . ولكن كثيرين أولون يكونون آخرين وأخرون أولين ».

فكما أخبرت الآية (٨٩) من سورة النحل أن القرآن هو تبيان لكل شيء وهدى فغالبية المؤمنين بالإنجيل يجدون صعوبة بالغة فى تفسير القول السابق للمسيح بأن تلاميذه سيدينون أسباط بنى إسرائيل لأنهم يرون أن المسيح عند مجيئه سيكون فى قوم أخرين فكيف سيأتى بتلاميذه ليشهدوا لأنهم يفسرون الإنجيل بأن المسيح هو ابن الإنسان « إبن الرجل فى كل التراجم » والمسيح كان يقصد محمداً لذلك نرى أن القرآن قد هدى كل البشر لتلك المعانى التى لن يجدوا لها تفسيراً يتماشى مع كل أقوال المسيح عن « ملكوت الله » أو المسلمين إلا كما جاء فى القرآن فقط . وإن كانت كلمة « فى التجديد » جاءت فى النسخ الأخرى « فى البعث » نفس معنى القرآن وفى نسخة الملك جيمس ترجمة أوضح لرد يسوع على بطرس «فأجاب بطرس وقال له أنظر لقد تركنا كل شيء وتبعناك لذلك فماذا سيكون لنا فقال له يسوع بالتأكيد أقول لكم أنه فى البعث « أو إعادة الخلق » عندما يجلس ابن الإنسان على عرش مجده أنتم الذين تبعتمونى ستجلسون أيضا على اثنى عشر عرشا تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو إخوان أو أب أو أم أو زوجة أو أطفالاً أو أرضاً لأجل اسمى سيأخذ مئة ضعف ويرث حياة أبدية ولكن كثيرون أولون سيكونوا آخرين والآخرون أولون» . (متى ١٩ : ٢٧ - ٢٨ نسخة الملك جيمس بالإنجليزية)

المسلمون آخرون أولون

ذكر المسيح أن ملكوت الله سيكونون آخر الأمم ويجزل الله لهم العطاء . وهكذا يكون آخر الخلق أول الناس فوزا بالجنة فقال فى متى (ص : ١٩ : ٣٠ ، ص ٢٠ :١ - ٦)

« ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين وآخرون أولين . فإن ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمة . فاتفق مع الفعلة على دينار فى اليوم وأرسلهم إلى كرمة . ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى أخرين قياما فى السوق بطالين وأرسلهم إلى كرمة . ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما فى السوق بطالين . فقال لهم أذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم . فمضوا وخرج أيضا نحو الساعة السادسة والتاسعة

وفعل كذلك . ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين فقال لهم لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد . قال لهم اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم . فتأخذوا ما يحق لكم . فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله أدع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئا من الآخرين إلى الأولين . فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً . فلما جاء الأولين ظنوا أنهم يأخذون أكثر . فأخذوا هم أيضا ديناراً ديناراً .

وفيما هم يأخذون تذمّروا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر . فأجاب وقال لواحد منهم . يا صاحب ما ظلمتك . أما اتفقت معى على دينار فخذ الذى لك واذهب . فإنى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك . أومايحل لى أن أفعل ما أريد بمالى. أم عينك شريرة لأنى أنا صالح . هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين . لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » .

أما ما يؤيد قول المسيح « القديم من الكنز » من القرآن « الجديد من الكنز » :
كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ (٤ آل عمران : ١١٠)

فقول المسيح عليه السلام :

« من أجل ذلك كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء » (متى : ١٣ : ٥٢)

أى أن كل كاتب فى مملكة المسلمين يخرج مما لديه من الكنوز « كتب الله قرآن وتوراه وإنجيل » .. كنوز عتيقه من التوراة والإنجيل ويقابلها بالكنوز الجديدة فى القرآن فبمقابلة أقوال المسيح فى إنجيل متى مع القرآن نجد أن :

١ - هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
(: آل عمران)

٢ - لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ (٤ آل عمران ١١٠)

٣ - « فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يؤخذون أكثر . فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا وفيما هم يأخذون تذمّروا على رب البيت قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحده وقد ساويتهم بنا

نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر . فأجاب وقال لواحد منهم . يا صاحب ما ظلمتك أما اتفقت معي على دينار فخذ الذى لك واذهب فإنى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك . أوما يحل لى أن أفعل ما أريد بمالى أم عينك شريرة لأنى أنا صالح » .

نقابلها مع :

وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١)
بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)

(٢ البقرة ١١١ – ١١٢)

ومع :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم
مُّعْرِضُونَ (٢٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)
فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٥)

(٣ آل عمران : ٢٣ –٢٥)

ومع كل قول المسيح السابق فى (متى ١ – ١٦)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ
نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٤٧) إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ
لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن
يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٤٩) انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
سَبِيلاً (٥١) أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ
يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤)

(٤ النساء : ٤٧ : ٥٤)

بعض تلاميذ المسيح يعرفون أنه ليس
ابن الإنسان «ابن الرجل»

بينما كان المسيح يتحدث مع تلاميذه فى حضور سالومه أم يوحنا ويعقوب ابنى زبدى ذكر المسيح أن ابن الإنسان سيسلم إلى كهنه اليهود الذين بدورهم سيسلمونه للأمم « الروم والإغريق » الذين يحكمون عليه بالموت ولكنه فى اليوم الثالث يقوم . وفى الحال ترجته سالومة أم يوحنا ويعقوب أن يجعل ولديها معه عن يمينه ويساره فى مملكته . فهل ستطلب أمٌ منه أن يقتل أولادها معه إن كان المقصود بابن الإنسان المسيح نفسه بالطبع لا ولكن لتأكد أم ابنى زبدى بأنه كما سبق وذكرنا وصرح المسيح بأنه ليس ابن الإنسان فلذلك تطلب منه أن يجعل ولديها معه فى الآخرة . ولكن رد المسيح بأنهم لا يعلمون ما يطلبون منه لأنه سيرفع ولا يستطيع أخذهما معه كما أنه لا يملك شيئا فى الجنة أو فى الاخرة ولكن الملك كله لله هو الذى ينعم بالدرجات والمراتب ولكنه قال لهما أنهما سيشربان من كأسه .. وهنا يخبر المسيح أنه لا يملك الشفاعة .. بينما التوراة« التنزيل » فى سفر أشعياء يخبر أن محمداً ﴿ﷺ﴾ قد أعطى الشفاعة فى المعتدين « وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها . لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمه من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين » . (أشعياء ٥٣ : ١١ - ١٣)

ومع أن الترجمة فى آيات أشعياء السابقة غير واضحة فى النسخ العربية من طبعه الشرق الأوسط للكتاب المقدس « راجع الترجمة فى كتاب المسيح فى الإنجيل بشر باب التوراه تنفى قتل أو صلب المسيح وتبشر بمحمد » إلا أن الترجمة على حالها تثبت الشفاعة لمحمد بينما كلام المسيح مع آل زبدى يفيد بأنه لا يستطيع الشفاعة :

« وفيما كان يسوع صاعدا إلى أورشليم أخذ الإثنى عشر تلميذا على انفراد فى الطريق وقال لهم . ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبه فيحكمون عليه بالموت .ويسلمونه إلى الأمم لكى يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفى اليوم الثالث يقوم . حينئذ تقدمت إليه أم ابنى زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئا فقال لها ماذا تريدين قالت له قل أن يجلس ابناى هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك . فأجاب يسوع وقال لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف

أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا قالا له نستطيع . فقال لهما أما كأسى فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان . وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى ». (متى : ٢٠ : ١٧ - ٢٣)

من الآيات السابقة لإنجيل متى نرى آنه مباشرة بعد أن ذكر المسيح أن ابن الإنسان أو ابن الرجل كما فى باقى التراجم « فى اللغات الأخرى غير العربية »

هو الذى سيسلم للكهنه الذين يسلمونه للأمم . ومباشرة بعد ذكره لذلك تطلب منه سالومة أن يجعل ولديها معه فى مملكته أى أنها كانت تعلم أنه يقصد آخر بقوله «ابن الرجل» كما أن المسيح أخبر بكل شيء بأنه سيرفع وأن غيره سوف يصلب ويقتل ولكن كما قال أشعياء عن المسيح « من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب ». (أشعياء : ٥٣ : ١)

وأيضا « ومن الذى يخبر جيله بأنه قطع من أرض الأحياء » (أشعياء : ٥٣ : ٨)

ويقابل أقوال المسيح هذه بأنه أخبر بأنه سيرفع

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)

(٣ آل عمران : ٥٥)

أما أن المسيح كان يقصد آخر بابن الإنسان فى الصلب فورد فى تفسير القرطبى عن شرح الآية السابقة من سورة آل عمران

« والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير موت ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبرى وهو الصحيح عن ابن عباس وقاله الضحاك : « كانت القصة لما أرادوا قتل عيسى إجتمع الحواريون فى غرفة وهم اثنى عشر رجلا فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة . فأخبر إبليس جميع اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة . فقال المسيح للحواريين : أيكم يخرج ويقتل ويكون معى فى الجنة ؟ فقال رجل : أنا يا نبى الله فألقى إليه مدرعة من صوف وعمامه من صوف وناوله عكازه وألقى عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه . وأما المسيح فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة ». وذكر أبو بكر بن أبى شيبه حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

« لما أراد الله تبارك وتعالى أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وهم اثنا عشر رجلا من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء فقال لهم : أما إن منكم من سيكفر بى اثنى عشرة مرة بعد أن آمن بى ، ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ويكون معى فى درجتى ؟ فقام شاب من أحدثهم فقال أنا . فقال عيسى : اجلس ، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا . فقال عيسى : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا فقال نعم أنت ذاك فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام . قال : ورفع الله عيسى من روزنه « كوه » كانت فى البيت إلى السماء . قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبية فقتلوه ثم صلبوه . وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن به . فتفرقوا ثلاث فرق : قالت فرقه : كان فينا الله ماشاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء هم اليعقوبيه . وقالت فرقه : كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطوريه . وقالت فرقه : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه إليه، وهؤلاء هم المسلمون » . وقد أوردنا هاتين الروايتين عن ابن عباس لإظهار أن علماء المسلمين الأوائل كان ما لديهم يؤيد قول المسيح بأن ابن الرجل « المسيح ابن مريم ولا أب له من الرجال » هو الذى سيصلب ويتفق مع مفهوم سالومه وابنيها ابنى زبدى بأن المصلوب هو آخر أما هما فيريدان أن يكونا مع المسيح فى مصيره العظيم المعد له من الله تعالى .

ملكوت الله هو الزرع المثمر فقط

القرآن الكريم دقيق الألفاظ وهو الوحى الإلهى الذى لا يكون إلا كذلك فذكر أن مثل محمد ﷺ والذين معه فى الإنجيل هو مثل الزرع الذى يخرج الثمر والمقابل فى الإنجيل نجد القصة التالية التى تعتبر حادثه وليست مثلا من أمثال المسيح الذى كان فى كل مثل عن ملكوت السموات يشرح صفة من صفات الإسلام فجاءت الحادثه التى تظهر لنا دقة كلام الله فى القرآن بتحديده الزرع المثمر فقط وأمثاله للمسيح هى مثل محمد ﷺ وصحبه فجاء فى (متى : ٢١ : ١٨ - ٢٢)

« وفى الصبح إذ كان راجعا إلى المدينة جاع . فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط . فقال لها لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد . فيبست التينه فى

الحال . فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست التينه فى الحال . فأجاب يسوع وقال لهم . الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون فلا تفعلون أمر التينه فقط بل إن قلتم أيضا لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون وكل ما تطلبوه فى الصلاة مؤمنين تنالوه » .

من هذه القصة نجد الآتى :

١ - أنها حادثة وليست مثلاً من أمثال المسيح .

٢ - أن الشجرة لم تكن مثمره .

٣ - أن القرآن كان دقيقا جداً (١) فى تحديده بأن مثل المسلمين فى الإنجيل هم الزرع المثمر فقط الذى يعجب الزراع فقال :

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٤٨ : الفتح : ٢٩)

رفض البنائين لمحمد ﴿ﷺ﴾ معجزة فى نبوءات المسيح

اليهود والأوروبيون قوم ذو باع فى البناء والتقدم وذلك على مر العصور . والتقدم المبهر الذى حققته تلك الأمم يجعلهم بحق البنائين المشهود لهم على مر العصور منذ مجىء المسيح ومحمد ﴿ﷺ﴾ إلى الآن . والمسيح تنبأ فى الإنجيل الذى كان باليونانيه وكان ممنوعا على العامة من المسيحيين إلى أن جاءت الحركة اللوثرية فى عصر النهضة وأظهرت الإنجيل للعامة وبعد وفاة محمد ﴿ﷺ﴾ بألف سنة .ووصف المسيح محمدا ﴿ﷺ﴾ كحجر للزاويه يكمل البناء ويرفضه البنائون من اليهود والأوروبيين وهو نفس الوصف الذى يصف به محمد ﴿ﷺ﴾ نفسه وتحقق ذلك الوصف بمجىء محمد ﴿ﷺ﴾ واكتمل بعد وفاته فتلك معجزة فى نبوءات

(١) هذه الدقة وردت فى حديث القرآن عن مثل المسلمين فى الإنجيل وكان الإنجيل باللغة اليونانية ولم يترجم للعربية إلا بعد أكثر من مائتى عام من وفاة محمد ﴿ﷺ﴾ أليس هذا إعجاز إلهى بأن يتكلم القرآن المنزل على أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة بهذه الدقة عن الإنجيل المكتوب بلغة أخرى.

المسيح تقابلها معجزة فى القرآن بذكره أن القرآن ومحمدا ﴿ﷺ﴾ هما مصدقان للتوارة والإنجيل أى أنهما يجعلان التوراة والإنجيل صادقين فى نبوءاتهم بهما ، ومجىء القرآن ومحمد ﴿ﷺ﴾ هو الذى حقق تلك النبوءات وجعلها صادقة .

فقال المسيح عن محمد وأمته :

« اسمعوا مثلاً آخر . كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلّمه إلى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا . ثم أرسل أيضا عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك . فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا يهابون ابنى وأما الكرامون فلما رأوا الإبن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين قالوا له. أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين اخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها . قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاويه من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه » . (متى : ٢١ : ٣٣ :٤٤)

ففى هذا المعنى أن الملك ينزع من اليهود ويعطى لأمة المسلمين فقال القرآن على لسان موسى فى إستخلاف الله لليهود فى الأرض :

قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ (٧ الأعراف : ١٢٩)

من الآية السابقة يتضح استخلاف الله لقوم موسى فى الأرض أما عن استخلاف أمة محمد ﴿ﷺ﴾ من بعد اليهود فقد جاء ذلك فى القرآن الكريم :

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا

يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ (٢٤ النور : ٥٤ - ٥٥)

فنرى هنا الخطاب لأمة العرب بأن يطيعوا الله ورسوله فإن تولى بعضهم فعليهم وزرهم لكن الله وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أتباع محمد ﴿ﷺ﴾ بأن يستخلفهم فى الأرض كما استخلف اليهود من قبلهم أى أنهم سيعطوا الملك بعد اليهود وهذا ما قاله المسيح وما قاله القرآن .. وما حدث بالفعل . أما فى قول المسيح عليه السلام « ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه ».

فنرى بريطانيا العظمى عندما احتلت العالم الإسلامى صار موقعها هو المعروف حاليا على خريطة العالم . كذلك ما كان يسمى بالإتحاد السوفييتى والتتار وغيرهم وما آلوا إليه بعد احتلالهم لبلاد المسلمين وكيف على الجانب الآخر ساد الإسلام البلاد التى دخلها ومازال أهلها للآن مسلمين .

كذلك حروب الرسول ﴿ﷺ﴾ مع كفار الجزيره العربية وأين هم الآن ومعتقداتهم صاروا فى خبر كان وساد الإسلام للآن .

أما عن قول المسيح « الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاويه »

فقد وصف الرسول ﴿ﷺ﴾ نفسه بان مثله ومثل الأنبياء من قبله كبنيان جميل وينقص لبنه صار الناس يقولون ما أجمل هذا البناء لولا هذه اللبنه وقال ﴿ﷺ﴾ عن نفسه أنا هذه اللبنه فقد جاء فى الحديث الصحيح :

عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول :

« مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة واحدة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم المرسلين»

« صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم »

كثيرون يدعون وقليلون ينتخبون

الإسلام كان فرحاً وعرساً لكل الأنبياء : « كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله وكل واحد يغتصب نفسه إليه » (لوقا ١٦ : ١٦)

فكما قال المسيح فى هذه العباره إن كل الأنبياء كانت تفرح بالإسلام وتنسب نفسها إليه . لذا نجد أن كل أمثله المسيح عن مملكه المسلمين كانت ذات طابع بهيج فيمثلها بالزرع المثمر الشهى أحيانا وأحيانا أخرى بالعرس وأحيانا بالخلاص المنتظر للبشرية وفى كل مثل كان المسيح يؤكد أن البشر الذين تواجدوا فى أمة الملكوت ولم يكونوا على نفس مستوى ذلك الحدث العظيم الذى يطلب المسيح التوبه لدخوله أولئك المتواجدين لكن لم تتوافر فيهم الشروط المناسبة لهذا الحدث فإنهم سيتم طرحهم فى النار فى الاخرة وهى مثوى الأشرار وفاعلى الإثم والمذنبين من أبناء تلك المملكة .. ولكن الجديد فى هذا المثل هو ما ينادى به الإسلام دائما بأن الدين عند الله هو الإسلام وأن كل الأنبياء وكل رسائل الله للبشر كانت حوله أى أن الدين واحد هو الإسلام وإن اختلفت الشرائع فكانت يهودية أو أصل المسيحية قبل إنحراف المسار . والشىء الاخر هو استبدال المكان بعد استبدال أمة اليهود وإن كان استبدال أمة اليهود بأمة أخرى قد بشر به موسى اليهود كذلك الأنبياء من بعده أيضا فإن نقل المكان والمقدسات قد بشر به أنبياء آخرون مثل أشعياء وميخا وحزقيل ولكن الجديد هنا هو أن المسلمين - وللآن - لم يكونوا يعرفون أن أمثلة المسيح كانت تتضمن ذلك الوصف الكبير الذى لم يتواجد عند أى نبى اخر من أنبياء العهد القديم عندما بشروا بأمة محمد . فالمسيح قد أخذ القسط الأكبر من ذلك الوصف فقد وصف تقريبا جميع الأوصاف التى وصفها كل أنبياء العهد القديم وزاد عنهم مجتمعين . ولا ينتظر البشر غير ذلك من المسيح وذلك بوصفه المبشر الملاصق والذى يأتى مباشرة قبل الإسلام لذا جعل الله وصف المسيح لمن يأتى بعده شاملا كاملا حتى كاد يرسم بكلماته كل شىء عن شرائع وأزمنة وحساب المسلمين ومعاملاتهم، فمن الوصف البليغ الموجز الذى يصف فيه النقاط التى سنشير إليها بعد تلك الآيات ما قاله فى (متى ٢٢ : ١ - ١٤)

« وجعل يسوع يكلمهم أيضا بأمثال قائلا يشبه ملكوت السموات إنسانا ملكا صنع عرسا لإبنه . وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا فارسل أيضا عبيدا

آخرين قائلا قولوا للمدعوين هوذا غذائى أعددته . ثيرانى ومسمناتى قد ذبحت وكل شىء معد. تعالوا إلى العرس ولكنهم تهاونوا ومضوا واحد إلى حقله وآخر إلى تجارته . والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم . فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم ثم قال لعبيده أما العرس فمستمر وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين . فإذهبوا إلى مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس . فخرج أولئك العبيد إلى الطرق وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين فامتلأ العرس من المتكئين . فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنسانا لم يكن لابسا لباس العرس . فقال له ياصاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس . فسكت . حينئذ قال الملك للخدام اربطوا رجليه ويديه واطرحوه فى الظلمه الخارجية . هناك يكون البكاء وصريرالأسنان لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » .

مما سبق من أقوال المسيح عن مملكة السماء يتضح :

١ - أن العرس واحد وهو لكل البشر على مر العصور ولكنهم يأبون :

يتضح من المثال السابق أن عبيد الله « الأنبياء» كانوا يدعون إلى الله وطاعته لدخول الجنة وكان اليهود يسخرون من عبيد الله « الأنبياء » بل يؤذونهم ويقتلونهم أحيانا ويأبون دائما الدخول فى الإسلام « أن يسلموا أمرهم لله ويطيعونه » لذلك رأى الله فسادهم وقرر أن تكون الدعوة لغيرهم وأن يكون الحفل « الجنة » لكل من يدعى وليس لبنى إسرائيل فقط .

٢ - استبدال اليهود بأمة أخرى وخراب مدينتهم وإعتماد مقدساً جديداً : يتضح ذلك من قول المسيح فى المثال السابق :

« ثم قال لعبيده أما العرس فمستمر وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين فإذهبوا إلى مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه للعرس » .

فهذا يشير لغضب الله من اليهود ودعوته للأمم «فاذهبوا إلى مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه » بعد أن كانت الدعوة لأهل مدينة واحدة دعى إلى الدين كل الأمم .

٣- أما ما يشير إلى استبدال مكان اليهود بمقدسات أخرى فقول المسيح « فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم ».

وقد أشار إلى ذلك أشعياء فقال :

« ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال

وتجرى إليه كل الأمم (١) . وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله ، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » . (أشعياء : ٢ : ٢ - ٤)

وما جاء فى ميخا نفس المعنى ولكن فصل البيت عن الجبل أى أنهما فى مكانين متجاورين فقال

« ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه شعوب وتسير أمم كثيره ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعه ومن أورشليم كلمة الرب . فيقضى بين شعوب كثيرين » . (ميخا : ٤ : ١ - ٣)

فاستبدال أورشليم بمقدسات جديدة تحتوى على جبل مقدس وبيت لله لم يحدث إلا فى الإسلام وقال القرآن فى أن أهل الكتاب يعلمون تمام العلم أن المسجد الحرام فى مكه هو الحق من ربهم لأن حزقيل النبى وصفه بأبعاده وأشكاله وشرائعه فى سفره الموجود فى العهد القديم من الكتاب المقدس فقال القران الكريم :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ (٢ البقرة : ١٤٣ - ١٤٦)

فكان ما جاء فى القرآن هو تصديق لكل الأنبياء من حزقيل وميخا وأشعياء والمسيح وغيرهم باستبدال أورشليم واليهود وقد تحقق . وكان رد الله فى القرآن الكريم على المعاندين من

(١) فى الأصل العبرى كل الأمم تكون انهارا إليه ، وفى القران « وإذا أفضتم من عرفات » (البقرة : ١٩٨) أى أن الناس فى طلوعها لعرفات تكون أنهارا « فى سفرى أشعياء وميخا » وعند نزولها تفيض تلك الأنهار « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » (البقرة : ١٩٩) أى أنهم شبههم الله مرتين بالأنهار فى أشعياء وميخا واستطرد فى التشبيه وجعل الناس «تلك الأنهار» تفيض فى القرآن مرتين كما شبهوا مرتين بالأنهار فهل هى مصادفة أم الكلام بحساب .

اليهود والمسيحيين الذين لم يدخلوا الإسلام وحفل العرس عندما دعوا إليه

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾

(البقرة : ١٤٦)

أى أن كل شيء يقوله محمد ﴿ﷺ﴾ وشريعته قد سبق وفُصِّلت جميع تفاصيله فيما لديهم من كتاب مقدس يقدسونه ولكنهم يكتمون ما فيه من الحق وهم يعلمون أنهم يكتمونه لأنهم يعرفون ما فى كتابهم كما يعرفون أبناءهم حق المعرفة .

٤ – لا حفل لمن لم يكن فى مستوى العرس : أكد المسيح على أن من كان مسلما بالمولد ولم يطع الإسلام وتعاليمه فإنه سيطرح فى النار .

« فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنسانا لم يكن لابسا لباس العرس فقال له ياصاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك ثياب العرس . فسكت . حينئذ قال الملك للخدام اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه فى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » .

فكما نرى أن المدعو للإسلام ولم يكن على مستواه – وإن دخله – إلا أن هناك انتخابا فلن يليق بالجنة وهذا ما جاء فى القرآن دوماً .

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾

(٣ آل عمران : ١٣٣)

فهنا – لباس العرس – أو الجنة الذى قال عنه المسيح هو التقوى وأن التقوى هى السبيل لدخول الجنة وهى لباس العرس كما قال القرآن :

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)﴾ (٧ الأعراف : ٢٦)

المسيح يدعو محمدا ﴿ﷺ﴾ مسيحاً

كلمة مسيح تعنى الإنسان الذى تم مسحه ليكون نبيا أو ملكا . والمسح عادة يكون إختيارا من الله فقيل عن محمد ﴿ﷺ﴾ فى مزمور : (٤٥ : ٧)

« أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك ».

فهنا يصف الله الرسول ﴿ﷺ﴾ بأنه قد « مسحه الله » . ويخلط المسيحيون الأمر ويدّعون أن الموصوف فى هذا المزمور هو المسيح عيسى ابن مريم مع أن المزمور يتكلم عن رجل له قوات يحارب بها بالنبال والسهام وسيتزوج بنات الملوك « عائشة - وحفصه - وصفيه » وسيزوج بناته للملوك « على وعثمان » وفى مزمور آخر أن هناك سيداً « رباً » آخر عن يمينه سيحطم الملوك - عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) - ومع ذلك ينسبون المزمورين للمسيح الذى لم يتزوج أو يزوج ولم تكن له ذرية أو قوات لكن المسيح وضّح ذلك فى إنجيل متى عندما دعا الرسول ﴿ﷺ﴾ مسيحا فقال :

« وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً : ماذا تظنون فى المسيح . ابن من هو قالوا له ابن داود . قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلا قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك . فإن كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه . فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة » .

(متى : ٢٢ : ٤١ - ٤٦)

وكما سبق أن أشرنا أنه فى لغات البشر جميعا لا يتكلم إنسان عاقل عن نفسه ويقول عن نفسه « هو » بل يقول « أنا » وعادة لا يخطىء هذا الخطأ فى الحديث إلا الأطفال الذين يتعلمون الكلام ويجهلون قواعده كذلك من اختلت قواه العقليه بجنون أو إنسان يخجل من واقعه الشاذ فيستتر من نفسه ويقول عن نفسه « هو » ولا يقول « أنا » . والمسيح كان كاملا عظيما ذو عقل وحكمة لا يتكلم عن نفسه ويقول « إبن من هو » بل إن أراد أن يسأل فيقول «ابن من أنا » ولكن عندما يقول المسيح «ابن من هو » فينبغى أن يستقيم فهمنا وعقلنا ونعرف أنه يتكلّم عن آخر يدعوه بلفظ « هو » . فحكمة المسيح البالغة ومعرفته بما سيكون بعده من عثرات وضلالات « طوبى لمن لا يعثر فى » (متى : ١١ : ٦)

وقال : « ويل للعالم من العثرات فلابد أن تأتى العثرات ولكن ويل لذلك الإنسان الذى تأتى به العثرة » .

(متى: ١٨ : ٧)

لذا تكلم عن محمد ﴿ﷺ﴾ » بلفظ « هو » عندما دعاه مسيحا ومخلصا ينتظره الفريسيون « طائفة من علماء اليهود يتمسكون بالشريعة والقانون والتقليد اليهودى » . وفى الكتاب المقدس كلمة مسيح لم تطلق على يسوع وحده ولكن أطلقت على كثيرين مثل شاؤل وداود وكورش « المجوسى» ومحمد ﴿ﷺ﴾ . فقد جاء على لسان داود متحدثا عن شاؤل : « فقال

داود لأبيشاى لاتهلكه فمن الذى يمد يده إلى مسيح الرب ويتبرأ » .
(صموئيل الأول : ٢٦ : ٩)

كما جاء :

« حاشا لى من قبل الرب أن أمد يدى إلى مسيح الرب » (١ صموئيل : ٢٦ : ١١)

وجاء أيضا :

« والرب يرد على كل واحد بره وأمانته لأنه قد دفعك الرب اليوم ليدى ولم أشأ أن أمد يدى إلى مسيح الرب » . (١ صموئيل : ٢٦ : ٢٣)

كما أن كلمة مسيح أطلقت على داود فجاء :

« وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داود معهم عهدا فى حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل ». (صموئيل ٢ : ٥ : ٣)

« وسمع الفلسطينيون أنهم قد مسحوا داود ملكا على إسرائيل » (صموئيل ٢ : ٥ : ١٧)

وكما جاء أيضا :

« فهذه هى كلمات داود الأخيرة . وحى داود بن يسى ووحى الرجل القائم فى العلا مسيح إله يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو » . (٢ صمو ئيل : ٢٣ : ١)

وقد أطلقت كلمة المسيح على كورش رغم أنه لم يكن يعبد الله :

« هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الذى أمسكت بيمينه » . (أشعياء : ٤٥ : ١)

من ذلك نرى أن المسيح كان يناقش الفريسيين عن مسيح آخر سيكون ملكا وقويا كما جاء فى المزمور الذى تكلم عنه المسيح قائلا :

« فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلاً قال الرب لربى اجلس عن يمينى »

فنص المزمور (١١٠) « قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك . يرسل الرب قضيب عزك من صهيون . تسلط فى وسط أعدئك . شعبك منتدب فى يوم قوتك فى زينة مقدسه من رحم الفجر لك طل حداثتك.

أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق . الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا . يدين بين الأمم . ملأ جثثا أرضا واسعة سحق رؤوسها . من

النهر يشرب فى الطريق لذلك يرفع الرأس » .

وهذا المزمور ليس فيه كلمة واحده تنطبق على المسيح عليه السلام لذلك نرى الحاله الإيمانية المرهقة عندما يحاول الإخوة المسيحيون اقناع أنفسهم بأن المسيح كان يقصد نفسه عندما ذكر مسيح هذا المزمور وذلك للتباين الواضح بين نص المزمور وحال المسيح عليه السلام الذى قدره الله له ، هذا التباين الذى يجعل من يحاول تطبيق هذا المزمور على المسيح فى حالة شك من عقيدته ويحاول محاولات عديدة تبرير وتفسير مالا يمكن تبريره أو تفسيره حتى بتجريد معنى المزمور المادى الواضح إلى معنويات لا يمكن تصورها وذلك للنقاط الآتية فى نص المزمور :

١ - « قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك » - كلمة رب تعنى السيد فى كل تراجم . اللغات الأخرى وفى العربية رب الدار ورب الأسرة ورب المنزل-

تم رفع المسيح ولم تكن له غلبة من أى نوع على أعدائه ولم يكونوا موطئا لقدميه . وإن إدعى من يدعى بأن ذلك فى مجىء المسيح ابن مريم المنتظر فى آخر الزمن سنقول له لكن أعداءه قد ماتوا من بعد حياته الأولى وبعد كفرهم به فهل سيقوموا من الأموات ليصيروا موطئا لقدميه !! طبعا يستحيل الإدعاء بأنه المقصود بهذه الفقره من المزمور بل ينطبق ذلك الكلام على محمد ﴿ﷺ﴾ لأنه لم يناصبه أحد العداء إلا وانتصر عليه . وعند وفاته كانت كل الجزيرة العربية تحت ملكه ويطبق عليهم القرآن وحدوده ولا يستطيع أى منهم مجرد الإعتراض عليه .

٢ - « يرسل الرب قضيب عزك من صهيون تسلط فى وسط أعدائك » .

فهذه الفقرة تتكلم عن قضيب عز، ومجد ورفعة يأتى من خارج صهيون كما فى نسخة الملك جمس بالإنجليزية.

"The Lord Shall send the rod of your strength out of Zion"

أى أن الله سيرسل سيف قوته - من خارج صهيون - لا كما فى الترجمة العربية، ونسخة الشرق الأوسط التى تقول - من صهيون-وكلمه صهيون تعنى (الحصن) لذا نرى أن المعنى فى كل الحالات لا ينطبق على المسيح الذى لم يكن له سيف أو عزة على الأرض. وكل ذلك كان لمحمد ﴿ﷺ﴾ كذلك المسيح لم يتسلط أو يحكم وسط أعدائه بل هم الذين حاكموه

وحكموا عليه ، أما محمد ﴿ﷺ﴾ فكان له الحكم، والسيادة والعزة ونص عليها القرآن كثيرا:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦) (٣٣ الأحزاب : ٣٦)

فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) (٤ النساء : ٦٥)

بل إن القرآن جاء ليحكم ويكون حكما للعرب وأن الله هو الذى يحكم والمنفذ للحكم هو الرسول ﴿ﷺ﴾ : أفحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) (٥ المائدة : ٥٠)
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ (٣٧) (١٣ الرعد : ٣٧)

وكانت الجزيرة العربية فى بدء الإسلام كلها أعداء للإسلام وفى فترة قصيرة وبعد حروب وبالسيف « قضيب العز » دانت كلها للرسول وحكمها بنفسه أى أنه حكم وتسلط فى وسط من كانوا أعداءه فهكذا وصف المزمور للرسول ﴿ﷺ﴾ يكاد يكون كفلق الصبح من الوضوح بينما لا يمكن تطبيقه أو حتى مجرد الاقتراب من معناه فى حالة المسيح عليه السلام.

٣ - « شعبك منتدب فى يوم قوتك فى زينة مقدسة من رحم الفجر لك طل حداثتك » .

وفى هذه الفقرة يتحدث المزمور عن شعب السيد الذى أجلسه الرب عن يمينه ذلك الشعب سيتطوع ليغزو ويحارب للدعوة أو للتبشير بها وقد حدث هذا في شعب الجزيرة العربية الذى نشر الدعوة محاربا وداعيا للأمم ومحافظا علي رسالة النبي ابن هذا الشعب وقال القرآن :

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) (الفتح : ١٦)

فهنا تخاطب الآية من تخلفوا عن القتال بأنهم سيدعون لكى يتطوعوا لقتال الروم والفرس وغيرهم لكى يدخلوا الإسلام أو يحاربونهم وكان المتخلفون نفرا قليلا قيل إنهم بضع وثمانون أو أزيد ولكن حتى النفر القليل من شعب الرسول ﴿ﷺ﴾ لم يسمح له بالتخلف عن الدعوة أى أن شعبه كله تطوع يوم قوة الرسول ﴿ﷺ﴾ بعد فتحه مكة ومجىء الوفود لمبايعته وكان ذلك فى جميل مقدسات المسلمين من مكة والمدينة وفى تعاليم القرآن المقدسة وجهاد لله وحده ودعوة إليه .

أى أن المزمور ينطبق تماما على الرسول وشعبه أما شعب المسيح وتلاميذه فقد كانوا يهودا والشعب اليهودى وكهنته حاربوا المسيح ولم يحاربوا معه ولم يتطوع اليهود لنصرة المسيحية كما تطوع شعب الجزيرة العربية لنصرة الإسلام . فكما نرى أن المزمور ينطبق على محمد ﴿ﷺ﴾ لا المسيح عليه السلام .

٤ - « من رحم الفجر لك طل حداثتك « شبابك » .

أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » .

وهذه الفقرة من المزمور تتكلم عن القدر الإلهى بأن يكون هذا السيد الذى سيملك منذ بدء الخليقة مقدراً له أن يفعل ما سيفعل وفى إيمان المسلمين أن الله قبل بدء الخلق كان يعلم بكل خلقه ومقدراتهم قبل أن يخلقهم فى علمه االقديم .

وتتكلم الفقرة أيضاً عن أفضلية للرسول فى كونه معلما للدين إلى الأبد ومازلنا حتى الآن فى نور علمه ﴿ﷺ﴾ الذى علمه الله له وعلمه عليه الصلاة والسلام لنا من أحاديثه الشريفة الغراء . لذا فهو كاهن « خادم للدين » إلى الأبد وعلى رتبة ملكى صادق الذى عظمه سيدنا إبراهيم وأعطاه عشر ما لديه من النعم وأعطى ملكى صادق بركته لسيدنا إبراهيم . فما كل هذه العظمة داود يدعو محمدا ﴿ﷺ﴾ سيده والمسيح عليه السلام يدعوه مسيحاً والله يعطيه رتبة من بارك إبراهيم فهو بحق عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم ولا فخركما قال ﴿ﷺ﴾

٥ - « الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا . يدين بين الأمم ملأ جثثاً أرضا واسعة سحق رؤوسها . من النهر يشرب فى الطريق لذلك يرفع الرأس » .

هذه الفقره تصف سيداً آخر عمر (رضى الله عنه) على يمين « سيد داوود عليه السلام » محمد ﴿ﷺ﴾ هذا السيد سيحطم الملوك فتكثر قتلى معاركه ويحكم الأمم .

وهذا لم يحدث فى أى من الديانتين اليهودية والمسيحيه أن جاء ملكا وحارب الأمم وأدخلهم تلك الأديان وبالتالى نجد أن نبوءات المزمور تنطبق مع نبوءات المسيح ونبوءات القرآن عن محمد ﴿ﷺ﴾ والذين معه كما جاء فى القرآن :

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٤٨: الفتح :٢٩)

فكما نرى هنا أن الله وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الذين مع الرسول ﴿ﷺ﴾ مغفرة وأجرا عظيماً ومن أشد أصحاب الرسول عملا للصالحات كان أبو بكر خليفة الرسول ﴿ﷺ﴾ الأول ويأتى بعده قوى الإسلام الذى سأل الرسول ربه أن يعز الإسلام به عمر بن الخطاب الذى كان أجره فى الدنيا أن يكون الخليفة الثانى بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأن يهزم الفرس والروم ويحكمهم كوعد القرآن :

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ (٢٤ : الفتح : ٥٥)

فكما نرى فى هذه الآية أن الوعد بالخلافة كان لمن آمن وعمل الصالحات وأشدهم عملا فى خدمة الإسلام تولوا الخلافة وهذا بالضبط ما وصفه المسيح فى ذكره لمثل هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ وإعطائه الأمناء وعند رجوعه يوزع الملك على كل من خدم الإسلام كل حسب شدة عمله يأخذ مركزاً أكبر فيما سنشرحه إن شاء الله فى مثل الأمناء .

٦ - فى هذه الفقرات من الإنجيل التى يصف فيها المسيح محمداً ﴿ﷺ﴾ بأنه مسيح وقد ينتقد البعض ذلك ويتهمنى بخلط الأمور. ولكن كل الإناجيل تتكلم عن المسيح وقت الأحداث وفى حضور المسيح على أنه « ابن داود » وكتبه الإنجيل يقولون ذلك وهنا ينفى المسيح أن المسيح المنتظر هو ابن لداود أى أنه ليس ابناً لداود فهل سيقول كتبة الإنجيل إنه ابن داود وينفى المسيح أنه ابن داود ويظل الناس يدعونه ابن داود » إن كان المقصود بمسيح هذه الفقره المسيح عيسى ابن مريم » ولنر ما قيل عن المسيح عيسى ابن مريم فى الإنجيل أنه ابن داود :

١ - « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود » . (متى ١ : ١)

٢ - « وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان ارحمنا يا ابن داود » . (متى ٩ : ٢٧)

٣ - « فشفاه حتى ان الأعمى الأخرس تكلم وأبصر فبهت كل الجموع وقالوا ألعل هذا ابن داود » . (متى : ١٢ : ٢٢ -٢٣)

٤ - « فلما سمع أنه يسوع الناصرى ابتدأ يصرخ ويقول يا يسوع ابن داود ارحمنى » .
(مر : ٧ : ٤٧)

٥ - « ..... بن متاثا بن ناثان بن داود »

وذلك عن نسب المسيح (لو ٣ : ٣٢) فى إنجيل لوقا .

وعلى ذلك نرى أن الإنجيل ينسب عيسى ليوسف رجل مريم الذى كان من نسل داود على حسب رواية الأناجيل وإن كان نسب المسيح فى القرآن « بن مريم » التى من سبط لاوى وتنسب إلى نسل الكهنة وجدهم الأكبر هو هارون أخو موسى عليهما السلام .

فنرى أن المسيح لم يمانع أن يصفه الناس بابن داود « إحتمال أن تكون ام مريم من سبط يهوذا و أبو مريم من لاوى » .

ولكن إن قبل المسيح وصف ابن داود وكلّم الفريسيين عن نسب المسيح الذى يكون قويا ويحارب وينتدب شعبه فى يوم قوته وفى مباهج أقداسه عرفنا أنه يقصد آخر سماه مسيحا لأن الله مسحه بالحكم والنبوة هو محمد ﴿ﷺ﴾

المراؤن من علماء أهل الكتاب
يصدون ذويهم عن الملكوت

عناد المرائين من علماء أهل الكتاب قديم وقد تكلم عنه الأنبياء والقرآن وقد تنبأ المسيح عليه السلام بذلك وأخبرهم بأنهم سيصدون ذويهم عن دخول الإسلام فلاهم يدخلون ولا يدعوا غيرهم يدخلون فقال المسيح « لكن ويل لكم أيها الكتبه والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون » .

(متى : ٢٣ : ١٣)

فوصف المسيح لملكوت السموات كما سبق ورأينا وصف دقيق لا يستطيع جاحد نكرانه وكما سنرى فيما بعد أن المسيح لم يحدد فقط الشريعة والعقيدة والثواب والعقاب وهجرة الرسول ورجوعه لمكة ملكا عليها وتوزيعه الإمارة على القبائل لأصحابه وغيرها من الصفات .

لكن المسيح حدد لهم أحداثا زمنية ستحدث وبعدها يأتى محمد ﴿ﷺ﴾ وأمته وسرد المسيح تلك الأحداث التى لا تنسى وقد حدثت وصارت علامات بارزة فى التاريخ « سنقصها » كل ذلك سنهل مهمتهم للتعرف على الرسول وأمته ولكن رياء بعض علمائهم صد الناس من اتباع علمائهم الصادقين الذين دخلوا الإسلام .

وللأسف كان رياؤهم من أجل مناصبهم الكهنوتيه ومكاسبهم المادية القليلة فقال القرآن عن ذلك :

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

(٢ البقرة : ١٦ : ١٧)

فهنا ظل أهل الكتاب يطلبون نور الإسلام فلما أضاء ماحولهم لم يدخلوه ولم يأخذوا من نوره .

وعناد اليهود قال القرآن عنه :

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾

(البقرة : ٤٠ - ٤٢)

فتطالب الآيات اليهود بتذكر نعمة الله عليهم وأن يوفوا بعهده ويشهدوا للرسول ﴿ﷺ﴾ وأن يؤمنوا بما جاء به مما يظهر صدق ما عندهم ويقود الناس لمعرفة عظمة الوحى الذى وصف محمداً ﴿ﷺ﴾ هذا الوصف الدقيق كما تطالبهم ألا يلبسوا الحق فى الآيات التوراتية والقرآنية ثوب الباطل ويكذبوا بالقرآن وبالتالى يبحثوا عما لديهم في وصف الرسول ﴿ﷺ﴾ فلا يجدونه وبذلك يلبس الحق الذى عندهم ثوب الباطل ويصير بلا فائدة . كما أشار لنفس معانى الآيات السابقة القرآن فقال :

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو

بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ (٢ البقرة : ٨٩ : ٩٠)

وعن طبيعة بعض علمائهم الفاسدة الذين كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما فهموه فقال القرآن

أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

(٢ : البقرة : ٧٥)

كما قال عن عنادهم لأجل مكاسبهم المادية من مناصبهم كرجال دين أو بحكم قراباتهم وذويهم.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ (٢ البقرة : ١٧٤)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾

(٩ : التوبة : ٣٤)

ويلاحظ شمول هذه الآية لنفس المعانى التى تكلم عنها المسيح عليه السلام فى وصف أحبار اليهود وعلمائهم فى حب المال ولو كفروا وعصوا فى متى كما سبق وأوردناه

(٢٣ : ١٣ - ٣٦)

وهكذا ما وصفه المسيح أخبر به القرآن وحدث أى أن القرآن يثبت صدق أقوال المسيح .

الباب الرابع

زمن مجيء الملكوت

المسيح يخبر بموعد مجىء محمد ﴿ﷺ﴾

الأحداث العالمية لا تكذب فإن حدثت حادثة فى مجموعة من البلدان دونتها أقلام المدونين فى هذه البلاد وصارت تاريخا . ولا تختلف كتب التاريخ من بلد إلى بلد أو بين مجموعة بلدان مختلفة العقائد فى الأحداث ولكن تختلف فى نظرتها إلى أبطال الأحداث .

فبينما يمجد الفرنسيون نابليون يذمه الإنجليز ولكن غزواته وأعماله لا خلاف عليها .

لذلك لجأ المسيح بوحى من الله إلى سرد أحداث ستقع فى مستقبل المسيح الذى صار ماضياً بالنسبة لنا الآن .

فبدأ المسيح بأحداث ستقع لأمة اليهود لايستطيعون نسيانها لأنها أثرت فيهم أشد التأثير ومازال أثرها باقياً . وربط المسيح بين تلك الأحداث ومجىء محمد ﴿ﷺ﴾ فقال :

« ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل . فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه . الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض.. وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وما هى علامات مجيئك وانقضاء الدهر . فأجاب يسوع وقال لهم أنظروا لا يضلكم أحد . فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين . وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب انظروا لا ترتاعوا .لأنه لابد أن تكون هذه كلها . ولكن ليس المنتهى بعد . لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة . وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن . ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع . حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى . وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ويبغضون بعضهم بعضا . ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين . ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين . ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص . ويكرز ببشارة الملكوت فى كل هذه المسكونة . ثم يأتى المنتهى .

فمتى نظرتم رجسه الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال . والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا . والذى فى الحقل فلايرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه .وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام . وصلوا لكى لايكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت . لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم

لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون . ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام . حينئذ إن قال لكم أحدٌ هو ذا المسيح هنا أو هناك فلاتصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا ولو أمكن المختارين أيضا . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم . فإن قالوا لكم هاهو فى البرية فلا تخرجوا . ها هو فى المخادع فلاتصدقوا . لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان لأنه حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور .

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السماء إلى أقصاها . فمن شجرة التين تعلموا المثل . متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم لايمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله .

السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لايزول . وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلايعلم بهما أحد ولاملائكة السموات إلا أبى وحده . وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان . لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك . ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع . كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان . حينئذ يكون اثنان فى الحقل يؤخذ الواحد ويترك الاخر اثنتان تطحنان على الرحى تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى » . (متى : ٢٤ : ١ - ٤١)

فمن هذه الفقرات نجد أن السيد المسيح عليه السلام تكلم مجملا فى الآيات من -

(١ : ١٤) عما سيحدث وبعد ذلك فصل وشرح لهم ماقاله فى الآيات (١٥ : ٤١) ففى الجزء الأول أخبرهم بما سيحدث مجملاً فقال النبوءات التالية :

{١} - خراب الهيكل وهدمه :

« ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل . فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل . فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه . الحق أقول لكم انه لا يترك ههنا حجر على حجر لا يُنقض » .

(متى : ٢٤ : ١ – ٢)

فهذه النبؤة عن خراب الهيكل حدثت على يد تيطس فى عام ٧٠ ميلادية .

ولارتباط العقيده اليهوديه بالهيكل ظن تلاميذ المسيح أنها نهاية العالم فسألوه عن علامات مجيئه وإنقضاء الدهر فأجابهم بعدة نبوءات تبتدىء باضطهادهم وتنتهى بمجىء الملكوت الذى يأتى مجيئه قبل انقضاء العالم فقال :

« ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص . ويكرز ببشارة الملكوت فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتى المنتهى » . (متى : ٢٤ : ١٣ – ١٤)

أى أن الملكوت ينبغى أن يأتى وينتشر خبره ويذيع فى كل أنحاء الأرض «المسكونة » وكما نرى إجماله هذه النبوءة .

{٢} – الحقبة الأولى :

ما قبل الشتات والإضطهاد أو زمن مبتدأ الأوجاع : هى حقبة الحروب بين اليهود والروم وأخبار الحروب من خارج دولة اليهود ومحاربة بعض الممالك لبعضها وأوبئة وزلازل : ووجود أنبياء كذبة فى تلك الفترة فقال المسيح :

« وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وما هى علامات مجيئك وانقضاء الدهر فأجاب يسوع وقال لهم انظروا لايضلكم أحد . فإن كثيرين سيأتون باسمى [١] قائلين أنا هو المسيح [٢] ويضلون كثيرين وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب انظروا لا ترتاعوا لأنه لابد أن تكون هذه كلها ولكن ليس بعد المنتهى لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن . ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع » .

فيتميز زمن مبتدأ الأوجاع كما أسماه المسيح

١ – يبتدىء بخراب الهيكل وحروب اليهود مع الروم (٧٠ م – ١٣٥ م)

---

(١) يحمل اسم المسيح وينتسب إليه أى (مسيحى)وهذه التسمية لأتباع بولس أطلقها بولس عليهم (سفر أعمال الرسل).

(٢) يقولون يسوع هو المسيح بالملك ورسالة الأمم بدلا من محمد ﴿ﷺ﴾ انظر كتاب (المسلمون فى إنجيل مرقس) للمؤلف.

٢ - قيام مضلين كذبة من رجال دين « كبولس ومن ساعده فى تكوين عقيدة الخلاص » أيضا وجود فرق كثيرة من المسيحية فى ذلك الوقت كل منها لها قائدها « زعيمها ومؤسسها من بعد السيد المسيح » .

٣ - تنتهى ببداية عصر الشتات بالنسبة لليهود كذلك هروب الرهبان المسيحيين إلى البرارى والجبال .

{٣ } - حقبة الإضطهاد والشتات ١٣٥م - ٣٤٢م :

حددت هذه الفترة نبوءة المسيح فى الآيات : (متى ٢٤ : ٩ - ١١)

« حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل إسمى . حينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ويبغضون بعضهم بعضاً ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين » .

فكما نرى تسلسل نبؤات المسيح التى يذكر فيها تتابع الأحداث من بعده ولكن الوقت والمده لا يعرفها كما قال : « الحق أقول لكم لايمضى ذلك الجيل حتى يكون هذا كله السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول . وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده » . (متى : ٢٤ : ٣٤ - ٣٦)

فكلام المسيح عن نبوءاته بأن جيله لن يمضى إلاوتبدأ نبوءاته فى التحقق والحدوث قد حدث وتم هدم الهيكل فى حياة أصحابه كذلك تم ظهور بولس وتعاليه على بطرس وغيره فى حياة أبناء جيل المسيح كذلك الاضطهاد حدث لأصحاب المسيح وتلاميذه أنفسهم . أما شتات اليهود الذى لم تنص عليه الآيات الأولى من الإصحاح الرابع والعشرين من متى ولكن نصت عليه الآيات ١٦ - ٢٨ من نفس الإصحاح وستناقش فيما بعد والتى تبتدىء بـ :

«فحينئذ فليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال ...»

ويمكن إخراج مميزات تلك الفترة من نبوءة المسيح عنها :

١ - الاضطهاد الشديد وهذا ثابت فى كل كتب التاريخ وكتب المسيحية « حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى » .

٢ - انقسام أتباع المسيح وظهور رؤساء جدد لكنائس مختلفة وضلال الكثيرين بعد أتباع المسيح « وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ويبغضون بعضهم بعضاً . ويقوم أنبياء

كذبة كثيرون ويضلون الكثيرين » .

أما انقسام المسيحية على نفسها وتسليم أتباع الكسندر فى مصر لأتباع أريوس الذى كانت السلطة الرومانية ضده فوارد حتى أنه جاء أن عدد من قتل فى عامى (٣٤٢ - ٣٤٣) من المسيحيين بأيدى المسيحيين يزيد على عدد من قتلوا بسبب اضطهاد الوثنيين للمسيحيين فى تاريخ روما كلها [١] .

٣ - تنتهى هذه الفترة بضلال معظم المسيحية ودخول من بقى فى دائرة الخطية حتى تبرد حرارة إيمان من بقى منهم « ويقوم أنبياء كذبة ويضلون كثيرين ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين » .

(٤) - فترة الركود والإثم والصبر حتى مجيء ملكوت الله « المسلمين » (٤٢٠ - ٥٦٥)

تنبأ المسيح عن هذه الفترة بقوله :

« ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين . ولكثرة الإثم ترد محبة الكثيرين . ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة » .

ويمكن ذكر مميزات هذه الفترة طبقا لنبوءة السيد المسيح :

١ - تبتدىء بإنتهاء صراع الفرق المسيحية ومجيء فترة البرود وعدم الاهتمام .

« ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين » .

فهنا إنتهى التناحر بين الفرق وساد الضلال للبعض والاعتقاد الخاطىء فى المسيح كإله بفضل الأنبياء الكذبة الذين دخلوا إلى المسيحية من مدخل كهنوتهم من قبل فى الوثنية اليونانية والرومانية أما البعض الاخر فقد بردت محبته للإيمان نتيجة شيوع الفواحش والمعاصى « ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين » .

فقد أجاز آباء الكنيسة فى مجامعهم المسكونية كل المحرمات وأقروا بأن الاعتقاد فى المسيح كذبيحة تكفر عن خطايا البشر هو الخلاص ولا يهم بعد ذلك العمل الصالح أو الطالح وأنه بإمكان هؤلاء الآباء غفران الخطايا مهما كانت بل وإعطاء صكوك الغفران التى يدخل حاملها الجنة وكأنها شيك قابل للدفع فهؤلاء كانوا أنبياء تلك الفترة الذين سماهم المسيح

---

(١) كتاب قصة الحضارة لول ديورانت .

بالأنبياء الكذبة الذين اعتقدوا أنهم فى المجمعات المسكونية التى يجتمع فيها القساوسة من كل المسكونة « الأرض » يحل معهم الروح القدس « الله » وما يتفقون عليه يكون هو ما يريده الله الذين إدعوا بأنه يكون حاضرا معهم ويوافق على ما يتفقون عليه أى أن مشيئتهم تكون مشيئتة !!!

٣ – تنتهى هذه الفترة بعد وقت يلزم فيه الصبر .... بمجىء الملكوت « ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ويكرز ببشارة الملكوت » .

{٥} – مجىء الملكوت :

حددت نبوءة السيد المسيح مجىء الملكوت بعد الفترات التى ذكرها المسيح ومميزات فترة الملكوت طبقا لنبوءة المسيح هى :

١ – أنه يأتى بعد فترة الصبر وشيوع الإثم .

٢ – يكون الخلاص للمؤمنين من أتباع المسيح الذين صبروا واستطاعوا أن يصمدوا .

« ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ويكرز بشارة الملكوت فى كل المسكونة » .

٣ – يتم الملكوت فى معظم الأرض وينتشر خبره فى باقى أنحائها : فيكون الملكوت وقيامه هو الخلاص للمؤمنين . سيكون خبره فى كل أنحاء الأرض و ستكون دولته قوية يذيع صيتها فيمن بقى من الأمم وهذا ما حدث بالنسبة للإسلام .

٤ – تأتى أحداث المنتهى « انتهاء العالم » بعد قيام الملكوت أى أنه بعد أن يستمر الملكوت أو الملك العظيم الطويل الأجل تأتى بعده أحداث إنتهاء العالم وهى تبدأ بمجىء المسيح عليه السلام .

« ويكرز بشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتى المنتهى» .

فهكذا نرى فى تلك الكلمات القليلة التى ذكرها المسيح وصف أحداث تاريخيه كبيرة كانت نبوءات مستقبلية فى عهده لكنها صارت بالنسبة لنا الآن ماضيا وتاريخا .

إلا أن المسيح لم يكتف بالإيجاز فى الحكمة البليغة فى نبوءاته بل فصلها تفصيلا فى الآيات من (١٤ – ٤١) من نفس الإصحاح الرابع والعشرين من متى وتأتى هذه الآيات مباشرة بعد الآيات الموجزة من "١ – ١٣ " وهذا التفصيل يقسم الأحداث التى ستقع نفس التقسيم السابق مع الشرح.

١ – خراب الهيكل وقيام الرجسة « المزبلة مكانه » مع الشرح من دانيال بمجيء محمد بعد ٦٢ سبعات من خراب الهيكل وكان الشرح بالدعوة إلى الرجوع لسفر دانيال الذى فيه المدة :

(متى : ٢٤ : ١٥)

« فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس ليفهم القارىء » ففى سفر دانيال إجابة شافية لكل اللبس فى هذا الموضوع . ونستطيع أن نقول ببساطة شديدة تناسب جميع مستويات الذكاء إن دانيال ذكر صراحة أن الذى سيهدم الهيكل هم الرومان « مملكة قائمة من الممالك اليونانية » وأن الذى سيهزم الرومان هم شعب الله أو قديسيه والتاريخ فى كل أمم العالم يذكر صراحة أن الذى هزم الروم من المسيح حتى عصرنا هذا وأخرجهم من فلسطين هم المسلمون . كانت هناك حروب بين الروم والفرس ولكن لم يطرد الروم من أورشليم سوى المسلمون لذلك نرى المسيح كان واضحا فى إشارته لسفر دانيال وأن سفر دانيال أيضا كان واضحا فى ذكره أن شعب قديسى الله هم الذين سيستعملون مكان الهيكل كما قدر لهم الله ويضعون نهاية الذبيحة والتقدمه. وفى النبوءة الأخرى لدانيال أنه منذ رؤيا دانيال إلى أن يتبرأ الهيكل المقدس الفا ومائة وخمسين عاما وبدء أحداث رؤيا دانيال كان فى سنة ٥١٥ ق.م ونصر عمر على الروم ٦٣٥ م وتم بناء المسجد بعدها أى أن سفر دانيال يعلن أن طهرالهيكل وبراءته بعد الف ومائة وخمسين عاما ولم يحدث ذلك إلا فى عصر الإسلام لذلك نرى أن كل شيء قد شرح حتى بتفصيل السنة والتاريخ والحروب لذلك نورد ما ذكره دانيال فى رؤاه .

أولا : فى تحديد أن الذى سيهزم مملكة الوحش الأخير هم شعب قديسى الله.

ثانيا : أن الوحش الأخير القوى هم من مملكة الرومان والإغريق الذين سيضطهدون المؤمنين ويغيرون دينهم بالحيل ولكن الشعب الذى يحتج بذكره فى الرسالات القديمة يهزمهم ويكونون هم خلاص البشرية ويظل ملكهم للأبد .

أولا: مملكة الوحش ومملكة القديسين

جاء فى الأصحاح السابع لدانيال : « فى السنة الأولى لبيلشاصر ملك بابل رأى دانيال حلما ورؤى رأسه على فراشه . حينئذ كتب الحلم وأخبر برأس الكلام . أجاب دانيال وقال كنت

أرى فى رؤياى ليلا وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة هذا مخالف ذاك الأول كالأسد وله جناحانسر وكنت انظر حتى انتتف جناحاه وانتصب على الأرض وأوقف على رجلين كإنسان وأعطى قلب إنسان . وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب فارتفع على جنب واحد وفى فمه ثلاثة أضلع بين أسنانه فقالوا له هكذا . قم كل لحما كثيراً . وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر وله على ظهره أربعة أجنحة طائر. وكان للحيوان أربعة رؤوس وأعطى سلطانا . بعد هذا كنت أرى فى رؤى الليل إذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جداً وله أسنان من حديد كبيره أكل وسحق وداس الباقى برجليه . وكان مخالفا لكل الحيوانات الذين قبله وله عشرة قرون . كنت متأملاً بالقرون وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه . وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن وفم متكلم بعظائم . كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام . لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقده . نهر نار جرى وخرج من قدامه . ألوف ألوف تخدمه وربوات وقوف قدامه فجلس الدين وفتحت الأسفار . كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن . كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار . أما باقى الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت . كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه . فأعطى سلطانا ومجداً وملكوتا لتتعبد [(١)] له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته مالا ينقرض .

أما أنا دانيال فحزنت روحى فى وسط جسمى وأفزعتنى رؤى رأسى . فاقتربت إلى واحد من الوقوف وطلبت منه الحقيقة فى كل هذا فأخبرنى وعرفنى تفسير الأمور . هؤلاء الحيوانات العظيمة التى هى أربعة هى أربعة ملوك يقومون على الأرض . أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين . حينئذ رمت الحقيقة من جهة الحيوان الرابع الذى كان مخالفا لكلها وهائلاً جداً وأسنانه من حديد وأظفاره من نحاس وقد أكل وسحق وداس الباقى برجليه . وعن القرون العشرة التى برأسه وعن الآخر الذى طلع فسقطت قدامه ثلاثة وهذا القرن له عيون وفم متكلم بعظائم ومنظره أشد من رفقائه .

(١) لتخدمه فى نسخة الملك جيمس (To Serve him)

وكنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم حتى جاء القديم الأيام وأعطى الدين لقديسى العلى وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة .

فقال هكذا . أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها . والقرون العشرة من هذه المملكة هى عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين ويذل ثلاثة ملوك . ويتكلم بكلام ضد العلى ويبلى قديسى العلى ويظن أنه يغير الأوقات والسنه ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان فيجلس الدين وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى . والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسى العلى . ملكوته ملكوت أبدى وجميع السلاطين إياه يعبدون [1] ويطيعون . إلى هنا نهاية الأمر أما أنا دانيال فأفكارى أفزعتنى كثيراً وتغيرت علىّ هيئتى وحفظت الأمر فى قلبى »

هذه هى الرؤيا الأولى المستقبلية فى شأن الصراع بين المؤمنين بالله والكفار ومن قبلها فى السفر كانت رؤى لملوك السبى يفسرها لهم دانيال ولكن لم يحتج بها المسيح عليه السلام ونحن لسنا بصدد الكلام عنها ولكننا نناقش ما استشهد به المسيح فى شرحه لملكة الله أو ملكوت السموات ونلاحظ أن دانيال وصفها بأنها : « والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسى العلى ملكوته ملكوت أبدى » (دا : ٧ : ٢٧)

فيمكن تلخيص نبوءات تلك الرؤيا فى إيجاز لا يصعب فهمه على أى مستوى كما يلى :

١ - أن مملكة الوحش الرابع « الأخير » ستضطهد المومنين على مر العصور وتحاول فى وقت أحد ملوكها تغيير الإيمان « ويتكلم بكلام ضد العلى ويبلى قديسى العلى ويظن أنه يغير الأوقات والسنة » .

وأن هذا الإضطهاد سيعتبر ثأراً للمؤمنين يأخذه لهم المؤمنون من أبناء مملكة الله .

« والقرون العشرة من هذه المملكة هى عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم اخر وهو مخالف الأولين ويذل ثلاثة ملوك . ويتكلم بكلام ضد العلى ويبلى قديسى العلى ويظن أنه يغير الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان فيجلس الدين وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى . والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب

---

(١) يخدمون طبقاً لنسخة الملك جيمس .(Serve him)

قديسى العلى » .   (دا : ٧ : ٢٤ - ٨)

فنرى من تلك الرؤيا أن هناك مملكة ستضطهد المؤمنين لفترة كبيرة من (١٠٠ : ٣٥٠ عاما)

« إلى زمان وأزمنة ونصف » وأن الله سيثأر من هذه المملكة بأخذ الملك منها وإعطائه لشعبه من المؤمنين ويصير ملكهم إلى الأبد . وفى الجزء الثانى من الرؤى أو بالأصح فى رؤيا دانيال الثانية كما سنوردها نجد أن المقصود « أو المملكة التى ستضطهد المؤمنين » هى مملكة تنتج عن انقسام الإمبراطورية الأغريقورومانية « مملكة الروم » وأنها ستقوم باضطهاد المؤمنين ويرث منها الملك المؤمنون كما جاء فى الرؤيا الثانية :

« والتيس العافى ملك اليونان والقرن العظيم الذى بين عينيه هو الملك الأول وإذا انكسر وقام أربعة عوضا عنه فستقوم أربع ممالك من الأمة ولكن ليس فى قوته . وفى اخر مملكتهم عند تمام المعاصى يقوم ملك جافى الوجه وفاهم الحيل . وتعظم قوته ولكن ليس بقوته يهلك عجباً وينجح ويفعل ويبيد العظماء وشعب القديسين . وبحذافته ينجح أيضا المكر فى يده ويتعظم بقلبه وفى الإطمئنان يهلك كثيرين ويقوم على رئيس الرؤساء[1] وبلايد ينكسر »

(دا : ٨ : ٢١ - ٢٥)

ثانيا : المؤمنون يهزمون الروم :

وهذا الجزء من الرؤيا الثانية نورده لنوضح إرتباط الرؤيتين وأن الرؤيا الأولى إن أكدت على أن شعب مملكة الله سيهزم المملكة التى اضطهدت المؤمنين إلا أن الرؤيا الثانية أوضحت كما ذكرنا أن شعب مملكة الله سيهزم مملكة الروم الناتجة من إنقسام دولة الإغريقورومان أو الدولة الرومانية التى حكمت الأراضى المقدسة ولفظ « ويقوم على رئيس الرؤساء » له دلالة هامة حيث أن الجملة فى نسخة الملك جيمس هى :

« He shall even rise againist the prince of pinces »

« حتى أنه ينهض ضد أمير الأمراء » [1]

وذلك لأنها ستحدد الفرق بين محمد ﷺ والمسيح بعد ذلك فى رؤى دانيال مما مضى.

(١) أمير الأمراء فى نسخة الملك جيمس « prince of princes »

وببساطة شديدة نجد أن فى الرؤيا الأولى مملكة المؤمنين أو مملكة الله ستأخذ الملك من المملكة التى اضطهدت المؤمنين وفى الرؤيا الثانية أن مملكة الروم - المنقسمة من مملكة الإسكندر الأكبر « التيس ذو القرن » - عند إنقسام مملكته - هى التى ستضطهد شعب الله ولم يرد فى التاريخ أن أحداً هزم الرومان وأخرجهم من الأراضى المقدسة إلا المسلمون الذين جاءوا وأعطوا الأمارة أو الكود والشفرة التى ذكرها المسيح بأنهم الزرع المثمر فهل رؤى دانيال هى من قبيل المزاح كذلك كلام المسيح عن المسلمين والزرع المثمر ومملكة الله كذلك كلام القرآن بأن المسلمين سيستخلفون فى الأرض كذلك ما سنشير إليه من سورة الروم فيما بعد وبعد مناقشة رؤيا دانيال الثانية كما جاءت :

« فى السنة الثالثة من ملك بيلشاصرالملك ظهرت لى أنا دانيال رؤيا بعد التى ظهرت لى فى الإبتداء فرأيت فى الرؤيا وكان فى رؤياى وأنا فى شوشان القصر الذى فى ولاية عيلام . ورأيت فى الرؤيا وأنا عند نهر أولاى . فرفعت عينى ورأيت وإذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان والقرنان عاليان والواحد أعلى من الاخر والأعلى طالع أخيراً. رأيت الكبش ينطح غربا وشمالا وجنوبا فلم يقف حيوان قدامه ولامنقذ من يده وفعل كمرضاته وعظم . وبينما كنت متأملا إذا بتيس من المعز جاء من المغرب على وجه كل الأرض ولم يمس الأرض وللتيس قرن معتبر بين عينيه . وجاء الى الكبش صاحب القرنين الذى رأيته واقفا عند النهر وركض اليه بشده قوته ورايته قد وصل الى جانب الكبش فاستشاط عليه وضرب الكبش وكسر قرنيه فلم تكن للكبش قوة على الوقوف أمامه وطرحه على الأرض وداسه ولم يكن للكبش منقذ من يده . فتعظم تيس المعز جدا ولما اعتز انكسر القرن العظيم وطلع عوضا عنه أربعه قرون معتبرة نحو رياح السماء الأربع ومن واحد منها خرج قرن صغير وعظم جدا نحو الجنوب ونحو الشرق ونحو فخر الأراضى. وتعظم حتى الى جند السموات وطرح بعضا من الجند والنجوم الى الأرض وداسهم . وحتى الى رئيس الجند تعظم وبه ابطلت المحرقة الدائمة وهدم مسكن مقدسه . وجعل جند على المحرقه الدائمه بالمعصيه فطرح الحق على الأرض وفعل ونجح . فسمعت قدوسا واحدا يتكلم فقال قدوس واحد لفلان المتكلم الى متى الرؤيا من جهه المحرقه الدائمة ومعصيه الخراب لبذل القدس والجند مدوسين فقال لى الى الفين وثلاث مئه صباح ومساء فيتبرأ القدس .

وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى أذا بشبه إنسان واقف قبالتى . وسمعت

صوت إنسان بين أولاى فنادى وقال ياجبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا فجاء إلى حيث وقفت ولما جاء خفت وخررت على وجهى . فقال لى افهم يا ابن ادم . إن الرؤيا لوقت المنتهى ، واذ كان يتكلم معى كنت مسبخا على وجهى إلى الأرض فلمسنى وأوقفنى على مقامى . وقال ها أنذا اعرفك ما يكون فى اخر السخط لأن لميعاد الإنتهاء اما الكبش الذى رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادى وفارس . والتيس العافى ملك اليونان والقرن العظيم الذى بين عينيه هو الملك الأول. وإذا انكسر وقام أربعة عوضا عنه فستقوم أربع ممالك من الأمة ولكن ليس فى قوته. وفى أخر مملكتهم عند تمام المعاصى يقوم ملك جافى الوجه وفاهم الحيل . وتعظم قوته ولكن ليس بقوته يهلك عجبا وينجح ويفعل ويبيد العظماء وشعب القديسين . وبحذاقته ينجح أيضا المكر فى يده ويتعظم بقلبه وفى الاطمئنان يهلك كثيرين ويقوم على رئيس الرؤساء وبلا يد ينكسر فرؤيا المساء والصباح التى قيلت هى حق . أما أنت فاكتم الرؤيا لأنها إلى أيام كثيرة .

وأنا دانيال ضعفت ونحلت أياما ثم قمت وباشرت أعمال الملك وكنت متحيرا من الرؤى ولا فاهم » (دانيال : ٨)

فيمكن وضع المفاهيم الثابتة قى هذه الرؤيا كما يلى :

١ - إن اليونان سيرثون الملك من ملوك مادى وفارس وهذا ما حدث فى عهد الإسكندر والذى انقسمت المملكة بعدها تماما كما جاء فى الرؤيا وتعظم ملوك روما وبيزنطة ناحية الجنوب وبالفعل هدم الرومان الهيكل عام ٧٠ ميلاديه وتم على ايديهم شتات اليهود كذلك عصر شهداء المسيحيه ولكن لم يهزمهم إلا المسلمون الذين يادعهم الروم العداء فرد عليهم الرسول ﴿ﷺ﴾بغزوه تبوك وجاء ذلك فى الرؤيا

(ويقوم على رئيس الرؤساء[1] وبلا يد ينكسر فرؤيا المساء والصباح التى قيلت هى حق)

(دا ٨ :٢٥ ـــ ٢٦)

أما تفسير تلك الايه بأن رئيس الرؤساء (أمير الأمراء) المقصود هو محمد ﴿ﷺ﴾ لأنه جاء أن انكسارهم بعده واستشهد برؤيا المساء والصباح التى تنتهى فى عهد عمر كما فى النقط التاليه :

٢٠ ـ توقيت الرؤيا وأزمنتها: جاء فى سفر دانيال فى الأصحاح الثامن الذى نناقش تلك

(١) أمير الأمراء فى نسخة الملك چيمس

الرؤيا منه « فسمعت قدوسا واحدا يتكلم فقال قدوس واحد لفلان المتكلم الى متى الرؤيا من جهه المحرقة الدائمه ومعصيه الخراب لبذل القدس والجند مدوسين فقال لى إلى الفين وثلاث مئه صباح ومساء فيتبرأ القدس » (دانيال ٨ : ١٣ - ١٤)

فهنا ينص دانيال ان زمن رؤياه من جهه القدس والمحرقه الى أن يطهر القدس ثانيه سيأخذ الفا ومائه وخمسين عاما لان اليوم فى الرؤى يفسره علماء الكتاب بعام . وهنا قال الفين وثلاث مئه صباح ومساء أى ١١٥٠صباحا + ١١٥٠مساء وهو ما يوازى الف ومائه وخمسين يوما كاملا أى ألفا ومائه وخمسين عاما وجدير بالذكر أن الهيكل تم إعادة بنائه عام ٥١٥ ق . م وأن عمر (رضى الله عنه) دخل القدس عام ٦٣٥ م (٢) .

أى أنها ٥١٥ + ٦٣٥ = ١١٥٠ عاما وبعدها تبرأ القدس وبهذه المناسبه نود ان نشير إلى أن تبرئة القدس هنا أو تطهيره كان بوجود المسجد الأقصى فيه ودخول الإيمان الصحيح ولاينطبق ذلك على ما قيل فى بعض كتب التاريخ الكنسى وبعض كتب التفاسير القديمة للقرآن وما يروجه اليهود بأن المسجد الأقصى الحالى قد تم بناؤه مكان مسجد إيليا أو هيكل اليهود وذلك لوجود علامه بارزة أرادها الله كشاهد على أن المسجد الأقصى الحالى ليس فى مكان هيكل زربابل لليهود أو كما أطلق عليه فى القرآن (المسجد الأقصى) تلك العلامة هى الصخرة الموجودة فى المسجد من أيام ما قبل الأنقاض التى نظفها المسلمون باقامة المسجد الحالى وحسبوا أنها من آثار الأنبياء من قبل فى مسجد إيليا لأن المسلمون أنفسهم ظنوا - كما هو موجود فيما لدينا من كتب عنهم - انهم يبنون فوق أنقاض مسجد إيليا بينما لاتجد أى ذكر لوجود مثل هذه الصخرة - عظيمة الحجم - فى كل التاريخ اليهودى المتصل بهيكلهم فى جميع الأوقات . أى أننا لا نجد أى ذكر لوجود هذه الصخرة فيما لدى اليهود من كتب عن الهيكل أما كيفية وجود هذه الصخرة والأثر للمبنى المتهدم الذى بنى المسلمون فوقه المسجد الأقصى فغالب الظن أنه مبنى للرومان أو أحد الأغنياء ولكن هيكل اليهود مستبعد لوجود تلك الصخرة التى لم يذكر اليهود وجودها فى هيكلهم أو حتى بقربه. أما لماذا بنى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) المسجد هناك فلأنه أساس فى عقيدتنا وجود المسجد فى البقعة المحيطة بالهيكل الذى أسرى الله برسوله محمد ﴿ﷺ﴾إليه وقد نص القرآن على أن الله بارك حول المسجد الأقصى القديم (الهيكل اليهودى) مما يعنى أن الأرض حوله مباركة لذا كان

(٢) فى وقت الرؤياكان الهيكل منهدما وتمت إعادة بنائه عام ٥١٥ ق . م

يكفى عمر بن الخطاب وجود أى بقعة خالية فى هذا المكان المبارك ليقيم المسجد الأقصى للمسلمين فيها .. لأنه كما ذكرنا نص القرآن على أن ما حول الهيكل مبارك فقال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) ﴾ (١٧ الإسراء : ١)

فكما نرى من نص الآية أن المسجد الحرام قد بارك الله حوله أى أن أية بقعة حوله هى مباركة ويمكن أن يبنى فيها المسجد وما كان عمر ليأخذ ما هو ملك لغيره فقد رفض الصلاة فى الكنيسة فى القدس حتى لا يأخذها من بعده المسلمون متعللين بصلاة عمر (رضى الله عنه) فيها خاصة وأن اليهود تواجدوا فى فلسطين بعدما حاربوا الرسول وطردهم من المدينة إلى الشام وكانت هذه أول مرة يسمح لهم بدخول الشام لأن القانون الرومى كان يحرم عليهم دخول فلسطين لكن القرآن قال ان طرد الرسول لهم هو أول الحشر لهم فى فلسطين أى السماح لهم بدخولها وهذه معجزة كبيرة للقرآن بأن يتنبأ بانتهاء العمل بالقانون الرومى وذلك لأن الروم سيتم طردهم من الشام كله بواسطة المسلمين الذين لن يمنعوا اليهود من دخول فلسطين فقال القرآن الكريم :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ﴾
(٥٩ الحشر : ١ - ٣)

فنرى من قول الله تعالى :

« هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر »

وفى قوله :

« ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار »

نرى أن هناك كتاب أو وعد من الله سبق بأنهم راجعون لفلسطين وأن هذا هو أول الحشر لهم وأول رجوعهم ولكن لماذا ؟

يوجد لديهم أن الله سيرجعهم لكى يشهدوا لعبده محمد ﴿ﷺ﴾ وأن يتمجد الله لدى جميع

البشر بما لديهم من كتب ونبوءات تحققت بمجئ محمد ﴿ﷺ﴾ولكنا نرى من لهجة القرآن أن الله قد أوفى بعهده لهم بالرجوع ولكن بغضب فلماذا لأنهم كانوا أول كافر به وبما لديهم فقد كفروا بمحمد ﴿ﷺ﴾ وأمته التى يدور كل ما لديهم من كتب حولهم فقد جاء عن وعد الله لهم بالرجوع ليشهدوا لمحمد ﴿ﷺ﴾ويكونوا شهداء لله على الناس وشهداء بأن محمدا ﴿ﷺ﴾ حق هو وأمته. فيشهدوا لمحمد ﴿ﷺ﴾معه ومع أمته ويكونوا من الشاهدين فقد جاء عندهم :

« والآن هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل لا تخف لأنى فديتك. دعوتك باسمك أنت لى إذا اجتزت فى المياه فأنا معك وفى الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيت فى النار فلا تلذع واللهيب لا يحرقك لأنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك . جعلت مصر فديتك كوش وسبا عوضك . إذ صرت عزيزا فى عينى مكرما وأنا قد أحببتك أعطى أناسا عوضك وشعوبا عوض نفسك . لا تخف فإنى معك من المشرق آتى بنسلك ومن المغرب أجمعك أقول للشمال أعط وللجنوب لا تمنع إيت ببنىّ من بعيد وببناتى من أقصى الأرض . بكل من دعى باسمى ولمجدى خلقته وجبلته وصنعته. أخرج الشعب الأعمى وله عيون والأصم وله آذان.

اجتمعوا يا كل الأمم معا ولتلتئم القبائل . من منهم يخبر بهذا ويعلمنا بالأوليات. ليقدموا شهودهم ويتبرروا. أو ليسمعوا فيقولواصدق. أنتم شهودى يقول الرب وعبدى الذى اخترته لكى تعرفوا وتؤمنوا بى وتفهموا أنى أنا هو . قبلى لم يصور إله وبعدى لا يكون. أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص. أنا أخبرت وخلصت وأعلمت وليس بينكم غريب وأنتم شهودى يقول الرب وأنا الله . أيضا من اليوم أنا هو ولا منقذ من يدى أفعل ومن يرد »

(أشعياء ٤٣ : ١ – ١٣)

والقرآن يقول بأن عبده محمد ﴿ﷺ﴾ سيكون شاهدا على الجميع مع أمته ومن آمن به فقال

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ (٢ البقرة : ١٤٣)

وقال أيضا بخصوص شهادة الرسول على باقى الأمم مع أخذ شهداء منهم فى يوم القيامة

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ (٤ النساء : ٤١)

وقال :

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤)

(١٦ النحل : ٨٤)

وقال :

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) (١٦ النحل : ٨٩)

فمن آيات القرآن ونبوءة أشعياء نجد أن الشهادة مطلوبة منهم ولكنهم للآن مازالوا يصرون على الكفر بمحمد ﷺ وبما لديهم عنه فقد جاء فى نبوءة أشعياء المذكورة أن الله سيجمع يعقوب « أى اليهود » مع من اختاره واسماه « إسرائيل بالعبرية وترجمتها مجاهد الله » أى أن الله سيجمع اليهود مع مجاهدى الله ويكونوا ممثلين لكل الأمم من حولهم .

« إجتمعوا يا كل الأمم معا ولتلتئم القبائل من منهم يخبر بهذا ويعلمنا بالأوليات ».

والمقصود بمجاهدى الله الذى يتمثل فيهم باقى الأمم هم المسلمون ولكنا نرى إصرار يعقوب المذكور فى النبوءة - اليهود - على الكفر بما لديه فى كتبه عن - إسرائيل - أمة المسلمين. فقد جمع الله يعقوب « اليهود » ولكنهم غيروا اسمهم إلى إسرائيل « مجاهدى الله » أى أنهم مازالوا يصرون على الكفر وعدم القيام بالشهادة التى طالبهم الله بها. ولكفرهم بالإسلام الذى جمعهم الله ليشهدوا له رغم أن كل ما لديهم من كتب مقدسة يدور حول الإسلام وصفهم الله بأنهم لهم آذان لا يسمعون بها كلام الله ، ولهم عيون لا يبصرون بها ما يوجد فى كتابهم، فقال عن رجوعهم لفلسطين ومع تحقيق وعد الله لهم ما زالوا لا يرون ما فى كتابهم :

« أقول للشمال أعط ، وللجنوب لا تمنع . ايت ببنى من بعيد وبيناتى من أقصى الأرض . بكل فى دعى باسمى ، ولمجدى خلقته أخرج الشعب الأعمى وله عيون والأصم وله آذان »

فيجمعهم الله مع علمه بأنهم (الشعب الأعمى وله عيون ، والأصم وله آذان)

وهذا ما سيتم شرحه فى فصل (الأسفار المختومة)

ولكن نبوءة الله فى القرآن عما سيفعله بهم إذا أصروا على الكفر بأنه سيعود لسبيهم مرة أخرى على يد من ؟ الله أعلم .. وهل سيداومون على كفرهم بالإسلام ... الله أعلم .

وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا

بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)

(١٧ الإسراء : ٤ - ٨)

فهنا نرى قصة سبى المرتين اللتين حدثتا ووعد من الله بأنهم إن عادوا وكفروا بمحمد «ﷺ» لم يكونوا قد عادوا إلى فلسطين جميعا أيام الرسول «ﷺ» » .

فإن الله سيعود لسبيهم ويدخلهم جهنم فى الآخرة :

« عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »

وبالعودة إلى ما استشهد به المسيح عليه السلام من نبوءات دانيال نجد أن القرآن قد بشر بأن تلك النبوءات تحققت وأن الروم ستنهزم من المسلمين وفى ذلك اليوم سيفرح المؤمنون من أمة محمد «ﷺ» بنصر الله .. ويضيف إن ذلك النصر هو وعد الآخرة التى وعد الله بها دانيال والمسيح وأشعياء وزكريا وغيرهم. فنصر المسلمين على الروم هو ذلك الوعد ولكن أكثر الناس لا يعلمون فظل أهل الكتاب غافلين عن ذلك الوعد للآن فقد جاء فى القرآن:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨)

(٣ الروم : ١- ٨)

فنرى من تلك الآيات أن الروم قد وعد الله بهزيمتهم من شعب قديسى العلى كما فى دانيال وعلى يد الآتى من الجنوب كما فى زكريا ذلك الوعد الذى وعده الله لأنبيائه من قبل محمد «ﷺ» كان دائما يأتى بأنه وعد المنتهى كما فى الكتاب المقدس فى نبوءات دانيال لذا قال القرآن :

« وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا

وهم عن الآخرة هم غافلون »

فنرى أن تكوين مملكة الله قد نصّت عليها كتب اليهود والمسيح وجاء القرآن ليعلن مولدها وقيامها فقد صدق الله رسله ولكن الناس غافلون .

وبالعودة لتفاصيل نبوءة المسيح عليه السلام عن ميعاد مجئ محمد ﴿ﷺ﴾نجد فى الآيات (١٥ - ٤١) من الإصحاح (٢٤) من إنجيل متى شرحا للآيات من (١ - ١٥) من نفس الإصحاح فبعد ذكره للنبوءة الأولى وهى خراب الهيكل فصّل باقى النبوءات التى بعدها يجئ محمد ﴿ﷺ﴾وهى بالترتيب الذى كان أوله خراب الهيكل تأتى المرحلة الثانية أو النبوءة الثانية قبل مجئ محمد ﴿ﷺ﴾ وهى :

٢ - عصر الشتات ، مبتدأ الأوجاع :

بعد خراب الهيكل وسلسلة الحروب بين اليهود والروم تم شتات اليهود فى عام ١٣٥ ميلادية وجاء بعد ذلك عصر هروب الرهبان وأتباع المسيح وتكوين الأديرة فى الجبال والبرارى حتى يبعد الرهبان عن إضطهاد الرومان واستمر عصر الاضطهاد إلى ما بعد ٣٤٢ ميلادية. فقال المسيح عن ذلك :

« فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس ليفهم القارئ فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا ، والذى فى الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه. وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام. وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم »

فهنا كان مبتدأ أوجاع اليهود والمسيحيين بعد خراب الهيكل والشتات وهروب الرهبان الذى أتت معه حقبة الإضطهاد وتم ذلك كله فى عهد الروم ويغالط أهل الكتاب ويقول أن المقصود بالوحش هم المسلمون ، ولكن المسلمين لم يؤذوا المسيحيين ، ولم يعذبوهم أو يضطهدوهم ، وإذا انتصروا عليهم فى حرب أخذوا الجزية وتركوهم ينعمون بحياتهم ودينهم وهذه هى عقيدة المسلمين ، كما أن قيام رجسه الخراب حدده المسيح قبل الاضطهاد والشتات لذلك يستحيل وصف المسجد الحرام بالرجسة لأنه تم بناؤه بعد الاضطهاد والشتات وليس قبلهما .

٣ - عصر الإضطهاد :

تنبأ المسيح لأتباعه بحدوث عصر يضطهدون فيه قبل ملكوت السماء ومحمد ﴿ﷺ﴾ويؤكد ذلك ما جاء أيضا فى إنجيل لوقا عندما ظن أتباع المسيح بأن ملكوت السموات (مملكة الإسلام) قريبة الحدوث فشرح لهم المسيح ذلك قائلا :

« هكذا أنتم متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب »

(لوقا : ٢١ : ٣١)

فهنا نص صريح وتأكيد من المسيح بأن الملكوت سيأتى بعد تلك النبوءات التى حدّث عنها وفى حديثه فى إنجيل متى عن عصر الإضطهاد قال :

« وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام.

حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا لأنه سيقوم مسحاء كذبه وأنبياء كذبه ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا ها أنا قد سبقت وأخبرتكم ، فإن قالوا لكم ها هو فى البرية فلا تخرجوا ها هو فى المخادع فلا تصدقوا لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجئ ابن الإنسان»

(متى : ٢٤ : ٢٠ - ٢٧)

فيلاحظ ارتباط عصر الإضطهاد بقيام المسحاء الكذبة ولم يرتبط عصر الإضطهاد إلا بالإختلاف بين الكنائس وإختلاف تعاليمها من كنيسة لأخرى مما يُفسر بأن غالبية آباء تلك الكنائس هم من المسحاء الذين حذر منهم المسيح كذلك لم يرتبط ذلك العصر إلا بوجود بولس (مات مقتولا فى روما) الذى يعتقد المسيحيون أن الروح القدس « الله » دخل فيه وصارت رسائل بولس هى كلام الله بينما يقر بولس بأنه يظن (أى أنه ليس متأكدا) بأن فيه الروح القدس ولم يذكر فى رسائله أن هناك : ملائكة تأتيه أو رؤى يراها من الله ولكن مجرد أن يتكلم أو يكتب رسالة فتصير كلاما لله وفى إقرار بولس أنه كان يظن أن روح الله فيه (لم يقل أنه متأكد أو وصف لنا كيفية وجود روح الله فيه) قال فى رسالته الأولى إلى أهل

كورنثوس (٧ : ٤٠)

« ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط . ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي وأظن أني أنا أيضا عندي روح الله »

فهكذا بمجرد أن الفكرة جاءته بأنه عنده روح الله « أي أن الله حل فيه وصار متحدثا رسميا باسم الله » إعتبره الإخوة المسيحيون فيه روح الله وصار كلامه - وإن خالف المسيح بن مريم نفسه - مصدقا عن كلام المسيح . لا حظ في أشعياء وحزقيل ودانيال وغيرهم من الأنبياء وصف الأنبياء لكيفية مجيء الوحي ونص كل منهم على طريقة تلقيه للوحي ولكن ليس بمجرد أن أحدهم ظن أنه يتكلم كلام الله صار مقدسا لدى اليهود أو غيرهم .

٤- حقبة الضلال والمسحاء الكذبة :

قبل انتهاء عصر الإضطهاد ويمجئ الملك قسطنطين بدأت الحرب بين الآريو سسيين

« الموحدين المعتقدين بأن المسيح ليس هو الله » وبين المسحيين الحاليين في البلاد المحكومة بواسطة الرومان الإغريق وظهرت آراء القساوسة المتمثلة في أنهم لو جمعوا رؤساء الكنائس من البلاد المختلفة كانت آراؤهم تصدر عن الله لأن الروح القدس يحل معهم في الإجتماعات المسكونية ولكنهم اختلفوا فصار رأي من يغلب هو رأي الله وهذا ما حدث مع الأريوسيين فقد ساندت السلطة اليونانية أعداءهم وتم إبادتهم بعد أن كان رأي أريوس المصري هو رأي المسيحيين من قبائل الهون والقوط وبلاد الغال أي وسط أسيا وغرب أوربا واسكندنافيا . وغريب أن تكون تلك الآراء في المسيح بأنه ليس الله واسعة الانتشار في كل أنحاء العالم المسيحي ولكن كما قلنا ساد الإعتقاد بأن ما يتفق عليه آباء الكنيسة في المجمعات المسكونة « التي تضم رؤساء كنائس المسكونة أو الأرض » هو ما يصدر عن الله !! ولكن الآباء لم يتفقوا !! بل ثاروا وتنازعوا في مجمع نيقية !!! لذلك كان رأي الفئة الغالبة التي ساندتها السلطات هو الغالب وصار المسيح إلها . ونرى من تلك الصراعات قيام رؤساء «مسحاء» للكنائس اختلفوا وصار رأيهم أن المسيح هو الله بالرغم أن المسيح لم يقل ذلك مطلقاً بل قال العكس بأن الله هو ربه وإلهه وإله الناس فقال

« إني أصعد إلي أبي وأبيكم إلهي وإلهكم » . (يوحنا : ٢٠ : ١٧)

راجع التفاصيل فى كتاب « المسيح فى الإنجيل بشر » للمؤلف .

فقال المسيح إنه بعد فترة الإضطهاد ستأتى فترة الضلال والمسحاء الكذبه وبعدها تأتى مملكة الله فقال :

« ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبه وأنبياء كذبه ويعطون أيات عظيمة وعجائب حتي يضلوا لو أمكن المختارين أيضا . هاأنا قد سبقت وأخبرتكم فإن قالوا لكم هاهو فى البرية فلا تخرجوا هاهو فى المخادع فلا تصدقوا لأنه كماأن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجىء ابن الإنسان لأنه حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور » .

(متى : ٢٤ : ٢٣ - ٢٨)

فهذه الفترة تتميز بـ :

١ - المسحاء الكذبة « لأنه سيقوم مسحاء كذبه وأنبياء كذبه ».

٢ - بضلال معظم الناس وجزء من الخاصة المختاره « حتى يضلوا لو أمكن المختارين ».

٣ - يأتى بعدها محمد ﴿ﷺ﴾ « هكذا يكون أيضا مجىء ابن الإنسان » راجع فصل «المسيح ليس المقصود بابن الإنسان فى هذا الكتاب ».

٥ - مجىء محمد ﴿ﷺ﴾ والمملكة الإسلامية مع الإستشهاد بالزرع المثمر :

بعد أن ذكر المسيح نبوءاته عن عصر الإضطهاد ومجىء عصر يضل فيه حتى أفضل الناس « المختارين » ذكر أن مجىء محمد ﴿ﷺ﴾ سيكون واضحا كالبرق وأن الأرض كلها ستعرفه ولا نعلم أى حدث فى تاريخ المسيحيه - بعد إنتهاء عصر الإضطهاد - كان واضحاً فى كل الأرض إلا مجىء الإسلام . ونص المسيح فى مواضع أخرى من الأناجيل بأن الملكوت سيعلن عن نفسه فقال :

« ثم قال لهم هل يؤتى بسراج ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير أليس يوضع على المنارة . لأنه ليس شىء خفى لا يُظهر ولا صار مكتوماً إلا ليعلن » . (مرقس : ٤ : ٢١)

فهنا نجد أن المسيح أقر أن محمدا ﴿ﷺ﴾ ومملكته عندما تأتى ستعلن عن نفسها بأنها

الزرع المثمر الذى أخبر عنه المسيح .لذا نجد المسيح دائما فى كلامه عن الملكوت يستشهد بالزرع إذا أثمر لأنه هو المثل الذى سيذكره الله لمحمد ﴿ﷺ﴾ فى القرآن فقال المسيح عن ذلك مراراً نختار منها الآن :

« فإن قالوا لكم هاهو فى البرية فلا تخرجوا . هاهو فى المخادع فلا تصدقوا .لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان . لأنه حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور .

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل ملائكته ببوق عظيم فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصاها فمن شجرة التين تعلموا المثل . متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب » .

(متى : ٢٤ : ٢٦ : ٣٤)

فمن تأكيد المسيح أكثر من مرة لأصحابه أن يتعلموا مثل شجرة التين وضربه لأمثال الزرع المثمر دائما بأنها لملكوت السموات أو ملكوت الله ومن ذكره لتلاميذه بأن المملكة ستعلن عن نفسها ولا نجد أحدا أعلن أنهم مملكة السموات فى نفس الوقت الذى حدده المسيح لمجيئها إلا المسلمون الذين انطبقت عليهم كل أمثلة الملكوت التى شرحها المسيح لأصحابه وإذا سألنا مجموعة قساوسة فى كنيسة واحدة : ما هو ملكوت السموات ؟لأجاب أحدهم بأنه مملكة للمسيح فى السماء . وأجاب الآخر أنها الكنيسة على الأرض وأجاب ثالث بأنها ستحدث فى يوم القيامة وأجاب رابع بإجابة أخرى . لذلك لا نجد إلا كلام المسيح للرد عليهم « كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتى الشرير ويخطف ما قد زرع فى قلبه » .

لخلطهم الأمور وعدم التسليم بمحمد ﴿ﷺ﴾ الذى أعلن عن المملكة من قبل قيامها وصدق وقامت وأعلن أنه ستهزم امته الروم وصدق وفعلوا وأعلن أنه هو الذى بشر به المسيح ولكن الطرف الاخر مازال مصرا على عدم الإعتراف بذلك لذلك رد المسيح فى الإنجيل بدلاً من ردنا فقال لهم :

« كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه » .

(متى : ١٣ : ١٩)

وأوضح المسيح في نبوءاته التي تحققت بأن تلاميذه فقط هم الذين سيعرفون معنى كلمة الملكوت فقال « لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات . وأما لأولئك فلم يعط فإن من له سيعطى ويزداد . وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه . من أجل هذا أكلمهم بأمثال . لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون » .

ومن تلك الآيات نرى لماذا تكلم بأمثلة لأنهم وللآن لا يريدون أن يفهموا كلمة ملكوت السموات أو ملكوت الله بأنها أمة المسلمين التي جاءت منذ الف وأربعمائة عام ومازالوا يصرون على عدم فهم أنهم هم من جاء المسيح خصيصا ليبشر بهم .

الباب الخامس

انتظروا مجيء الملكوت

انتبهوا ويشدة لمجئ محمد ﴿ﷺ﴾

نظرا لعلم المسيح بما سيكون من مماطلة وتلكوء ممن ستكون فى يدهم بشارته " إنجيله" بمحمد ﴿ﷺ﴾ ومعرفته بانه عندما يأتى سيحاول غالبية من فى يدهم بشارته " إنجيله " طمس وكتمان مالديهم عنه وأنهم سيستكبرون ويتباطأون عن الإيمان به وسيقاومونه ويحاربونه هو وأمته .. لكل ذلك طلب المسيح من أتباعه السهر واليقظة والتنبه الشديد لمجيء محمد ﴿ﷺ﴾ كما طلب ألا تأخذهم غفلة قوم نوح عن نصحه لهم حتى جاءهم الطوفان فقال لهم ضارباً أمثالاً :

« وكما كانت أيام نوح كذلك يكون آيضا مجيء ابن الإنسان . لأنه كما كانوا فى الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك . ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع . كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان . حينئذ يكون اثنان فى الحقل يؤخذ الواحد ويترك الاخر . اثنتان تطحنان على الرحى تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى .

اسهروا لأنكم لاتعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته يُنقب . لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان . فمن هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامة سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم : إنه يقيمه على جميع أمواله . ولكن إن قال ذلك العبد الردىء فى قلبه سيدى يبطىء قدومه فيبتدىء بضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى . يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لايعرفها ، فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . (متى : ٢٤ : ٣٧ - ٥٠)

الأصحاح الخامس والعشرين

« نتيجة تراخى قادة المسيحية فى دخول الإسلام هو حرمانهم ومن تبعهم منه »

حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن

زيتا . وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن . ففى نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن . فقالت الجاهلات للحكيمات أعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفىء . فأجابت الحكيمات قائلات لعله لايكفى لنا بل إذهبن إلى الباعة وابتعن لكن . وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب . أخيرا جاءت بقية العذارى قائلات يا سيد يا سيد افتح لنا فأجاب وقال الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن . فاسهروا إذا لأنكم لا تعرفون اليوم والساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان » .

وحتى الآن ومع وجود الآيات السابقة يظن كثير ممن يدينون ويؤمنون بالإنجيل أن مملكة الله فى السماء . والآيات السابقة تطلب من أتباع المسيح السهر والحذر واليقظة وعدم التراخى فى انتظار ابن الإنسان ومملكة السماء . فهل ينتظر البشر على الأرض ماسيحدث فى السماء بعد الموت !!! إن تلك الأقوال البليغة من المصطفى الخير الحكيم عيسى ابن مريم تدل دلالات أكيدة على أنها كانت نبوءات فى عصره أصبحت الآن فى عصرنا أحداثا وقعت وتاريخا لنا بعد مضى ألفى عام عليها ونستطيع استنتاج التالى من أقوال المصطفى - كإخوته الانبياء - الحكيم عيسى بن مريم عليه السلام :

١ - غفلة كثير من أهل الكتاب عن محمد ﷺ:

أعطى المسيح مثلا لقوم نوح الذين أغمضوا أعينهم وظلوا يتمتعون حتى جاءهم الطوفان فنجا من ذهب مع نوح وأغرق الباقون، كذلك عند مجيء محمد ﷺ سيؤمن به البعض ويتعامى عنه الباقون حتى يفيقوا بعد انتهاء حياتهم فقال المسيح :

« وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان . لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوّجون ويزوِّجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك . ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع . كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان . حينئذ يكون اثنان فى الحقل يؤخذ الواحد ويترك الآخر . اثنتان تطحنان على الرحى تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى »

مصداق قول القرآن :

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ (الحجر : ٣)

٢- المسيح يدعو محمداً ﴿ﷺ﴾سيداً لأصحاب المسيح :

كلمة « رب » تعنى « السيد والكفيل » وتطلق على شخص أو فرد كما يعنى بها الإله أيضا . ففى اللغة العربية رب العمل ورب الأسرة وربة الدار وربة الأمة . وفى الكتاب المقدس كذلك فقال داود « قال الرب لربى إجلس عن يمينى » (مزمور : ١١٠ -١)

فهنا تعنى « قال الرب لسيدى » .

لذلك تكلم المسيح معطياً تلك الصفة لمحمد ﴿ﷺ﴾ فقال :

« اسهروا لأنكم لاتعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم » .

وقال :

« طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا ».

٣ - أوصى المسيح بعدم الشحناء والبغى بين أتباعه حتى يجىء محمد ﴿ﷺ﴾:

قال القرآن الكريم :

وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ (٣ آل عمران : ١٩)

وقال :

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ (٤٢ الشورى : ١٤)

وقال :

فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ (٤٥ الجاثية : ١٧)

فالقرآن يقر بأن الإختلاف قد وقع بين من حملوا الكتاب ولكن السبب لم يكن هو التقوى والغيرة على الدين ولكن كان للبغى والعدوان والصراع على النفوذ الكنسى أو السلطوى وهذا ما حذَّر المسيح أتباعه منه أثناء انتظارهم لمجىء ملكوت السموات بقيادة محمد ﴿ﷺ﴾فلو أنهم لم يختلفوا لكانت هناك سلطة واحدة لايصعب عليها قراءة القرآن واستيعاب ما فيه والتأكد من أن المسلمين هم مملكة الله أو مملكة السماء التى جاء المسيح خصيصا ليعظ ببشارتها « بإنجيلها » وأن كتابه كان البشارة أو الإنجيل فقد قال المسيح إنه جاء خصيصا ليبشر بالملكة فقال :

« فقال لهم إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لانى لهذا قد أرسلت » .

(لوقا : ٤ : ٤٣)

وجاء أيضا :

« وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز « يعظ »ببشارة ملكوت الله. ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل «البشارة» » .

(مرقس : ١ : ١٤ : ١٥)

وها نحن نرى أن اختلاف أتباع المسيح وانقسامهم لمئات الكنائس قد أضلهم عن رسالة المسيح وهى البشارة بمجىء محمد ﴿ﷺ﴾ومملكته .. مملكة السماء التى تحكم بشرع السماء وتفعل ما يريده الله فى كل الأمور فهى بحق المملكة التى يحكمها الله بقانونه وبشرعه . وللعجب أن ما حذّر منه المسيح من عدوان وبغى وشحناء قد وقع وصدّ من يحملون بشارته «إنجيله » عن تلك البشارة فوصية المسيح كانت حاسمة فى التحذير من البغى والشحناء والفجور فقال :

« طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم أنه يقيمه على جميع أمواله . ولكن إن قال ذلك العبد الردىء فى قلبه سيدى يبطىء قدومه . فيبتدىء بضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى . يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها . فيقطعه ويحمل نصيبه مع المرائين.. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » .

فكما نرى تلك العظة والنبوءة قد صارت حقيقة واقعة الآن وأن الذين اختلفوا وتشاحنوا وتقاتلوا ثم افترقوا كان الرياء دافعهم ومنهاجهم فى قول المسيح :

« ولكن إن قال ذلك العبد الردىء فى قلبه سيدى يبطىء قدومه فيبتدىء بضرب العبيد رفقاء، ويأكل ويشرب مع السكارى . يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفهافيقطعه ويحمل نصيبه مع المرائين ».

أماالوصية بأنه إن طال الانتظار برز الرياء والشحناء والفسق فقال المسيح :

« إن قال ذلك العبد الردىء فى قلبه سيدى يبطىء قدومه فيبتدىء فى ضرب العبيدرفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى » .

فهو نفس ما قاله القرآن عن أنهم طالت فترة إنتظارهم لمجىء محمد ﴿ﷺ﴾ فقست قلوبهم

ونمى فيها الرياء والبغى فقال القرآن :

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ (٥٧ الحديد : ١٦)

فكما نرى هنا قول القرآن إن طول الوقت الذى انتظروا فيه محمدا ﴿ﷺ﴾ أدى إلى قساوة قلوبهم وعدم خشوعها لذكر الله وما أنزله من ا لحق وبالتالى عدم دخول الإسلام وهذا ما قاله المسيح عن العبد الذى يضرب رفقاءه وفى مثل العذارى التالى :

طول الزمن أفقد البعض البصيرة وأدي إلي عدم دخولهم الإسلام:

وقد شرح المسيح ذلك لأتباعه عندما ضرب مثل العذارى التالى

« حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس . وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا . وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن . ففى نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه . فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن . فقالت الجاهلات للحكيمات أعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفىء . فأجابت الحكيمات قائلات لعله لا يكفى لنا ولكن اذهبن إلى الباعة لكن . وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب . أخيراً جاءت بقية العذارى أيضا قائلات يا سيد يا سيد افتح لنا فأجاب وقال الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن . فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفوا اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان » . (متى : ٢٥ : ١ - ١٣)

يتضح من ذلك المثل أن ابن الإنسان محمد ﴿ﷺ﴾عند مجيئه سيدخل معه « فى دينه » جمهرة من الناس « الحكماء المنتظرين » وهؤلاء يكون لهم السرور ودخول الدين « دخول العرس » وأن هناك مراءون ومتباطئون « الحمقة والجهلة » فسيمر عليهم الوقت وإذ لم يدخلوا فى أول الأمر « مبدأ ظهور الإسلام ومبدأ انتشاره » فلم ولن يدخلوه أبداً (الجمهور المتبقى للآن من أهل الكتاب دون دخول الإسلام).

والمسيح عليه السلام كما ذكرت مراراً كان غاية فى الحكمة وكان يقول كل مثل من أمثلة

الملكوت وبعد أن يشرح المثل يوضح الغرض من ضربه لهذا المثل . وهذه سمة فى كل أمثاله عن الملكوت وكانت غاية حكمته من ذلك هو ألا يدع مجالاً للرياء أو المراء مع التشكك والجدل فى أمر الملكوت الذى قال عنه وعن وضوحه :

« وليس أحد يوقد سراجاً ويغطيه بإناء أو يضعه تحت سرير بل يضعه على منارة لينظر الداخلون النور . لأنه ليس خفى لا يُظهر ولا مكتوم لا يعلم ويعلن » (لوقا : ٨ : ١٦ - ١٧)

ويلاحظ النبرة الساخرة فى حديث المسيح عن معرفة الملكوت وإدراكه لأنه وللآن لايعرف من يدينون بالإنجيل ماهو الملكوت مع أنه ليس مخبأ تحت السرير ولا فى الكسروله ... كما قال المسيح .....!!! وما كان يشرحه المسيح ويضرب له الأمثال ويصف بها سماته وعلاماته من أمر الملكوت صار تاريخا مدونا وماضيا فصلّت أحداثه لنا وهذا المثل كان نبوءة للمسيح إنه عند بدء الإسلام وأثناء انتشاره من دخله فى ميعاده ومبدأه كان من أهله ومن لم يدخله فمن أصعب الأمور بعد ذلك أن يدخل هو أو نسله الإسلام وهذا ما قاله وذكره الرسول (ﷺ) فى رسالته لهرقل :

« فإنما عليك إثمك وإثم الإرثيين من بعدك » .

أى أنه يتحمل تبعة عدم دخوله الإسلام وذنب من سيأتى من بعده متأخراً عن ميعاد الدخول « دخول العرس كما أوضح المسيح فى المثل السابق »

من آمن وعمل يأخذ الغنيمة والإمارة ومن أبي يدفع الجزية ويدخل النار :

ارتبط الإيمان فى العقيدة الإسلامية بالعمل الصالح وكان خطاب القرآن ليس للذين آمنوا فقط بل للذين آمنوا وعملوا وإن خاطب الذين آمنوا فقط فقد كان يطالبهم بالعمل المطلوب منهم فجاء عن تكليف الذين آمنوا:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) (البقرة : ١٨٣)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ (٢ البقرة : ٥ : ٢٥٤)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ (٢ البقرة : ٢٦٤)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ (البقرة : ٢٦٧)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) (البقرة : ٢٧٨)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) ﴾
(٣ آل عمران : ١٠٠)

وارتبط الإيمان بعمل الصالحات فجاء :

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ (٢ البقرة : ٢٥)

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) (٢ البقرة : ٨٢)

وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) (٣ آل عمران : ٥٧)

ووصف الرسول ﴿ﷺ﴾ الإيمان بأنه « ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

وكان منهج الإسلام هو التفريق بين من آمن قبل الفتح وبعده والتفضيل لمن شهد بدراً :

وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)
(٥٧ الحديد : ١٠)

وجاء أيضا :

لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
(٤ النساء : ٩٥)

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ (١٨) (٣٢ السجده : ١٨)

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦) (١٦ النحل : ٧٥ – ٧٦)

فيلاحظ من المثل الذى ضربه الله فى سورة النحل فى القرآن ذلك التطابق بينه وبين حديث السيد المسيح التالى فى شرحه عن منهج ملكوت السموات ذلك المنهج الذى صارت عليه الأمة

الإسلامية والذى ضربه القرآن ومن ذلك يتضح لنا أن المسيح كان غاية فى الحكمة لعظم مبلغه من العلم عن مملكة السماء مملكة الإسلام التى جاء - كما قال - ليبشر ويعظ بقربها فقال السيد المسيح عن منهج العمل فى قيام دولة الإسلام أو ميثاق العمل فى الإسلام :

« وكأنما إنسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله . فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة كل واحد على قدر طاقته . وسافر للوقت . فمضى الذى أخذ الخمس وزنات وتاجر له فربح خمس وزنات أخر .

وهكذا الذى أخذ الوزنتين ربح أيضا وزنتين أخريين . وأما الذى أخذ الوزنه فمضى وحفر فى الأرض وأخفى فضة سيده وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم فجاء الذى أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أخر قائلا :

يا سيد خمس وزنات سلمتنى . هو ذا خمس وزنات أخر ربحتها فوقها . فقال له سيده نعماً أيها العبد الصالح والأمين كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير . أدخل إلى فرح سيدك

ثم جاء إلى الذى أخذ الوزنتين وقال :

« يا سيد وزنتين سلمتنى . هو ذا وزنتان أخريان ربحتهما فوقهما . قال له سيده نعماً أيها العبد الصالح الأمين . كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك .

ثم جاء أيضا الذى أخذ الوزنة الواحدة وقال :

« يا سيد عرفت أنك إنسان قاس تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر . فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك فى الأرض . هوذا الذى لك . فأجاب سيده وقال له أيها العبد الشرير والكسلان عرفت أنى أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر فكان ينبغى أن تضع فضتى عند الصيارفة فعند مجيئى كنت آخذ الذى لى مع ربا . فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذى له عشر وزنات . لأن كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه . والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » .

(متى : ٢٥ : ١٤ - ٣٠)

ولنطالع مرة أخرى مثل العبيد فى سورة النحل :

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ

يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦)

(النحل : ٧٥ – ٧٦)

فنرى فى مثل القرآن أن الرزق رزقه الله لمن ينفقه ولا يستوى مع من لا يستطيع الإنفاق كذلك المثل الثانى وانطباقه على مثل العبيد فى حديث المسيح .

ففى المثل الثانى فى القرآن رجلاً أبكم لا يقدر على عمل أى شيء حتى عندما يوجهه سيده لا يستطيع عمل شيء نافع فهو لا يستوى مع الذكى الذى يأمر بالعدل المستقيم فى أفعاله وحركاته وأوامره . والمسيح عليه السلام كان يصف أمور المسلمين لأصحابه كى يعرفوها عندما يجيء المسلمون ومن مثل السيد المسافر وعبيده نستطيع أن نرى ما حدث فى التاريخ الإسلامى الذى تنبأ له المسيح فى أمثلته كالآتى :

١ – كل يتم تكليفه حسب طاقته : أشار رسول الله عيسى بن مريم فى أمثاله إلى أن محمداً ﴿ﷺ﴾ هو السيد واستعمل أحيانا مرادف آخر لكلمة السيد « الرب » وأشرنا إلى ذلك من قبل والسيد المقصود فى مثل العبيد السابق هو محمد ﴿ﷺ﴾ الذى كان يكلف الرجل بما يناسبه وقد أوردنا الآيات القرانية التى دلت على التفريق بين درجات الإيمان كذلك فى القيام بالعمل وبالتالى الأجر فى الاخرة وقد وصف المسيح ذلك فقال :

« وكأنما إنسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله . فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنه كل واحد على قدر طاقته » .

يشير ذلك إلى أن العمل هو الأساس لقيام الدعوة وقيام أمة ملكوت السموات وجاء فى القرآن عن ماهيه العمل فى الإسلام :

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)

(٩ التوبة : ١٠٥)

وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١)

(١١ هود : ١٢١)

قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩)

(٣٩ الزمر : ٣٩)

أما أن التكليف بحسب الطاقة الايمانية والجسدية والحساب يتم على ذلك :

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا

تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (٢٨٦) ﴾

(البقرة : ٢٨٦)

محمد ﴿ﷺ﴾ المسافر :

ضرب المسيح عليه السلام مثلين فى وصف محمد ﴿ﷺ﴾مسافراً . والمتتبع لسيرة محمد ﴿ﷺ﴾ يجده كان دائم الترحال من هجرة إلى عشرات الغزوات ونجد وصف المسيح له بالمسافر فى هذا المثل وفى مثله فى لوقا (١٩ : ١١- ٣٧) حينما وصف هجرته﴿ﷺ﴾ ورجوعه لمكة ظافراً .عندما ظن أتباع المسيح أن مملكة الله «المسلمين» ستظهر فى التو بعد المسيح أوضح لهم أنه ينبغى أن يأتى محمد ﴿ﷺ﴾ويهاجر ويتتبعه أهل مدينته « مكة » ليقضوا عليه ويرجع مكة ظافراً ويأمر بقتل رؤوس الكفر حتى لو كانوا تحت أستار الكعبة فشرح ذلك المسيح فى لوقا قائلا :

« وإذا كانوا يسمعون هذا عاد فقال مثلا لأنه كان قريبا من أورشليم وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال فقال : إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة «بلده» بعيده ليأخذ لنفسه ملكا ويرجع . فدعا عشرة عبيد له وأعطاهم عشرة أمناء وقال لهم تاجروا حتى آتى . وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فأرسلوا وراءه سفارة قائلين لانريد أن هذا يملك علينا . ولما رجع بعدما أخذ الملك أمر أن يدعى إليه أولئك العبيد الذين أعطاهم الفضه ليعرف بما تاجر كل واحد » . (لوقا : ١٩ : ١١ - ١٦)

النعمة أو الجزيه :

كرر المسيح قوله لأتباعه فى كلامه عن الملكوت :

« لأن من له سيعطى وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه » . (مرقس :٤ : ٢٥)

وعن الملكوت قال أيضا :

« لأنه ليس خفى لا يظهر ولا مكتوم لا يعلم ويعلن فانظروا كيف تسمعون . لأن من له

سيعطى . ومن ليس له فالذى يظنه له يؤخذ منه » . (لوقا : ٨ : ١٧ - ١٨)

وفى متى قيل عن قليل الإيمان والمتشكك فى أمر الملكوت :

« فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذى له العشر وزنات . لأن كل من له يعطى فيزداد ، ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه » (متى : ٢٥ : ٢٨ - ٢٩)

ولا يظن القارىء هنا أن قول المسيح " من له يعطى فيزداد " أنه يقصد من كان له مال بل يقصد الإيمان وذلك لتصريحه بأنه صعب جداً أن يدخل غنى ملكوت الله :

« فقال يسوع لتلاميذه الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت الله وأقول لكم أيضاً أن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى ملكوت الله » .

(متى : ١٩ : ٢٣ ، ٢٤)

وفى لوقا

« فلما سمع يسوع ذلك قال له يعوزك أيضاً شيء . بع كل مالك ووزع على الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى . فلما سمع ذلك حزن لأنه كان غنياً جداً . فلما رآه يسوع قد حزن قال ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله لأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » . (لوقا : ١٨ : ٢ - ٢٥)

فمن تصريح المسيح بصعوبة دخول الأغنياء ملكوت الله نستطيع أن نحصر معنى « من له سيعطى ويزداد ومن ليس له فالذى يظنه له يؤخذ منه » هو أن المقصود بما يكون له أو عنده هو « الإيمان » فمن يؤمن سيأخذ ويزداد ومن لا يؤمن سيدفع ماله الذى يظنه أنه له لأن عقيدة الإسلام بأن المال هو مال الله والبشر يُستخلفون فيه .

آمنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ (٥٧ الحديد : ٧)

فمن ذلك نعلم أن المسيح كان يخبر أتباعه بأنه من آمن بالملكوت « الإسلام » وابن الإنسان أو ابن الرجل محمد ﴿ﷺ﴾ سيزداد إيمانه وحسناته وماله أيضا وأما من ليس عنده إيمان فإن المال الذى يظنه أنه له - والحقيقة أن الله أعطاه له وجعله خليفة له فيما عنده من مال - سيؤخذ منه وقد صرح المسيح من قبل بأن أبناء الملكوت أحرار لايدفعون الجزية فقال :

« ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمن بينهم أم من الأجانب . قال له بطرس من الأجانب . قال له يسوع فإذا البنون أحرار » . (متى : ١٧ : ٢٥ - ٢٦)

أما عن أن من آمن بمحمد قد غنم وصار له المال فقد ورد فى التاريخ الإسلامى عن كثرة المال فى بيت مال المسلمين وعدم وجود أوجه لصرفه لعدم وجود فقراء فتقرر تزويج الشباب من بيت المال وقد وعد الله من آمن بمحمد ﴿ﷺ﴾ بذلك فقال :

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾

(٤٨ الفتح : ١٨ – ٢٠)

فكان الوعد الحق فغنم المسلمون حتى أنه ما أسقط ملكهم إلا الترف من النعم التى آلت إليهم . أما عن أن من كفر بمحمد ﴿ﷺ﴾من أهل الكتاب يدفع الجزية فجاء فى القرآن مصداقا لقول المسيح « ومن ليس له فالذى يظنه له يؤخذ منه » :

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ (٩ التوبة : ٢٩)

لذلك نرى أن المسيح لم يضرب مثلاً واحداً من أمثاله لا ينطبق على المسلمين ومحمد ﴿ﷺ﴾ بينما لا ينطبق أى من تلك الأمثال على من ينسبون أنفسهم لبشارته أو إنجيله .

المنافقون والكافرون إلي جهنم

كانت الحرب ضد الإسلام دائما من محورين رئيسيين :

١– محور من تردد فى الإيمان ورفضه وكفر به .

٢ – محور المنافقين الذين تظاهروا بالإيمان ولم يكن لهم مقدرة على تقبله أو القيام بإلتزاماته لأن الإيمان فى الإسلام يترتب عليه العمل .

فكان من حرب المنافقين للرسول ﴿ﷺ﴾ بعد الدسائس وغيرها من الأفكار المتشككة فيه وسبه أحيانا فجاء فى القرآن عن المنافقين فى أن مأواهم جهنم :

وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

(٩ التوبة : ٦٨)

وجاء فى مثل المسيح عن العبد الردىء ذى الوزنة الواحدة :

« والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ».

(متى : ٥ : ٣٠)

وفى أنه كسول وشرير :

« فأجاب سيده وقال له أيها العبد الشرير والكسلان » . (متى : ٢٥ : ٢٦)

وفى كسل المنافقين

وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ (٩ : التوبة : ٥٤)

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ (٤ : النساء : ١٤٢)

وفى سبهم للرسول ﴿ﷺ﴾ قال المسيح عن العبد البطال الردىء :

« وقال يا سيد عرفت أنك إنسان قاس تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك فى الأرض هو ذا الذى لك فأجاب سيده وقال له أيها العبد الشرير والكسلان عرفت أنى أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر . فكان ينبغى أن تضع فضتى عند الصيارفة فعند مجيئى كنت أخذ الذى لى مع رباً فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذى له العشر وزنات » . (متى : ٢٥ : ٢٤ – ٢٨)

فعن سب المنافقين للرسول قال القرآن :

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

(٦٣ : المنافقون : ٧ – ٨)

نهايةُ بمشهدٍ من القيامة :

من الطبيعى أن يكون آخر كلام السيد المسيح عليه السلام عن الملكوت هو آخر أموره أو نهايته والهدف من مجيئه وآخر ما نقله لنا الإنجيلى متى من كلام المسيح عن الملكوت هو

الثواب والعقاب فى حضور الملائكة والمصير الأبدى للمخطىء فى النار أو للمؤمن الصالح فى جنة أبدية وطبيعى ألا يكون ذلك على الأرض فقد مات المليارات من البشر منذ عهد آدم للآن.

. لذلك إن وصف المسيح فى كلامه قائلاً « فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية » . (متى : ٢٥ : ٤٦)

فأى مستوى للذكاء يفهم أن هذا هو مشهد مما سيحدث « بعد » إنقضاء العالم وليس «فى أو قبل » انقضاء العالم . إلا إن بعض من يتمادى فى إنكار أن ملكوت السماء – أو ملكوت الله – هم المسلمون وصل عناده إلى حد خلط الأمور والقول بأن كل الملكوت بعد انقضاء العالم ويوم القيامة بسبب تلك الأقوال الأخيرة للمسيح عليه السلام التى سنوردها :

« ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده . ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء . فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم . لأنى جعت فأطعمتمونى ،.عطشت فسقيتمونى، كنت غريبا فآويتمونى، عريانا فكسوتمونى ، مريضا فزرتمونى ، محبوسا فأتيتم إلى . فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك . أو عطشاناً فسقيناك . ومتى رأيناك غريبا فآويناك . أو عريانا فكسوناك ، ومتى رأيناك مريضا أومحبوساً فأتينا إليك فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم .

ثم يقول أيضا للذين عن اليسار اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لكم لإبليس وملائكته . لأنى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى . كنت غريبا فلم تأوونى . عريانا فلم تكسونى . مريضا ومحبوسا فلم تزورونى حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوسا ولم نخدمك . فيجيبهم قائلاً الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبى لم تفعلوا . فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية » . (متى : ٥ : ٣١ – ٤٦)

واللبث الذى يحدث عند من يؤمن بأن « ابن الإنسان » الذى تكلم عنه المسيح هنا هو المسيح عيسى بن مريم نفسه . والقرآن دائما ما أشار إلى المسيح بأنه عيسى بن مريم وهذا حق .

ولكن إن قال المسيح عن نفسه إنه ابن « إنسان » وليس إبن « إنسانة » فهل هذا حق ؟! أو يصدر من المسيح ؟!

لأنها ترجمت « ابن الإنسان » فى العربية أما فى الإنجليزية فهى ابن الرجل The Son OF Man » وفى الترجمة الفرنسية « Le Fils d' Homme » وهى تعنى ابن الرجل فهل هذا حق أم كذب ؟!

وهل يكذب المسيح ؟!

ولكنه ليس كذبا فقط بل إغضاب لمريم أمه واتهام لها بالفاحشة وهى المصطفاة من النساء الطاهرة فهل يصدر هذا من ابنها !!؟

وقد أوردت ذلك فى فصل .

« المسيح ليس المقصود بابن الإنسان »

لذلك إن قال المسيح إن ابن الإنسان أو إبن الرجل سيكون قائدا لملكوت الله فهو يقصد محمداً ﴿ﷺ﴾ وإن قال إن ابن الإنسان سيسلم ليصلب فهو يقصد آخر غيره لأن المسيح لم يقل مطلقا إنه سيكون ملكوت السماء أو ملكوت الله ولكن كان دائما يصف ذلك لابن الرجل محمد ﴿ﷺ﴾.

ولكن أى فرد غير المسيح ينطبق عليه القول بأنه ابن الرجل أو ابن الإنسان كل البشر ينطبق عليهم ذلك إلا المسيح والتوراة تقول فى أشعياء (٥٣) بأن المسيح أخذه الله من السجن والمحاكمة وتساءلت عمن يخبر جيله بأنه قطع من أرض الأحياء وأنهم جعلوا قبره مع الشقى ولكن مع الغنى عند موته برغم أن الله أخذه أو قطعه من أرض الأحياء أى أنه لم يذق الموت . بينما يخبرنا القرآن بأنهم ما صلبوه وما قتلوه ولكن شبه لهم والمسيح يخبرهم بأن ابن الإنسان أو ابن الرجل سيسلم للأمم ويصلبوه أى أنه يقول لهم إن فردا غيره سيصير له ذلك ، ومع ذلك يصرون على أنه هو ابن الرجل أو ابن الإنسان مع علمهم أنه ليس له أب من الآدميين وفى الآيات السابقة من إنجيل متى ماورد عن إبن الإنسان محمد ﴿ﷺ﴾الذى قيل عنه بأن الأمم ستقف أمامه فيميز بينها كما يميز الراعى بين معزه ، وخرافه . لقد ورد ما يشابه ذلك فى القرآن بأن الرسول سيكون شاهداً على الأمم يوم القيامة :

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ (٤ : النساء : ٤١)

وجاء فى ذلك أيضا :

ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (٨٩) (١٦ : النحل : ٨٩)

أما فى القول بأن المحسنين قد أطعموا الملك عندما زاروا المرضى فقد ورد ذلك أيضا فى حديث قدسى فى مالدينا من أحاديث شريفة. لذلك نرى أن القرآن قد أورد لهم أمور الملكوت فى الدنيا وبعد القيامه كما تنبأ بذلك المسيح ولكنهم يخلطون أمور الدنيا بأمور الآخرة وما لديهم لايصح إلا بمحمد ﴿ﷺ﴾الذى يصدقه أى يجعله صادقا.

المسيح يتنبأ بخطأ جميع تلاميذه فيه وأولهم أقواهم بطرس

كما أشرت من قبل فى أكثر من كتاب بأن التوراة تتفق مع القرآن فى عدم صلب المسيح وأنه قد قطع من أرض الأحياء ولكن البشر ادعوا صلبه ودفنه وقيامته فقد جاء فى أشعياء (٥٣) « ترجمة حرفية من نسخة الملك جيمس ومراجعة مع الأصل العبرى » .

« من الذى صدق كلامنا ؟ ولمن تكشفت ذراع الرب ؟ لأنه سوف ينمو أمامه كنبات نضير وكجذر خارج من أرض جافة لم يكن له هيئة أو حسن وعندما نراه دون جمال كما وجب أن نريده يحتقر وينبذ من الرجال . رجل ذو أسف متقابل مع الحزن وأخفينا كما قدر أوجها منه . كان محتقراً ولم نعزه وبالتأكيد فقد تحمل أحزاننا وحمل أسفنا إلا أننا قدرناه مصاباً ومبتلاً من الله ذليلاً .

ولكنه جرح بسبب تعدياتنا وسحج بسبب ظلمنا والتأديب لأجل راحتنا كان عليه وبسيوره نشفى كلنا كغنم صارت ضالة وقد تحول كل واحد إلى طريقه والرب قد أركن عليه ظلم جميعنا . قهر وكان ذليلاً لكنه لم يفتح فاه أخذ من السجن والمحاكمة ومن الذى يعلن إلى جيله أنه قد بُتِرَ من أرض الأحياء وبسبب تعديات شعبى كان مصابا .

وهم جعلوا قبره مع الشقى ولكن مع الغنى عند موته لأنه لم يعمل أى عنف ولم يكن فى فمه غش .

إلا أنه قد سر الرب أن يسحجه . وضعه للحزن عندما تجعلوا روحه قربانا للخطيئة سيرى

بذوره وستطول أيامه ومسرة الرب ستزدهر في يدها سيرى كدّ روحه كن راضيا .

بمعرفته عبدى المستقيم سيقوم كثيرين لأنه سيحمل عنهم إصرهم . لذا سأقسم له نصيبا مع العظيم وسيزهق الباطل بالقوى لأنه أهرق روحه حتى الموت وحسبوه مع المعتدين ووضع خطية كثيرين وقام بشفاعة فى المعتدين » .

هذا الإصحاح يتكلم عن المسيح وشفائه للأمراض وكيف إنه يتألم من اتخاذ البعض له كذبيحة أو قربانا يكفر عن آثامهم وأن محمداً ﷺ هو الذى سيقوم الكثيرين بمعرفته الحق عن المسيح .

وما نركز عليه الآن هو تلك الفقره :

« أخذ من السجن والمحاكمة ومن الذى يعلن إلى جيله أنه قد بتر من أرض الأحياء وبسبب تعديات شعبى كان مصابا .

وهم جعلوا مع الشقى قبره ولكن مع الغنى عند موته لأنه لم يعمل عنفاً ولم يكن غش فى فمه » .

فهذه الفقرة فى وقتها – ٦٧٠ عاما قبل المسيح – كانت تشير بوضوح إلى أن المسيح لن يقتل أو يصلب وسيؤخذ من أرض الأحياء ولن يذق الموت ولكن الناس سيجعلون له قبراً وروايات عن غنى يشترى له الأكفان عند موته ولكنها أيضا تقول إن المسيح لم يكن فى فمه غش والمسيح كان يعرف التوراة جيداً وكثيراً ما استشهد بسفر أشعياء وقال إنه لابد أن يتم كما هو مكتوب عنه فى الكتب . وأشعياء تنبأ بذلك للمسيح قبل ولادة المسيح بأكثر من ستمائة عام والمسيح كان يعلم أنه هو من تنبأ عنه أشعياء فقال لتلاميذه :

« وقال لهم يسوع إن كلكم تشكون فىّ فى هذه اليلة . لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتتبدد الخراف ولكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل . فقال له بطرس وإن شك الجميع فأنا لا أشك . فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات » . (مرقس : ١٤ : ٧ – ٣٠)

أما فى متى فنفس الألفاظ « هناك خطأ فى الترجمة العربية سنوضحه بعد النص » :

« حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية . ولكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل . فأجاب بطرس وقال له وإن شك

فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً . قال له يسوع الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات . قال له بطرس ولو اضطررت أن أموت معك لاأنكرك . هكذا قال أيضا جميع التلاميذ » . (متى : ٢٦ : ٣١ - ٣٥)

وقد وردت رواية ثالثة فى لوقا :

« وقال الرب سمعان ، سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة . ولكنى طلبت من أجلك لكى لايفنى إيمانك. وأنت متى رجعت ثبت إخوتك . فقال له يارب إنى مستعد أن أمضى معك حتى إلى السجن وإلى الموت . فقال أقول لك يابطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفنى » . (لوقا : ٢٢ : ٣١ - ٣٤)

وفى النسخة الأصلية للملك جيمس الآية ٣٢ فى لوقا ٢٢ .

« ولكنى طلبت من أجلك لكى لايفنى إيمانك وأنت متى رجعت إلى ثبت إخوتك » .

فلا توجد كلمة « إلى » فى الترجمة العربية أما رواية يوحنا للحادثة :

« يا أولادى أنا معكم زمانا قليلا بعد ستطلبوننى وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا أقول لكم أنتم الآن . وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضا . كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضا بعضكم بعضا . بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضاً لبعض .

قال له سمعان بطرس يا سيد إلى أين تذهب . أجابه يسوع حيث أذهب لاتقدر الان أن تتبعنى ولكنك ستتبعنى أخيراً . قال له بطرس يا سيد لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن . إنى أضع نفسى عنك . أجابه يسوع أتضع نفسك عنى الحق الحق أقول لك لا يصيح الديك حتى تنكرنى ثلاث مرات » . (يوحنا : ١٣ : ٣٣ - ٣٨)

فى روايات متى - مرقس - لوقا - نجد أن التلاميذ كلهم سيشكون فى المسيح وفى نسخة الملك جيمس جاء بدلاً من كلمة « تشكون » كلمة « تعثرون » فجاءت « Stumble » بمعنى يعثر ولم تجئ كلمة « Suspect أو Doubt » بمعنى « يشك » . وجاء فى لوقا أن الشيطان سيغربل التلاميذ فى هذه الليلة « ليلة القبض على المسيح »

أى أنه سيعثرهم فيما قاله المسيح ولكن المسيح طلب من الله ألا يفنى إيمان بطرس ليثبت إخوته أى أن بطرس قد صار أقوى التلاميذ لأنه هو الذى سيقويهم « ولكنى طلبت من أجلك

لكى لايفنى إيمانك وأنت متى رجعت فثبت إخوتك » .

ومع ذلك فإن أقوى تلاميذه سينكره ثلاث مرات فى هذه الليلة « لا يصيح الديك حتى تنكرنى ثلاث مرات » - طبقا للوقا ويوحنا ومرقس وطبقا لمتى « قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات » فهذا أقوى التلاميذ !! ولكن السؤال الذى يطرأ هو لماذا فى هذه الليلة بالذات سيعثر كل التلاميذ فيه فكما قلنا من قبل لأن التوارة قالت ذلك والقرآن قال ذلك :

- أن المسيح لن ولم يصلب أو يقتل فالتواره قالت إنه لن يصلب وسيقطع من أرض الأحياء ومن الذى سيخبر جيله بذلك وأشارت إلى مجىء العبد المستقيم محمد ﴿ﷺ﴾ لكى يقوم الكثيرين فى تلك المسألة وغيرها . وهنا يقول المسيح عن تلك الليلة إن الشيطان سيتمكن من التلاميذ وأنهم سيعثرون كلهم . فلماذا العثرة فى تلك الليلة بالذات ؟ لأنه كما أخبرهم المسيح مراراً بأن ابن الإنسان « ابن الرجل » هو الذى سيأخذه أعداؤه ليصلبوه والمسيح كان يتعمد الكلام بالحكمة والأمثال لمعرفته إن هناك عثرات حوله فقال عن العثرات

« وطوبى لمن لا يعثر فىَّ » . (لوقا : ٧ : ٢٣) ، (متى : ١١ : - ٦)

وجاء أيضا عن العثرات

« ويل للعالم من العثرات . فلابد أن تأتى العثرات ولكن ويل لذلك الإنسان الذى تأتى به العثرات » . (متى : ١٨ : ٧)

أما عن تعمده الكلام بالحكمة ومن قواعد الحكمة أن الكلام ينطبق بحذافيره على المتكلم وقد أخبر المسيح أنه سيكلم تلاميذه بفم وحكمة بحيث لايستطيع معاند لهم أن يجد ثغرة فى أقواله فقال :

« فضعوا فى أنفسكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لايقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها » . (لوقا : ٢١ : ١٤ - ١٥)

ومن مميزات الحكمة أن يفهمها العقلاء ولا يفطن إليها الجهلاء والحمقى الذين يمرون على الكلام دون تدبر معانيه .

فنجد فى ليلة القبض على المسيح أو بمعنى أصح فى ليلة فراقه للتلاميذ يقول لهم إنهم جميعا سيعثرون فيه .. ولم يوضح فى أى أمر من الأمور فلا يبقى إلا أنهم سيعثرون فى مصيره بعد تلك الليلة لذلك استشهد بما هو مكتوب عنه وعن ابن الإنسان وأن ابن الإنسان

محمد ﴿ﷺ﴾ سيأتي ويمضي في طريقه كما هو مكتوب عنه والويل لمن يحاول خيانته فإن كان البعض قد خان المسيح فهذا أمر مقدر له أما محمد ﴿ﷺ﴾ فهذا أمر يكون لصاحب الخيانة فيه الويل وذلك ما حدث مع محمد ﴿ﷺ﴾ فقال عن ذلك المسيح :

« يوجد بعض التحريف في المعنى ... نوضحه »

« وفيما هم يأكلون قال الحق أقول لكم إن واحداً منكم « يسلمني » فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب . فأجاب . وقال الذي يغمس يده معي في الصفحة هو «يسلمني » . إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذي به « يُسلم » ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد . فأجاب يهوذا « مُسلمة » وقال هل أنا هو يا سيدي . قال له أنت قلت » . (متى ٢٦ : ٢١ - ٢٥)

فهنا تمت ترجمة كلمات « يسلمني - ويسلمني - ويسلم - ومسلمة » وهي خطأ والصحيح « يخونني - ويخونني - ويخان - خائنة » فلم ترد بمعنى « يسلم » في نسخة الملك جيمس بل جاءت الكلمات كما أوضحنا « يخونني - يخونني - يخان- وخائنة » فجاءت الكلمات

"me Betray" يخونني "Betray me" و يخونني "Is betrayed" يخان "Was Betraying him" كان يخونه وذلك مهم جداً لأنه قد حرف المعنى تحريفا كبيراً فجعل أن من يخون ابن الإنسان محمدا ﴿ﷺ﴾ يسلمه . ومحمد ﴿ﷺ﴾ لم يسلمه أحد لأعدائه أما محاولات خيانته . فكانت كثيرة وأتت بالوبال على من ارتكب تلك المحاولات بدءا من اليهود في حرب الخندق وانتهاء بالمنافقين وقد ورد ذلك في القرآن وسنورده بعد أن نكتب تلك الفقرة من كلام المسيح في ليلة فراقه لتلاميذه فهي دون تحريف تكون هكذا :

« وفيما هم يأكلون قال الحق أقول لكم إن واحداً منكم يخونني . فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب . فأجاب وقال الذي يغمس يده معي في الصفحة هو يخونني . إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يخان ابن الإنسان كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد . فأجاب يهوذا خائنة هل أنا هو يا سيدي قال له أنت قلت » . (متى : ٢٦ : ٢١ - ٢٥)

وتأكيداً لذلك جاءت أيضا رواية مرقس في نسخة الملك جيمس بنفس المعنى كالتالي :

« وفي المساء جاء مع الإثنى عشر . وفيماهم جالسون يأكلون ، قال يسوع بالحق أقول

لكم إن واحدا منكم ممن يأكلون معي « سيخونني» . فابتدأوا يأسفون وقالوا له واحد فواحد هل أنا ؟ وآخر هل أنا ؟ فأجاب وقال لهم إنه أحد الإثنى عشر الذى يغمس يده معى فى الصفحة . إن ابن الإنسان حقا يذهب طبقاً لما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يخان ابن الإنسان « ابن الرجل » كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد أبداً » .

(مرقس : ١٤ : ١٧ - ٢١)

من ذلك ترى أن المسيح عندما أخبر تلاميذه وهو ملىء بالأسف أن أحدهم سيخونه كان يعزى نفسه ويعزيهم بأن محمداً ﴿ﷺ﴾ ماض ويأتى كما هو مكتوب عنه ولن يستطيع أحد خيانته لأنه سيكون من القوة فى رده عليه لدرجة أنه كان خيراً لمن يحاول خيانة محمد ﴿ﷺ﴾ لولم يولد . أما التحريف الذى وقع فقد أدخل معنى ابن الإنسان « ابن الرجل » على المسيح فى أن هناك من يسلمه والويل لمن يسلم ابن الإنسان فجعل المعنى ينطبق فى كل من الحالتين على المسيح وجعل المسيح هو ابن الرجل وهذا مانفاه المسيح كما أشرنا من قبل فى فصل من الباب الأول تحت عنوان «المسيح ليس المقصود بابن الإنسان » .

ومن ذلك نرى أن خطأ صغيراً فى الترجمة قد حرف المعنى وأخرجه عما كان يقصده المسيح وتعارض مع حكمة المسيح البالغة وجعله وكأنه يصف نفسه بأنه « ابن الرجل » مما يثير سخرية من لا يؤمن بالمسيح وذلك لمعرفة الناس أن المسيح حملت به أمه دون أن يمسسها رجل بينما يقول عن نفسه إنه ابن الرجل .. أى رجل .. !! ألا يفهمون كلام المسيح على حقيقته دون أن يسيئوا إليه أكثر من ذلك .. تنزه المسيح عليه السلام عن ذلك .

أما عن محاولات خيانة محمد ﴿ﷺ﴾ فقد ورد عنها ذلك فى القرآن الكريم :

إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧)

(٤ النساء : ١٠٥ - ١٠٧)

وهنا مقاطعة من الله ومن محمد ﴿ﷺ﴾ ابن الرجل كما ذكره المسيح - للخائنين من أهل الكتاب لما عاهدوا الله عليه بأنهم عندما يأتى محمد ﴿ﷺ﴾ يناصرونه ولا يعاندونه .

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)

(٥ : المائدة : ١٣)

فنجد أن الله قد اعتبر تحريف الكلام الموجود فى الكتاب المقدس عن مواضعه - مثل ترجمة يخون إلى يسلم - خيانة أمر رسوله بالصفح حتى يكونوا شهداء على أنفسهم بالكفر بمحمد ﴿ﷺ﴾ وجاء أيضا عن الخيانة :

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)

(٨ : الأنفال : ٥٥ - ٥٨)

فهنا أمر من الله لمحمد ﴿ﷺ﴾ بأن ينكل بالخائنين ويجعلهم عبرة لمن خلفهم وقد حدث.. وبذلك صدق المسيح عليه السلام فى حديثه الذى كان نبوءة عن محمد ﴿ﷺ﴾ ابن الإنسان أو إبن الرجل تلك الصفات التى لاتنطبق على المسيح الحكيم عليه السلام الذى تنبأ بتنكيل محمد «ص» لخائنيه عندما قال :

« إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يخان ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد » . (متى : ٢٦ : ٢٣ - ٢٥)

وكماجاء فى لوقا : (٢٢ : ٢٢)

« وإبن الإنسان ماض كما هو محتوم ولكن ويل لذلك الإنسان الذى يخونه » .

كذلك جاء فى مرقس : (١٤ : ٢١)

«« إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه .. ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يخان ابن الإنسان(١) » .

وايما كان الأمر فإن أراد المسيح أن يقول عن نفسه أنه المقصود بتلك الفقرة لقال « إنى ماض كما هو مكتوب عنى وويل لمن يخوننى » .

ولكن إن تكلم بضمير الغائب فهو يقصد إنسانا غير موجود معهم وهو محمد ﴿ﷺ﴾ وأنها ليست فذلكة أن يتكلم إنسان فى وسط جماعة جالسين معه عن نفسه بضمير الغائب فتلك

---

(١) ابن الرجل فى تراجم الكتاب المقدس فى كل اللغات عدا العربية.

[illegible] ولكنها تكون أمراضا نفسية وعقدا لا تصدر عن عاقل تنزه المسيح الحكيم المبارك عن ذلك عليه السلام .

مما مضى نرى كيف كان يتكلم المسيح بالحكمة ووضح ذلك للقارىء ، ووضح أنه كان يحس بالخطر وأنه كان يعرف قبل أن يُرفع أن تلاميذه سيعثرون ويكتبون فى بشاراتهم «أناجيلهم » الخطأ بأنه قد تم صلبه وقتله وهذا كان مكتوبا عنه وعن محمد ﴿ﷺ﴾ وتساءل ذلك الجزء من التوراه « أشعياء » عمن الذى يخبر جيل المسيح بأنه قطع من أرض الأحياء بينما هم جعلوا « رووا عن مريم المجدليه !! » له قبراً وقصصاً عن صلبه وموته وقيامته .

الباب السادس

ابن الإنسان والحكمة في الأناجيل

ابن الإنسان والحكمة في الأناجيل

كان مرقس من تابعي التلاميذ وكتب بشارته " إنجيله" بعد رفع المسيح . وفي مسألة رفع المسيح وشبهة صلبه وقيامته حتى على تلاميذه ذكرت سالفا تحت عنوان :

« المسيح يتنبأ بخطأ جميع التلاميذ فيه » إنه حتى أقرب تلاميذه سيخطئ ويشك فى أنه تم صلبه فقال المسيح لتلاميذه عن ذلك :

« وقال لهم يسوع إن كلكم تشكّون فى هذه الليلة . لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتتبدد الخراف ولكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل . فقال له بطرس وإن شك الجميع فأنا لا أشك فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات » . (مرقس ١٤ : ٢٧ – ٣١)

كما جاء فى متى (٢٦ : ٣١ – ٣٥)

« حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية . ولكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل .فأجاب بطرس وقال له وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً . قال له يسوع الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات قال له بطرس ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك هكذا قال أيضا جميع التلاميذ » .

من تلك الآيات يتضح لنا أن المسيح فى ليلة فراقه لتلاميذه أخبرهم أنهم سيشكون فيه .. فمن أى جهة ؟ أمن جهة الاعتقاد فيه أم أنهم سيشكون فى مصيره ؟ أما بالنسبة للإعتقاد فيه فلم يصرح المسيح فى أقواله المنقولة لنا فى الأناجيل بأنه الله . (أنظر كتاب المسيح فى الإنجيل بشر) وذلك نقله لنا كتبة الأناجيل . والمسيح صادق فى كلامه فمن أى جهة سيعثرون ويشكون فيه ؟ يتبقى الشك فى مصيره الذى قالت عنه التوارة إنه سيؤخذ من الأرض حيا وكذلك قال القرآن . والأناجيل كتبت بعد رفع المسيح وذيوع شبهة صلبه وانتشارها فذكرت جميع الأناجيل أنه تم صلبه ومات ثلاثة أيام « إختلفت مدة موته بين الأناجيل » وقام من الأموات وتم رفعه بعد ذلك بينما تساءلت التوراة كما ذكرت من قبل عمن

سيخبر جيله بأنه تم قطعه من أرض الأحياء وبعدها جاءت التوراة بعبد الله المستقيم محمد ﴿ﷺ﴾ الذى بمعرفته الحقة للمسيح سيقوّم الكثيرين . لذلك نرى أنه لاعجب إن نص متى فى إنجليه على أن المسيح ليس المقصود بابن الإنسان وعندما جاءت بشارة «إنجيل» المسيح إلى مرقس ليكتبها نجده كتب بطريقة مهتزة يأخذ قارئها انطباعا بالشك فى أن المسيح هو ابن الإنسان وعندما تصل بشارة المسيح إلى بولس الذى لم يكن تابعاً خالصا للتلاميذ بل كان يساوى نفسه بهم « ويعتقد فى كثير من الأحيان أنه أفضل منهم » نجده قد كتب متأكدا أن المسيح هو ابن الإنسان « ابن الرجل » كذلك دون أى تفكير فى كيفية مجيء المسيح للحياة دون تسبب أى رجل لحمل أمه الطاهرة المصطفاة به ولكن كل ذلك لإثبات النبوءة بأن حكمة الحكماء وفهم الفاهمين سينعدم فى مسألة المسيح كما جاء :

« لذلك ها أننا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه . ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون من يبصرنا ومن يعرفنا يالتحريفكم . هل يُحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعنى . أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم » . (أشعياء : ٢٩ : ١٤ - ١٦)

ويقر المسيح بذلك عنهم فيقول لتلاميذه :

« فتقدم التلاميذ وقالوا له لماذا تكلمهم بأمثال فأجاب وقال لهم لأنه قد أعطى لكم تعرفوا أسرار ملكوت السموات وأما لأولئك فلم يعط . فإن من له سيعطى ويزداد وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه من أجل ذلك أكلمهم بأمثال . لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون . فقد تمت فيهم نبوءة أشعياء القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون ومبصرين تبصرون ولا تنظرون . لأن قلب هذا الشعب قد غلظ . وآذانهم قد ثقل سماعها . وغمّضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » .
(متى : ١٣ : ١٠ - ١٦)

وجاء فى مرقس عن ذلك :

« فقال لهم قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء . لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم » . (مرقس : ٤ : ١١ - ١٢)

ويؤكد ذلك ما جاء فى لوقا :

« فسأله تلاميذه قائلين ما عسى أن يكون هذا المثل . فقال . لكم قد أعطى أن تعرفوا أسرار ملكوت الله . وأما للباقين فبأمثال حتى أنهم مبصرين لايبصرون وسامعين لا يفهمون »
(لوقا : ٨ : ١٠).

أما بولس فهو مصداق « يجعله صادقا » كلام الله فى ذلك ويقر بأن الحكمة قد صارت شيئا غير سوى وسيئا فيقول :

« فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله . لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء . أين الحكيم أين الكاتب . أين مباحث هذا الدّهر . ألم يجهل الله حكمة هذا العالم . لأنه إذا كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يُخلّص المومنين بجهالة الكرازة « العظة » لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة . ولكننا نحن نكرز « نعظ » بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة . وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله . لأن جهالة الله أحكم من الناس . وضعف الله أقوى من الناس .

فانظروا دعوتكم أيها الإخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء » .

(الرسالة الأولى لأهل كورنثوس : ١ : ٢١ – ٢٧)

فمن قول بولس السابق :

« لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس » .

لا استطيع إلا أن أقول سبحان الله وتعالى وتنزه عما يصفه بولس هل بالله ضعف؟!.. ومتى كان الله ضعيفا وهل بالله جهل ؟!.. ومتى كان سبحانه وتعالى يجهل .. ولكن الله رد على بولس قبل أن يأتى به إلى العالم فقال :

« أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم » . (أشعياء : ٢٩ : ١٦)

وتجلت قدرة الله فى بولس بأنه أنطقه شاهداً على نفسه بأنه قد أبيدت حكمته وفهمه فقال ذلك عن الله وامتدح الجهل وذم الحكمة وجعلها مدعاة لعدم معرفة الله « ألم يجهل الله حكمة هذا العالم لأنه إذا كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة » .

هل هذا هو ما فهمه بولس من قول الله « هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيبا فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فم فهمائه » .

فهنا يعاقب الله شعبا بإبادة حكمته أى يجعل الحكيم فيهم متساوٍ فى الفهم مع الجاهل وهذا عقاب من الله لليهود وليس مدحاً للجهل كما فهم بولس إن كان قد فهم ذلك ولا يتعمد تقليب الأمور وعكس المنطق وبناء ما يريده على المنطق المعكوس لأنه قد تعلم علوم اليونانيين فى المنطق وكانوا يعلمون كيفية عكس المنطق والوصول لما يريدونه بمنطق معكوس يقنع من أمامه بخلاف الحقيقة الموجودة بل يقنعه بما يريد عاكس المنطق الوصول إليه مهما خالف الحقيقة والواقع . ومثال ذلك من أقوال بولس :

« فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح . لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً » .

« الرسالة الأولى لأهل كورنثوس : ٩ : ٢٠ – ٢٢) .

فهل الدعاه يتلونون بلون من يدعونهم أم أن الدعوة ثابتة وواضحة وتجتذب – من نفسها ومن تحلى الداعى لها بمبادئها – المدعوين لها .. إن استعمال طرق لكل فئة يدرس فى فن البيع لا فى الدعوة لله ففى حالة الدعوة للعقيدة تجتذب مبادىء الدعوة الناس كذلك امتثال الدعاة بما فى دعواهم وتخلقهم بأخلاقها هو السبيل الوحيد لذيوعها . أما عن استعمال بولس لمبادىء وعقائد مختلفة لكل قوم حسب هويتهم فستتم مناقشته فى مبحث آخر ولنر كيفية مجيء الاهتزاز فى صورة المسيح عند البعض وإلقاء شبهة "صفة" ابن الإنسان « ابن الرجل » عليه فجاء فى ترجمة الشرق الأوسط المتداولة لإنجيل مرقس (٩ : ٣١ – ٣٢)

« لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدى الناس فيقتلونه وبعد أن يقتل يقوم فى اليوم الثالث . وأما هم فلم يفهموا وخافوا أن يسألوه » .

فنجد هنا أن التلاميذ عندما أخبرهم المسيح بأن « ابن الرجل » ... أى ليس المسيح « لأن المسيح لم يكن ابناً لأى رجل » لم يفهم التلاميذ قصده وخافوا أن يسألوه . فإذا كان المسيح هو المقصود بابن الإنسان كان الأمر أيسر ما يكون عندما يخبر تلاميذه بأن مصيره هو أن يصلب ويقتل ويقوم ولم تكن هناك مشكلة فى الفهم عند التلاميذ فأى أب يوصى أبناءه قبل

وفاته يعلم جميعهم وصيته ولا تحدث عندهم مشكلة فى فهم ما يريد إلا إذا حدثهم عن شىء لا يعرفونه أو شخص بعيد عن تصورهم لكن لو أخبر أى فرد جماعة بأنه سيموت فى السجن أو على المشنقة أو الكرسى الكهربائى فهل هناك مشكلة فى معرفة قصده لدى من سمعه؟! . بالطبع لا .. كذلك الحال بالنسبة للتلاميذ وقد جاء نفس المعنى فى لوقا (١٨ : ٣١ - ٣٤)

« وأخذ الإثنى عشر وقال لهم هانحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان . لأنه يسلم إلى الأمم ويستهزأ به ويشتم ويتفل عليه ويجلدونه ويقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم . وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئا وكان هذا الأمر مخفى عنهم ولم يعلموا ما قيل » .

نرى هنا أيضا أن التلاميذ كان لديهم صعوبة فى فهم معنى ابن الإنسان ولا يوجد تصريح للمسيح بأنه سيصلب . ولكنه كان دائما يقول : إن ابن الإنسان هو الذى سيصلب وبتدبر الكلام نجد أن المسيح لم يكن ابنا لإنسان أو رجل بل كان إبنا لامرأة وهذا ما وصفه القرآن دائما به ... « المسيح عيسى بن مريم » :

وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ (البقرة : ٨٧ ، ٢٥٣)

إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ (٣ : آل عمران : ٤٥)

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ (٤ : النساء : ١٥٧)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٧١﴾ (٤ النساء : ١٧١)

فإذا نص القرآن على أن المسيح هو « ابن مريم » لا لشىء إلا ليبين لنا أنه إذا قال المسيح « ابن الرجل » فهو حكيم ويقصد آخر سيصلب وهو حكيم أيضا عندما يقول عن آخر سيكون مملكة الله ويكون ابن رجل أيضا وهو محمد ﴿ﷺ﴾ لأن كل البشر هم أبناء لرجال إلا آدم والمسيح عليهما السلام وعندما نأتى للوقا نجد الآية التالية

« فقال له يسوع أبقبله تسلم «تخون» ابن الإنسان » . (لوقا ٢٢ : ٤٨)

فكما نرى تلك الآية تلقى بظلال من الشك فى أن المسيح هو ابن الإنسان « الرجل » ولكن بتدبر المعنى نجدها لا تعتبر تصريحاً من المسيح بأنه هو الذى سيتم صلبه ولكن أيضا أخر ابن رجل تمت خيانته وتسليمه بدلاً منه بأن ألقيت شبهة الصلب وشبه المسيح عليه لأننى سبق وذكرت أن التلاميذ كانوا لا يفهمون قصد المسيح عندما يتكلم عن ابن الإنسان فى مواضع كثيرة وذكرت أيضا أنهم كلهم سيخطئون فى مصيره كما أنبأهم المسيح . ونقل لنا متى قول المسيح بأنه ليس ابن الإنسان وبينما نجد نصا فى يوحنا تفسره الكنائس بأن المسيح يقول عن نفسه أنه ابن الإنسان.

« أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم .

فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل . فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق » .. (يوحنا : ٦ : ٥١ – ٥٥)

فكما نجد فى هذه السطور تأكيد المسيح على أنهم لابد أن يأكلوه ويشربوا دمه فهل حدث هذا وهل أكل أحد جسد المسيح وشرب دمه خاصة وأنه قال :

« الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة » .

فهل بعد هذا التأكيد يقول :

« الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئا » . (يوحنا : ٦ : ٦٢)

فهل يكلم المسيح اليهود بأنهم إن لم يأكلوا جسده ويشربوا دمه فليس لهم حياة ويخبرهم أيضا « لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق » . (يوحنا : ٦ : ٥٥)

وعندما يختلى بتلاميذه يقول لهم :

« الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئا » . (يوحنا : ٦ : ٦٢)

ففى عرف البشرية أن الكلام المتناقض المنقول عن شخص واحد يُرفض إذا كان الشخص مسلما بصدقه . والمسلمون يسلمون بصدق المسيح كما أثبت ذلك القران:

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ

أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ (٥ : المائدة : ١١٧)

وكما وصفت أسفار أشعياء المسيح بأنه كان صادقاً ولم يكن فى فمه غش :

« على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فمه غش » . (أشعياء : ٥٣ : ٩)

لذلك لا نستطيع أن نقبل هذا الكلام عن المسيح لأننا نؤمن تماما بصدقه عليه السلام فبعد الكلام الذى نقلناه عن حواره مع اليهود فى يوحنا (٦ : ٥١ -٥٥)

نجد فى الكلام التالى له أن التلاميذ تذمروا عندما أخبر اليهود بأن جسده مأكل حق ودمه مشرب حق . لذلك أخبرهم بأن الجسد لا يفيد شيئا :

« فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه . فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم أهذا يعثركم . فإن رأيتم ابن الإنسان صاعدا إلى حيث كان أولاً . الروح هو الذى يحيى . أمام الجسد فلا يفيد شيئاً»

(يوحنا : ٦ : ٦٠ - ٦٣)

لذلك لانستطيع قبول كلام يوحنا عن المسيح بمفهوم الكنائس بأنه ابن الإنسان لأنه يصفه أيضا بالكذب « وبلف » اليهود وإخبارهم بشىء وإخبار تلاميذه بنقيضه كذلك لا نستطيع التسليم بصحة تلك التفسيرات عن الإنجيل المنسوب للحوارى يوحنا عن ابن الإنسان لأنه أيضا فى موضع اخر ينقل لنا : (يوحنا : ٥ : ٢٥ - ٢٩)

« الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون ، لأنه كما أن الأب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الإبن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته .

وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا لأنه ابن الإنسان . لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » .

ولنفس السبب لا نستطيع قبول ذلك التفسير عن المسيح بأنه ابن الإنسان لأنه يجعل المسيح الصادق فى عداد الكذابين « تنزه المسيح عن ذلك » وذلك لقوله أن الأموات سيسمعون صوته الان ويقومون :

« الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله

والسامعون يحيون » . (يوحنا ٥ : ٤)

بالطبع لم يقم الموتى بعد سماع صوته فى تلك اللحظة ولم تقم القيامة وقتها ولا استطيع أن أتوهم أنى الآن أعيش عصر ما بعد القيامة بألفى عام وذلك لقوله المنقول :

« فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة ». (يوحنا : ٥ : ٢٨ - ٢٩)

فنسب مفسروهم للمسيح أنه : « تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » .

ولم تقم القيامة كذلك لتعارض المنقول مع قول بولس :

« هوذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير . فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير » . (١ كو : ٥١ - ٥٢)

من هنا يتضح أن قيام الأموات سيكون بصوت البوق وليس بصوت المسيح . والأحياء الباقون « ومنهم بولس كما فى النص » سيتغيرون ولن يموتوا . وكان بولس يعتقد أنه سيظل حياً حتى يأتى المسيح فى سحابة ويركب بولس خلفه . وكان يعزى أهل من ماتوا مخبراً إياهم بأنهم بكل أسف لم يلحقوا المسيح والسحابة التى تقله ولكنهم سيقومون ثم يركب بولس تلك السحابة والمؤمنون الأحياء معه لأنه أصغر الرسل وأقوى المرشحين لركوب السحابة التى تقل المسيح فى مجيئه الذى ظنه بولس سيأتى اثناء حياته فقال فى رسالته الأولى لأهل تسالونيكى : (٤ : ١٣ - ١٨)

« ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوان من جهة الراقدين لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لارجاء لهم . لإنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضا معه . فإننا نقول لكم هكذا بكلمة الرب . إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجىء الرب لا نسبق الراقدين . لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولاً .

ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب . لذلك عزوا بعضكم بعضا بهذا الكلام » .

« كما قال فى رسالته الثانية لاهل تسالونيكى : (٢ : ١ - ٢)

« ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه . أن لا تتزعزعوا سريعا عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا أى أن يوم المسيح قد حضر . »

ونستطيع أن نرى بوضوح أن أناجيل متى ولوقا ومرقس قد تكلم المسيح فيها عن نفسه بضمير الحاضر دائما وعندما يتكلم عمن يُصلب ويُقتل فكان يصفه بابن الإنسان « ابن الرجل » فأى شخص غير المسيح يتم صلبه ولكن المسيح لا .. لأنه ليس « ابن الرجل » ... ولا يوجد أى رجل تسبب فى مجيئه.

كذلك تكلم المسيح فى الأناجيل الثلاثة عن آخر يكون ابنا لرجل أيضا « أى ليس المسيح» وسيقوم بعمل وتأسيس مملكة كبيرة تحكم بشريعة إله السماء وترضيه وتسمى مملكة الله ووصف المسيح من سيفعل ذلك بأنه إبن الإنسان « ابن الرجل » وذلك لعلمه أنهم سينسبون تلك المملكة للمسيح فأخبرهم بحكمة أنه آخر فرد فى العالم ينطبق عليه تكوين ملكوت الله لأنه ليس ابناً لأى رجل ونستطيع أن نتأكد من ذلك بذكر جميع أقوال المسيح التى ذكر فيها ابن الرجل فى الأناجيل الثلاثة الأولى والرابع مع بعض المخالفة .

١ - ابن الرجل هو المصلوب

عندما أخبر المسيح تلاميذه بأن ابن الإنسان سيصلب و يقتل كان الكثير منهم وأحيانا كلهم لايفهمون مقصده من ذلك . فإن كان هذا شأن حوارييه وتلاميذه المقربين فلا عجب أن من تبعهم اختلط الأمر عليه وظن أن المقصود بابن الرجل هو المسيح وفى نقل متى لأحاديث المسيح عن صلب ابن الرجل لانرى أى عدم فهم أو غموض على التلاميذ الذين كان (متى) منهم. و(متى) كتلميذ عاصر المسيح وتعلم منه نجده ينص فى إنجيله على أن المسيح أخبرهم أنه ليس ابن الإنسان . وعندما يأتى الأمر للتابعين الذين نقلوا عن تلاميذ آخرين غير (متى) أو تابعيهم نجد فيما نقلوه عدم فهم التلاميذ المنقول عنهم كلام المسيح عن ابن الإنسان المصلوب . ومتى كان يعرف أن المسيح ليس ابن الرجل واختلط الأمر على البعض الآخر من التلاميذ فلم يفهموا ونقل كتبتهم فى الأناجيل أنهم لم يعرفوا قصد المسيح من قوله ابن الإنسان فنجد أن التلاميذ تدرجوا فى فهمهم بينما غير التلاميذ أخطأوا الفهم كما فى

نصوص الأناجيل التاليه

١ - ورد في إنجيل مرقس عدم فهم التلاميذ عن ابن الرجل المصلوب :

١ - « وخرجوا من هناك واجتازوا الجليل ولم يرد أن يعلم أحد . لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم : إن ابن الإنسان يُسلّم إلى أيدى الناس فيقتلونه وبعد أن يقتل يقوم فى اليوم الثالث وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه » . (مرقس : ٩ : ٣٠ - ٣٢)

٢ - « وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم ألا يحدثوا أحداً بما أبصروا إلا متى قام ابن الإنسان من الأموات . فحفظوا الكلمة لأنفسهم يتساءلون ماهو القيام من الأموات » .

(مرقس : ٩ : ٩- ١٠)

فنجد هنا أيضا أن التلاميذ لم يفهموا وكتموا ذلك وتساءلوا فى أنفسهم عن هذا الذى يقوم من الأموات .

٢ - ورد أيضا فى لوقا عدم فهم التلاميذ لكلام المسيح عن ابن الرجل الذى سيصلب بدلا من المسيح « ابن مريم » ويشير إلى ذلك النصوص التالية :

١- « ضعوا أنتم هذا الكلام فى آذانكم إن ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدى الناس . وأما هم فلم يفهموا هذا القول وكان مخفى عنهم لكى لا يفهموا . وخافوا أن يسألوه عن هذا القول» . (لوقا : ٩ : ٤٤)

٢ - « وأخذ الإثنى عشر وقال لهم هانحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان لأنه يسلم إلى الأمم ويستهزأ به ويشتم ويتفل عليه ويجلدونه ويقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم وأما هم فلم يفهموا شيئا من ذلك وكان هذا الأمر مخفى عنهم ولم يعلموا ما قيل » . (لوقا : ١٨ : ٢١ - ٢٤)

وكما نرى أن المسيح عندما يتكلم مع تلاميذه عن ابن الرجل أيا كان الذى سيصلب كان التلاميذ لا يفهمون قصده كما نجد ذلك فى أقوال من قابل أصحاب المسيح عند القبر سواء كان ملاكا أو رجلاً على إختلاف الأناجيل كما جاء فى حديث لوقا عن الرجلين اللذين قابلا النسوة الذاهبات لما ظننه قبراً للمسيح :

٣ - « ليس هو ههنا لكنه قام . اذكرن كيف كلمكن وهو بعد فى الجليل . قائلا إنه ينبغى أن يسلم ابن الإنسان فى أيدى أناس خطاة ويصلب وفى اليوم الثالث يقوم » .

(لوقا : ٢٤ : ٦ - ٧)

لذلك نرى أن المسيح كان يكلم تلاميذه شارحا لهم عن أبناء الرجال وتلاميذه وعى منهم من وعى ومن لم يع تم نقل ذلك عنه من تابعيه .

٣- كما نقل إنجيل يوحنا غموض مفهوم ابن الإنسان عند التلاميذ أنفسهم فجاء :

« فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد فكيف تقول أنت إنه ينبغى أن يرتفع ابن الإنسان من هو هذا ابن الإنسان » . (يوحنا : ١٢ : ٣٤)

وكان هذا المفهوم الغامض سائداً عن التلاميذ فى آخر أيام المسيح على الأرض وحتى بعد رفعه كما أشارت الأقوال عند القبر المزعوم .

ما ورد في الأناجيل بأن الذي سيصلب هو ابن الرجل

١ - ما ورد فى إنجيل متى أن ابن الرجل لا المسيح هو المصلوب :

(أ) « وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً لا تُعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات . وسأله تلاميذه قائلين لماذا يقول الكتبه إن إيليا ينبغى أن يأتى أولا . فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتى أولا ويرد كل شيء ولكنى أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتألم منهم . حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » . (متى : ١٧ : ٩ - ١٢)

(ب) « هانحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت . ويسلمونه إلى الأمم لكى يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفى اليوم الثالث يقوم » . (متى : ٢٠ : ١٨)

(ج) « وفيما هم يترددون فى الجليل قال لهم يسوع ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدى الناس فيقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم فحزنوا جداً » . (متى : ١٧ : ٢٢ - ٢٣)

(د) « ولما كان المساء إتكأ مع الإثنى عشر . وفيما هم يأكلون قال الحق أقول لكم إن

واحدا منكم يسلمني فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب . فأجاب وقال . الذي يغمس يده معي في الصفحة هو يسلمني . إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد . فأجاب يهوذا مسلمة وقال هل أنا هو ياسيدي . قال أنت قلت » . (متى : ٦ : ٢٠ - ٥)

وهنا يوجد خطأ في الترجمة أدى إلى انطباق لفظ ابن الرجل على المسيح فالمترجم استبدل كلمة يخون بـ « يسلم » ولكن حديث المسيح كان يتضمن أن واحداً من تلاميذه يخونه وأن ابن الرجل (المقصود هنا محمد ﴿ﷺ﴾) ماض وسيأتي كما هو مكتوب عنه وويل للذي يخون محمداً ﴿ﷺ﴾كما أوضحت سابقاً فتكون الترجمة الصحيحة هي :

« ولما كان المساء اتكأ مع الإثنى عشر وفيما هم يأكلون قال الحق أقول لكم إن واحداً منكم يخونني فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول هل أنا يا سيدي . فأجاب وقال . الذي يغمس يده معي في الصفحة هو يخونني . إن ابن الرجل ماضٍ كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يخان ابن الانسان كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد فأجاب يهوذا خائنه وقال هل أنا يا سيدي . قال له أنت قلت » .

من ذلك نرى أن المسيح كان يعزى نفسه بقدوم ابن الرجل محمد ﴿ﷺ﴾ الذي يكون قوياً ويردع الخونة.

(هـ) « ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة . قوموا ننطلق هو ذا الذي يسلمني قد اقترب » .

(متى : ٢٦ : ٤٥)

ونفس الخطأ في الترجمة السابقة حدث هنا فكلام المسيح لتلاميذه أن الساعة قد اقتربت وابن الرجل المصلوب ستتم خيانته لأيدي الخطاة والخائن يخون المسيح أيضا وكان يقصد خيانة المسيح ولكنهم أخذوا رجلا عادياً « ابن رجل » بدلا من المسيح « ابن مريم فقط دون رجل » فالترجمة هي :

« ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا هوذا الساعة قد اقتربت وابن الرجل يخان إلى أيدي الخطاة . قوموا ننطلق هوذا الذي يخونني قد اقترب » .

ونرى أيضا أن المسيح طلب من تلاميذه أن ينطلقوا معه أي يذهبوا إلى أين .. إلى الجليل

كما جاء فى حديث الرجل أو الملاك عن القبر سابقا :

١ - « وإذا زلزلة عظيمة قد حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات . فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما . فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع . المصلوب ليس هو . ههنا لأنه قام كما قال هلما انظر الموضع الذى كان السيد مضطجعا فيه واذهبا سريعا وقولا لتلاميذه إنه قام من الأموات . هاهو يسبقكم إلى الجليل » .

(متى : ٢٨ : ٢ - ٨)

فهنا ابن الرجل المصلوب بدلا من المسيح قد قام بعد موته « أقامه الله أو المسيح بأمر الله لا أحد يعلم » ولكن المسيح سبق التلاميذ إلى الجليل كما قال لتلاميذه « قوموا ننطلق هو ذا الذى يخوننى قد اقترب » فانطلق المسيح إلى الجليل وسبق تلاميذه وصلب من صلب من ابناء الرجال مكانه وبمعجزة قام من الأموات .. ونفس المعنى جاء فى باقى الأناجيل مرقس ولوقا وإن نص يوحنا على أن المسيح كان عند القبر وكان طاهراً كعادة اليهود وكانت مريم المجدلية قد نزلت إلى القبر النجس بأكفانه وطبقا للشريعة اليهودية وفى هذه الحالة لو لمست رجلا لنجسته فطلب منها المسيح ألا تلمسه كى يظل طاهراً . عند صعوده إلى السماء كما سنروى وإليك ماجاء فى الأناجيل عن ذلك وإن إختلفت الروايات فالعلة على الرواه :

٢ - ما ورد فى إنجيل مرقس عن نفس الحادثة :

« وباكراً جدا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس . وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . فتطلعن ورأين الحجر قد دحرج لأنه كان عظيماً جداً . ولما دخلن القبر رأين شابا جالساً عن اليمين لابساً حله بيضاء فاندهشن . فقال لهن لا تندهشن . أنتن تطلبن يسوع الناصرى . المصلوب قد قام ليس هو ههنا . هو ذا الموضع الذى وضعوه فيه . لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل . هناك ترونه كما قال لكم » . (مرقس : ١٦ : ٢ - ٧)

نلاحظ الآتى :

١ - ثلاثة نسوة ذهبن إلى القبر وليس أمرأتين كما فى متى ولا مريم المجدلية وحدها كما فى يوحنا ومجموعة أناس ونسوة كما فى لوقا .

٢ – النسوة قابلن رجلا واحداً عند القبر فى مرقس بينما ملاك الرب فى متى ورجلين فى لوقا والمسيح نفسه فى يوحنا وملاكين .

٣ – كل الأناجيل (مرقس – متى – لوقا) أتت بجمل تفيد أن المصلوب ليس يسوع إذا قرأت بترتيب الفواصل فى الجملة مختلفاً عن ترتيب فواصل الكتاب المقدس كما نقلته هنا .

٤ – كل الأناجيل نصت على أن المسيح سبق تلاميذه إلى الجليل كما أوردت سابقاً .

٣ – ما ورد فى إنجيل لوقا عن حادثة القبر :

« ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر . فدخلن ولم يجدن جسد الرب « السيد » يسوع . وفيما هن محتارات فى ذلك إذا رجلان وقفا بثياب براقة . وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض قالا لهن لماذا تطلبن الحى بين الأموات ليس هو ههنا . لكنه قام اذكرن كيف كلمكن وهو بعد فى الجليل . قائلا إنه ينبغى أن يسلم ابن الإنسان فى أيدى أناس خطاة وفى اليوم الثالث يقوم » . (لوقا : ٢٤ : ١ – ٧)

نلاحظ هنا سؤال الرجلين للنسوة « لماذا تطلبن الحى بين الأموات » .

كما نلاحظ أن ابن الرجل « ابن الإنسان » أى ليس المسيح الذى تم صلبه .

٤ – ما ورد فى إنجيل يوحنا عن نفس الحادثة :

« أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى . وفيما هى تبكى انحنت إلى القبر . فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً . فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين . قالت لهما إنهم أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه . ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفا ولم تعلم أنه يسوع . قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين من تطلبين . فظنت أنه البستانى فقالت له يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه . قال يسوع يا مريم . فالتفتت تلك وقالت له ربونى الذى تفسيره يا معلم . قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى . ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم »

(يوحنا : ٢٠ : ١١ – ١٧)

من ذلك ترى الإختلاف بين الرواة مما يدعو إلى الشك فى الرواة وقد صدق الله فى قوله :

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)
(٤ : النساء : ١٥٧ – ١٥٨)

فنجد فيما سبق من اختلاف روايات الأناجيل والنصوص التى تقول إن ابن الرجل هو المصلوب لا ابن مريم ولماذا تطلبن الحى بين الأموات وغيرها وكذلك مجيء الأناجيل بقصص عن القبض وصلب المسيح ويوسف الرامى الذى أخذ جسده كل ذلك يأتى بعده بنصوص تشير بأنه ليس المصلوب مما يصدق قول القرآن :

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) (٤ : النساء : ١٥٧)

فلانجد تلميذا واحدا يكتب أنه رآه مصلوبا فى أناجيل متى – مرقس – لوقا . أما يوحنا فنجد نصا يشير بأن المسيح أوصى يوحنا على مريم أمه وهو على الصليب :

« وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية . فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى يحبه واقفا قال لأمه يا امرأة هو ذا ابنك . ثم قال للتلميذ هو ذا أمك ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته » . (يوحنا ١٩ : ٢٥ – ٢٧)

ومما يشير إلى أن يوحنا نفسه لم يكتب هذا ما ورد فى أواخر إنجيله

« فذا ع هذا القول بين الإخوة إن ذلك التلميذ لا يموت ولكن لم يقل له يسوع إنه لا يموت بل إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك » . (يوحنا : ٢١ : ٢٣)

مما يشير إلى أن هناك إضافة تمت كتابتها بعد وفاة يوحنا التلميذ وكما تشير بعض مصادر المسيحية أن كاتبه يوحنا الشيخ وإن كان البعض يتخلص من الحرج ويقول إن يوحنا التلميذ هو نفسه يوحنا الشيخ هكذا دون أن ينظر للآية السابقة . وأيضا إلى الآية التالية لها التى تقول :

« هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق » .

(يوحنا : ٢١ : ٢٤)

فمن هم الذين يعلمون أن شهادة التلميذ حق « ونعلم أن شهادته حق »

وما علاقتهم بكتابة هذا الإنجيل ومداها مما يوحى بعدم كتابة يوحنا لكل محتويات هذا

الإنجيل وأن إضافات قد أدخلت عليه مما يضعه فى مرتبة أقل دقه من الأناجيل المتفقة فى الروايات والقصص والتى تنص على أن مهمة المسيح هى البشارة بمملكة الله بينما لا ينص على ذلك يوحنا . ولدينا فى الإسلام صحة الحديث المنقول عن جماعة ثم جماعة ثم جماعة أى الحديث المتواتر الذى يكون نصه واحداً ويجىء عن طريق أكثر من راوٍ عن راوٍ غيره فالحديث ينقله جيل عن جيل .. بالطبع يكون هذا أقوى من الحديث الذى ينفرد به أحد الرواة ويسمى بـ « الحديث الغريب » .. هذا فقط لتوضيح المنطق العقلانى عند المسلمين فى الحكم على صحة المنقول لنا عن الرسول ﷺ وصحابته وبالطبع لا يوجد ذلك فى المدارس اليهودية أو المسيحية ولكن نرى أن إنجيل يوحنا رغم انفراده بأشياء لم ترد فى الأناجيل الأخرى وعدم ذكره لغالبية بشارة المسيح وأحاديثه فى الثلاثة أناجيل الأخرى نجد أنه هو الإنجيل السائد لدى تلك المدارس مع أنه أشار إلى الأمثال التى لاتوجد إلا فى باقى الأناجيل ، أى أن الكاتب كتبه لهدف سنوضحه فيما بعد .

٢ - ما ورد فى إنجيل مرقس بأن ابن الرجل « وليس ابن مريم » هو المصلوب :

(أ) « وابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغى أن يتألم كثيرا ويرفض من الشيوخ والكتبة ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم . وقال القول علانية فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره . فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلا اذهب عنى يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس»
(مرقس : ٨ : ٣١ - ٣٣)

هنا يتضح أن المسيح عندما كان يتكلم علانية عن ابن الرجل الذى سيصلب رأى بطرس عدم قول ذلك للناس مما يشير أن بين المسيح وبطرس بينيات وأشياء يستأثر بها بعض التلاميذ ويعلمها دون البعض الآخر وأن التلاميذ يتدرجون فى المنازل والمعرفة فبطرس خصه المسيح بمعرفة أشياء رأى بطرس أن المسيح عندما يعلمها للناس قد يخطئون فى الفهم فابتدأ يناقش المسيح ويطلب منه عدم إذاعة الكلام عن ابن الرجل المصلوب ولكن المسيح هو المسيح وهو بالطبع أستاذ بطرس فانتهره من خشية الناس والعمل على تبليغ ما يأمر الله به من الحكمة وها قد وصل لدينا الآن قول المسيح إن ابن الإنسان دائما ولم يذكر مرة عن نفسه أنه هو الذى سيصلب بل دائما يذكر أن المصلوب هو ابن الإنسان ولا يوجد نص واحد فى الإنجيل يقول فيه المسيح عن نفسه « ستأخذنى الأمم ويصلبونى وفى اليوم الثالث أقوم » ولكن دائما أن الذى سيتم ذلك عليه هو ابن الإنسان « الرجل » وفى كل كلام المسيح كان يتكلم عن

نفسه بضمير الحاضر مثل

« كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا الشياطين فحينئذ أصرّح لهم إنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » .

(متى : ٧ : ٢٢ - ٢٣)

« وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » .

(متى : ٥ : ٢٢)

« وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة » (متى : ٥ : ٣٤)

« وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون لذلك يكونون قضاتكم . ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » .

(متى : ١٢ : ٢٧ - ٢٨)

وهكذا الحال فى كل كلام المسيح عن نفسه يتكلم بضمير الحاضر كسائر الناس . ولم يتكلم المسيح عن ابن الإنسان « ابن الرجل » إلا فى موضعين :

١ - ابن الرجل الذى يصلب (منتهى الضعف)

٢ - ابن الرجل الذى يكون الملكوت محمد ﴿ﷺ﴾(منتهى القوة) .

ذكّر المسيح الناس كثيرا بالحكمة حتى لا يظنونه ابن رجل مثلهم . واختلف المسلمون مع المسيحيين فى مسألتى ملكوت الله وهو الخلافة الإسلامية التى لا يعلم المسيحيون للان إنها مقصد المسيح من ملكوت السماء وكذلك إختلف المسلمون مع المسيحيين فى مسألة صلب المسيح الذى أشار المسيح فيه أيضا إلى أن ابن الرجل الذى سيصلب وليس هو .. لذلك نرى أن المسيح كان يعلم ما سيكون بعده وتكلم بحكمة يفهمها الحكماء .. ويميل لها الآخرين دون فهم بل يكون فهمهم لعكس ما يقصده الحكيم .

(ب) « وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم أن لا يحدّثوا أحداً بما أبصروا إلا متى قام ابن الإنسان من الأموات فحفظوا الكلمة لأنفسهم وهم يتساءلون ما هو القيام من الأموات . فسألوه قائلين لماذا يقولون إن إيليا يأتى أولاً ويرد كل شىء . وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيراً ويرذل » . (مرقس :٩ : ٣٩)

وتبين تلك الفقرة أن ابن الرجل هو المقصود ولم يشر المسيح إلى نفسه أو تكلم بضمير الحاضر بل تكلم عن آخر بضمير الغائب . كذلك نرى أن ذلك الكلام كان صعباً حتى على التلاميذ « فحفظوا الكلمة لأنفسهم وهم يتساءلون ما هو القيام من الأموات » .

(ج) « وخرجوا من هناك واجتازوا الجليل ولم يرد أن يعلم أحد . لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدى الناس فيقتلونه . وبعد أن يقتل يقوم فى اليوم الثالث . وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه » . (مرقس : ٩ : ٣٠ – ٣٢)

هنا أيضا ابن الرجل هو المقتول وصعوبة الفهم على التلاميذ .

(د) « وكانوا فى الطريق صاعدين إلى أورشليم ويتقدمهم يسوع وكانوا يتحيرون وفيما هم يتبعون كانوا يخافون فأخذ الإثنى عشر أيضا وابتدأ يقول لهم عما سيحدث له هانحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم . وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدى قائلين يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ماطلبنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك .

فقال لهما يسوع لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا . فقالا له نستطيع . فقال لهما يسوع أما الكأس التى أشربها فتشربانها وبالصبغة التى اصطبغ بها أنا تصطبغان . وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا الذين أعد لهم » . (مرقس : ١٠ : ٣٢ – ٤٠)

وتشير الفقرة السابقة إلى أن المسيح عليه السلام كان يحدّث تلاميذه عن مصيره وأن ابن الرجل هو الذى سيسلم للكهنة الذين يسلمونه للرومان أما المسيح فكان له مصير آخر سأله ولدا زبدى أن يكونا معه فيه وهو أنه سيصعد إلى السماء وبالطبع إن كان حديث المسيح «فأخذ الإثنى عشر وابتدأ يقول لهم عما سيحدث له » .

بأنه هو المصلوب فهل سيطلب منه ولدا زبدى يعقوب ويوحنا أن يكونا معه على الصليب أم يكونا معه فى الرفع . وهل سيتعذر على المسيح إن كان سيصلب أن يجعل ولدا زبدى معه ويقول لهما « لستما تعلمان ما تطلبان » .

إن كان مصير المسيح هو الصلب . فقد أعلمهما « إن كان يقصد نفسه بابن الإنسان

«الرجل » أن مصير ابن الرجل هو الصلب فهل سيسأل المسيح أن يصلبا ويقول لهما المسيح

« وأما الجلوس من عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن اعطيه إلا الذين أعد لهم » .

وهل المصلوبان مع ابن الرجل والذى ظنوا أنه المسيح أفضل من يعقوب ويوحنا إن كان هذا هو المجد الذى ينتظره المسيح والذى تهافت عليه ولدا زبدى وغار منهما التلاميذ وتشاحنوا بعد طلبهم هذا كما جاء « ولما سمع العشرة إبتدأوا يغتاظون من أجل يعقوب ويوحنا فدعاهم يسوع وقال لهم إن الذين يحسبون رؤساء الأمم يسودونهم وأن عظماءهم يتسلطون عليهم فلا يكون هكذا فيكم من أراد أن يكون فيكم عظيما يكون لكم خادما ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً . لأن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » . (مرقس : ١٠ : ٤١ - ٤٥)

فهنا حديث عن مجد وسيادة يتسابق إليهما ولدا زبدى ويتشاحن من أجلها باقى التلاميذالعشرة لا صلب ولا قتل ولكن مجد للمسيح وهو رفعة إلى الله وصلب لابن الرجل ولذلك جاء فى أول الكلام أن المسيح أخذ الاثنى عشر وتكلم إليهم عن مصيره ورفعه وتكلم عن ابن الرجل المصلوب وكما جاء :

« وكانوا فى الطريق صاعدين إلى أورشليم ويتقدمهم يسوع وكانوا يتحيرون وفيما هم يتبعون كانوا يخافون فأخذ الاثنى عشر أيضا وابتدأ يقول لهم عما سيحدث له » .

(مرقس : ١٠ : ٣٢)

وعلى أى الأحوال فكلام المسيح عن نفسه فى الإنجيل لم يستخدم فيه لفظ ابن الإنسان إلا عند الحديث عن المصلوب وزعيم الملكوت والمسلمون والتوراة يقولون إنه لم يصلب والمسيح لم يكن ابنا لرجل وأن محمدا ﴿ﷺ﴾ هو مكون الملكوت كما ورد عن المسيح أن كل تلاميذه سيخطئون فيه بعد القبض عليه كما أشرت من قبل .

(هـ) « إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم «يخان » ابن الإنسان كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد » . (مرقس : ١٤ : ٢١)

وتمت مناقشة تلك الفقرة من قبل كذلك خطأ الترجمة .

(و) « ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا يكفى . قد أتت الساعة هو ذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدى الخطاة قوموا لنذهب هو ذا الذى يسلمنى قد اقترب » .

(مرقس ١٤ : ٤١)

وهنا نشير إلى أن لفظا « يسلم – يسلمنى » قد وردا « يخان – وخائنى » فى نسخة الملك جيمس « Is being betrayed - my betrayer »

وإن كان عيسى هو الذى سيأخذونه للصلب فلماذا قال : « قوموا لنذهب » وإلى أين

ورد ذلك فى الحديث عند القبر أنه سيسبق إلى الجليل ويتم صلب ابن الرجل لا ابن مريم وهنا حدثت الشبهة ، وكلام المسيح عن أبناء الرجال كان بحكمة مداها أن أى رجل يصلب إلا هو لأنه ليس ابن رجل وأن رجلا غيره يكون الملكوت ويكون ابوه رجلا وهو محمد ﷺ أما المسيح فآخر من يظن فيه ذلك لأنه ليس ابناً لرجل ولكنه ابن مريم .

وسؤال :

لماذا تحدث المسيح عن نفسه دائما بضمير المتكلم بأنه سيفعل كذا وكذا ولكن لم يذكر إبن الإنسان إلا فى:

١ – تكوين الملكوت « نقطة خلاف مسيحية مع الإسلام » .

٢ – المصلوب « نقطة خلاف مسيحية مع الإسلام »

٣ – ما ورد فى إنجيل لوقا بأن ابن الرجل هو المصلوب ولم يقل المسيح فى أى موضع بأنه الذى سيصلب ولكن دائما ابن الرجل .

(أ) « وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه فسألهم قائلا من يقول الجموع إنى أنا فأجابوا وقالوا يوحنا المعمدان . وآخرون إيليا وآخرون إن نبياً من القدماء قام . فقال لهم وأنتم من تقولون إنى أنا فأجاب بطرس وقال مسيح الله . فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد . قائلا إنه ينبغى أن ابن الإنسان يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبه ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم » . (لوقا : ٩ : ١٨ – ٢٢)

يلاحظ أن هذه هى نفس المناسبة التى تم ذكرها فى متى : (١٦ : ١٣ – ١٧)

« ولما جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه من يقول الناس أنى أنا ابن الإنسان . فقالوا . قوم يوحنا المعمدان . وآخرون إيليا وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء . قال لهم وأنتم من تقولون إنى أنا فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى . فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا . إن لحما ودما لم يعلن لك لكن آبى الذى

فى السموات » .

من نص متى ولوقا نرى أن تلك كانت محاولة جاهدة للمسيح لأن يعلم تلاميذه أنه ليس ابن الإنسان وأن الذى سيصلب ويقتل ويقيمه الله أو المسيح هو آخر ابن إنسان وليس إبنا لإنسانة ولكن التوراة نصت بالتساؤل عمن يعلن إلى جيله أنه قطع من الأرض حيا وذلك لأنه تكلم مهما تكلم وجاءت الروايات فى الأناجيل تنص على صلبه لأن كتبتها هم من جيل المسيح أو من تابعي جيله الذى تساءلت التوارة عمن يخبرهم بحقيقة المسيح وجاءت بعدها بمحمد ﴿ﷺ﴾ كما سبق وأشرت فى أشعياء (٥٣) ويثبت ذلك الفقرة التالية التى تشير إلى دوام صعوبة فهم معنى ابن الإنسان على التلاميذ كما يلى :

(ب) ضعوا أنتم هذا الكلام فى آذانكم إن ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدى الناس . وأما هم فلم يفهموا هذا القول وكان مخفي عنهم لكى لا يفهموه . وخافوا أن يسألوه عن هذا القول » . (لوقا : ٩ : ٤٤)

مفارقة غريبة فبينما يركز المسيح ويجهد نفسه ويؤكد على أن يضعوا فى آذانهم هذا الكلام « ضعوا أنتم هذا الكلام فى آذانكم » يكون الناتج :

« وأما هم فلم يفهموا هذا القول وكان مخفى عنهم وخافوا أن يسألوه » .

فمن الطبيعى أن يفهم كثير من المدارس المسيحية أن المسيح هو المقصود بابن الرجل خاصة بعد نص الأناجيل على صلب المسيح وهكذا ذهب ادراج الرياح ماحرص المسيح على وضعه فى آذان تلاميذه وكانت النتيجة هى العكس تماما . وحرص المسيح كان لعلمه بنبوءة أشعياء فى اصحاحه الثالث والخمسين بأنهم سيخطئون فيه فزاد حرص المسيح ولكن القدر غلب حرصه وكما يقال : لا يغنى حذر من قدر .

(ج) « وأخذ الإثنى عشر وقال لهم هانحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان لأنه يسلم (١) إلى الأمم ويستهزأ به ويشتم ويتفل عليه ويجلدونه ويقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم وأما هم فلم يفهموا شيئا من ذلك وكان هذا الأمر مخفى عنهم ولم يعلموا ما قيل » . (لوقا : ١٨ : ٣١ – ٣٤)

هذه الفقرة تؤكد تواصل مسلسل شرح المسيح بحرص لتلاميذه أن الذى سيصلب ابن

---

(١) جاءت كلمة يسلم « delivered » بمعني يسلم فعلا ولم تأت يخان « Betrayed » .

رجل وليس هو واستمرار غموض الأمر على تلاميذه وعدم فهمهم . ونظراً لتكرار كلام المسيح وتكرار عدم فهم التلاميذ دفع ذلك التلاميذ لتذكر ذلك المسلسل الغريب من عدم الفهم ونصت عليه الأناجيل التى لم تنص أبداً على أن المسيح قال عن نفسه « سأسلم وأقتل أو أصلب وأقوم » أو أن هناك اتفاق بين المسيح والتلاميذ على الكتابة بهذه الطريقة اغرض سنورده[1] وإن لم يجىء القرآن وبتلميحه العبقرى بأن المسيح هو ابن مريم لما فهمنا للان تلك الحكمة الباهرة التى تكلم بها المسيح. ومع معرفته بعدم فهم تلاميذه المستمر إلا إن إلحاحة فى الأمر دفعهم لكتابة عدم فهمهم لذلك فى الأناجيل أو أنهم اتفقوا معه على كتابة ذلك فعرفنا نحن الآن مدى حكمة المسيح عليه السلام ومطابقتها لسفر أشعياء والقرآن فى مصير المسيح وهكذا تصدق الكتب السماوية بعضها ولا تتعارض حتى عندما لا يفهم من صاغ حديث المسيح قصده عليه السلام وبالطبع قلة من التلاميذ فهمت ومنهم متى الذى لم يشر إلى عدم فهم التلاميذ « وكان يقصد نفسه » لمعنى ابن الإنسان وأورد نصه فى أن المسيح ليس المقصود بابن الإنسان كما أوردت من قبل . وهكذا يثبت صدق ناموس الله فى نبوءاته المستقبلية بأنه يقول الشىء قبل أن يحدث ويحدث الشىء ولا أحد يمنعه.

« أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص . أنا أخبرت وخلصت وأعلمت وليس بينكم غريب وأنتم شهودى يقول الرب وأنا الله أيضا من اليوم أنا هو ولا منقذ من يدى . أفعل ومن يرد » .

(أشعياء : ٤٣ : ١١ - ١٣)

(ج) « ولكن هوذا يد الذى يسلمنى « يخوننى » هى معى على المائدة . وابن الإنسان ماض كما هو محتوم . ولكن ويل لذلك الإنسان الذى يسلمه « يخونه » . فابتدأوا يتساءلون فيما بينهم من ترى منهم هو المزمع أن يفعل هذا » . (لوقا : ٢٢ : ٢١ - ٢٣)

هنا يخبر المسيح تلاميذه بأن أحدهم يخونه وابن الرجل هنا يقصد به محمد ﴿ﷺ﴾ الذى يكوّن الملكوت كما سنورد وأيضا كما سبق وناقشنا مثيلة هذه الآية من إنجيل متى .

وسبق الإشارة لنفس خطأ الترجمة بأن كلمتى « يسلمنى - يسلمه » هما

« Betray me – Is Betrayed » بمعنى « يخوننى - يخان به » .

---

(١) انظر (المسلمون فى إنجيل مرقس) للمؤلف.

ومعنى كلماته إن أحد تلاميذه يخونه ومحمد ﴿ﷺ﴾ أت كأمر حتمى وويل لمن يخونه راجع تحت عنوان : « المسيح يتنبأ بخطأ جميع تلاميذه فيه » .

(د) « فقال له يسوع يا يهوذا أبقبله تسلم ابن الإنسان » . (لوقا : ٢٢ : ٤٨)

جاءت لفظة « تسلم » بمعنى « تخون - Betray » فى نسخة الملك جيمس وبالطبع هذا التحوير يعطى انطباعا بأن المسيح هو الذى يقبض عليه ويقتل ولكن أشعياء يقول :

« أخذ من السجن والمحاكمة ومن الذى يخبر جيله بأنه قطع من أرض الأحياء » .

(أشعياء : ٥٣ : ٨)

فهل تم القبض على المسيح كما هنا وأنقذه الله من السجن ومن المحاكمة وأن يدان فيها وعليه يكون قصد المسيح « أبقبله تخون ابن الإنسان » أن يهوذا جعلهم يقتلون ابن الرجل الذى تنبأ المسيح بقتله وقيامته فى اليوم الثالث . وإن المسيح قد سبق تلاميذه بعد أن أيقظهم إلى الجليل قائلا « قوموا لنذهب هوذا الذى يخوننى قد اقترب » .

(مرقس ١٤ : ٤١ ، متى : ٢٦ : ٤٥)

وعليه يكون نص أشعياء بأنه أخذ من قبل أن يسجن ويحاكم وألقيت شبهة الصلب على خائنه .

أو أن المسيح يعنى أن يهوذا بخيانته للمسيح قد خان رسالته التى جاءت لا لشىء إلا لتبشر بمحمد ﴿ﷺ﴾ « ابن الرجل » وملكوت الله وعليه يعتبر المسيح خيانة يهوذا له هى خيانة لمحمد ﴿ﷺ﴾ ابن الرجل .. الله أعلم وقد يقول قائل لماذا ذلك الإجتهاد وعدم قبول أن ابن الإنسان هو المسيح أقول لأن المسيح نفى أنه ابن الإنسان « الرجل » فى متى وأيضا لأنه ليس « ابن الرجل » .

(هـ) « وفيماهن محتارات فى ذلك إذا رجلان وقفا بثياب براقة . وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض قالا لهن . لماذا تطلبن الحى بين الأموات ، ليس هو ههنا لكنه قام . اذكرن كيف كلمكن وهو بعد فى الجليل . قائلا إنه ينبغى أن يسلم ابن الإنسان فى آيدى أناس خطاة ويصلب وفى اليوم الثالث يقوم فتذكرن كلامه ورجعن من القبر » .

(لوقا : ٢٤ : ٤ : ٨)

جاءت كلمة « يسلم » بنفس المعنى « يسلم » فى نسخة الملك جيمس «Delivered» ولم

تجيء بالمعنى الاخر الخطأ المشار إليه من قبل .

٤ - لم يرد فى إنجيل يوحنا بأن المصلوب هو ابن الرجل ولا ابن مريم :

تكلم يوحنا عن ابن الرجل المشهور الذى يكوّن الملكوت فقط فتكلم عن ابن رجل مازالت روحه فى السماء ولم ينزل على الأرض بعد وعندما يولد ويأتى سيصعد إلى السماء فى إسرائه ومعراجه .

« إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تومنون فكيف إن قلت لكم السماويات . وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان لكى لايهلك كل من يؤمن به » .

(يوحنا : ٣ : ١٢ : ١٤)

يتكلم المسيح فى هذه الفقرة عن شخص غير موجود على الأرض بل فى السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء » والكلام واضح أنه ابن رجل مازالت روحه عند الله فى السماء وعندما يحين موعده سيزور أورشليم وهيكلها المنهدم على السحاب وفوق البراق كما أنه سيصعد به إلى السماء ولذلك لا يوجد أحد صعد إلى السماء وأخبر الأرض إلا هو ومن ذلك نرى عدم صدق بولس فى أنه قد صعد إلى الفردوس :

« أعرف إنسانا فى المسيح قبل أربع عشر سنة أفى الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم . الله يعلم اختطف إلى السماء الثالثة وأعرف هذا الإنسان أفى الجسد أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم . إنه اختطف إلى الفردوس وسمع كلمات لاينطق بها ولايسوع لإنسان أن يتكلم بها . من جهة هذا أفتخر . ولكن من جهة نفسى لا أفتخر إلا بضعفاتى . فإنى أن أردت أن أفتخر لا أكون غبيا لأنى أقول الحق ولكنى أتحاشى لئلا يظن أحد من جهتى فوق ما يرانى أو يسمع منى » . (٢ كورنثوس : ١٢ : ٢ - ٦)

ويعتقد كثير من المسيحيين « كلهم » بأن كلام بولس هو كلام الله لأن الروح القدس « الله» حل فى بولس فهل يكون موقفه أنه لا يعلم إن كان صعد إلى السماء بجسده أم بروحه ويكون هذا هو كلام الله .... أم كلامه ....

ونرجع إلى كلام المسيح عن ابن الإنسان الذى كانت روحه فى السماء والذى سيزور السماء وأمر المسيح أتباعه بأن يوقروه ويرفعوه كالعلم لكى لا يهلكوا بل يظلوا رافعين رايته

قبل أن يجيء وإلى أن يأتى وبعد أن يأتى كى لا يهلكوا وتماماً كما رفع موسى الحية النحاسية فوق رؤوس اليهود وساروا تحت لوائها حتى لاتقتلهم الحيات فى البرية . فكذلك أصحاب المسيح يجب أن يقدسوا محمداً ﴿ﷺ﴾ إلى أن يأتى وبعد مجيئه فقال القرآن الكريم:

وللّه جُنُودُ السموات والأرض وكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (٧)

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨) (٤٨ الفتح : ٧ : ٨)

فهنا يأمر الله بإجلال محمد ﴿ﷺ﴾ وتوقيره وطاعته والسير تحت لوائه كى يفلح وينجح من آمن به وهذا ما أمر المسيح به أتباعه قائلا لهم إنه يتكلم عن السماويات « فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات أى أنه يتكلم عن أمور فى السماء ويؤكد ذلك بقوله : « إبن الإنسان الذى هو فى السماء » وأظن أن كلامه واضح بأنه يتكلم عن السماويات وشخص ما زال فى السماء . وأمرهم ان يرفعوا لواءه ويوقروه كما رفع موسى الحية فى البرية ويقول عن ذلك سفر العدد.
(٢١ : ٥ - ٩)

« وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت فى البرية لأنه لاخبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف . فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل . فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات . فصلى موسى لأجل الشعب . فقال الرب لموسى اصنع لك حيةً محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا . فصنع موسى حيةً من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا » .

من ذلك يتضح أن موسى رفع حية نحاسية فوق الراية وكل من سقم بلدغ حية ونظر إلى الراية والحية يتم شفاؤه فنفهم قصد المسيح من رفع ابن الإنسان كالحية أى أنهم يوقرونه ويجلونه ويطيعونه لكى تتم هدايتهم ولا يضلوا كمن تلدغه الحية وينظر إلى الحية التى رفعها موسى فيشفى فهذا هو رفع ابن الرجل ولم يرفع موسى الحية إلى السماء ... وبعدما مات موسى عبد اليهود الحية فذمهم أنبياؤهم ، كذلك أصعد المسيح إلى السماء فعبده من نسبوا أنفسهم إليه وبعضهم يسجد لمن يظنه تمثالا له وهو فى الحقيقة تمثال لزيوس صنم الإغريق . فلو كانت عبادة المسيح هى المقصودة لما جاء ذم من عبد الحية على لسان اليهود فى سفر الملوك الثانى : (١٨ : ١ - ٤)

« وفى السنة الثالثة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل ملك حزقيا آحاز ملك يهوذا . كان ابن خمس وعشرين سنة حين ملك وملك تسعاً وعشرين سنة فى أورشليم . واسم أمة أبى ابنة زكريا وعمل المستقيم فى عينى الرب حسب كل ما عمل داود أبوه . هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ويدعونها نحشتان » .

وكما أشرت من قبل أن التلاميذ كانوا فى أكثر الأوقات لايفهمون كلام المسيح عندما يتكلم عن ابن الرجل « فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد فكيف تقول أنت إنه ينبغى أن يرتفع ابن الإنسان . من هو هذا ابن الإنسان » .

(يوحنا : ١٢ : ٣٤)

فهنا الجمع يتساءلون عمن يكون ابن الإنسان . من ذلك يتضح غموض ذلك المعنى على الناس وعلى بعض التلاميذ فبينما يورد يوحنا كلاماً غير محدد عن ملكوت الله الذى هو سبب مجيء المسيح كما أشرت من قبل . نجده أيضا تكلم بغموض فذكر أن المسيح أيضا ابن الإنسان . وذكره لكلمة أيضا يشير إلى أن المسيح ذكر وقصد فى أحاديثه من قبل أبناء آخرين للإنسان أو أن هناك حكمة خفية فقال :

« لأنه كما أن الأب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الإبن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا لأنه ابن الإنسان» . (يوحنا : ٥ : ٢٦ : ٢٧)

فمن ذلك ومن عدم ذكر يوحنا لأى مثل من أمثال المسيح عن ملكوت الله الذى نضت باقى الأناجيل على أقوال المسيح بأنه قد أرسل خصيصا ليبشر بملكوت الله نرى أحد الامور التالية :

١- إن يوحنا لم يشر إلى الملكوت وأمثاله وركز على أقوال المسيح بأنه لا يفعل ولا يقول شيئا من نفسه وأنه كما يسمع من الله يقول وما يأمره يفعل وأتى بالنصوص التى تشير إلى إن المسيح له إله هو الله إله الناس « راجع باب : « إنجيل يوحنا المتهم ظلما بلاهوت المسيح » فى كتابى المسيح فى الإنجيل بشر » لمعرفته هو والمسيح والتلاميذ بأن طائفة كبيره من البشر ستتخذ المسيح إلها فإن نص على أنه أيضا ابن الإنسان فيكون من باب دفع شبهة الألوهيه عنه أو يقودنا إلى :

٢ - فهل كان يوحنا ممن أشارت إليهم الأناجيل وذكرت سلفا أن غالبية التلاميذ كانوا لايفهمون كلام المسيح عندما يتكلم عن ابن الرجل وكما نعلم جميعا أنه ليس كل التلاميذ فى نفس مستوى استقبال المعلومات وحفظها واسترجاعها. ولكن الواضح أن يوحنا يؤكد أن المسيح المقصود هنا هو محمد ﴿ﷺ﴾ كذلك يدعوه يسوع (بالابن) لأنه يأتى بعده فاعتبره يسوع ابنا.

٣ - هل كاتب الإنجيل ليس يوحنا الحوارى بل يوحنا آخر وذلك قياساً على الميزان الحساس الذى أعطاه لنا المسيح بأن تلاميذه فقط هم الذين سيعرفون أسرار الملكوت أما الباقين فلا . أى أن المرأ منا بكل سهولة يعرف الكاتب الذى ينسب نفسه للمسيح إن كان صادقاً أم مدعيا بمدى علمه بأسرار مملكة الله التى جاء المسيح خصيصاً ليبشربها فقالت الأناجيل عن أنه جاء خصيصا ليبشربها :

١ - « فقال لهم إنه ينبغى أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت». (لوقا : ٤ : ٤٣)

٢ - « فقال لهم لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز « لأعظ » هناك أيضا لأنى لهذا خرجت » (مرقس : ١ : ٣٩).

« وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشارة « الإنجيل » . (مرقس : ١ : ٣٩)

وأن المسيح كان يدعو الناس للتوبة وجاء خصيصا ليطلب منهم التوبة والإغتسال «المعمودية » والطهارة لدخول الملكوت طاهرين وهذا ما يسنه الإسلام بأن الذى يدخل الإسلام يبتدىء بالإغتسال والطهارة « غسل من أعلن إسلامه حديثا » فجاء بأن المسيح أتى للدعوة للتوبة « فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى لم آت لأدعوا أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (مرقس : ٢ : ١٧)

٣ - كما جاء فى متى : « من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (متى : ٤ : ١٧)

« وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض فى الشعب » (متى : ٤ : ٢٣)

من تلك النصوص نرى أن هناك إجماعاً في الثلاثة أناجيل « متى - مرقس - لوقا » على أن المسيح لم يأت إلا ليدعوا الناس للتوبة والإغتسال من الذنوب ليدخلوا مملكة الله التى اقتربت « الخلافة لله فى أرضه وهى الخلافة الإسلامية » ولكن يوحنا يوجد به نص على أن المسيح قد أتى لنأكله وليس ليبشر بملكوت الله .. وألح المسيح على الناس بأن يأكلوه .. ومن لايأكل المسيح ويشرب من دمه فلن يرى الجنة والخلود فيها :

« أنا هو الخبز الحى النازل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم .

فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل . فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب فمن يأكلنى فهو يحيا بى .هذا هو الخبز الذى نزل من السماء . ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا . من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد . قال هذا فى المجمع وهو يعلم فى كفر ناحوم .

فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا إن هذا كلام صعب . من يقدر أن يسمعه . فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم أهذا يعثركم . فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولا .الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة ، ولكن منكم قوم لايؤمنون . لأن يسوع علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذى يسلمه . فقال لهذا قلت لكم إنه لايقدر أحد أن يأتى إلى إن لم يعط من أبى .

من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه » .

(يوحنا : ٦ : ٥١ - ٦٦)

هذه الرواية - كذلك معظم روايات يوحنا - لم ترد فى الثلاثة أناجيل الأخرى . وكما نرى أنها بمعتقد أن المسيح إنسان تكون دعوة لأكل لحوم البشر .... وتنزه المسيح عن أن يكون داعياً لأكل لحوم البشر . وبمعتقد من يجعل المسيح هو الله تعنى الكثير الذى يؤدى بالإنسان إلى مستوى تفكير لا يليق بالآدمى فعندما تأكل الطعام « الخبز والنبيذ » الذى حل فيه الإله فهذا الطعام بعد هضمه يتحول إلى فضلات ويخرجه الإنسان عن طريق الشرج فهل يصير

الطعام الذى يحل فيه إلههم برازاً . وإن كان الأمر كذلك كانت تلك القاذورات مقدسة ... فوجب عليهم جمعها والسجود لها .... فإذا سجد الإنسان لقاذوراته وفضلاته التى تخرج منه فأى مستوى من التفكير يكون الإنسان قد وصل إليه !!؟ .

سبحانه وتعالى عما يصفون . ولكن هذا المستوى وتلك الطريقة من التفكير قال عنهما القرآن :

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)

(٥٩ : الحشر : ١٦ : ١٧)

ولهذه الطريقة من التفكير وبالأصح اللاتفكير قال القرآن عمن اعتقد بذلك

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) (٥ : المائدة : ١٧)

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)

(٥ : المائدة : ٧٢ - ٧٣)

ولذلك يستنتج أى إنسان يفكر ويعقل أن أخذ روايات يوحنا بهذا المفهوم السطحى يؤدى به إلى الكفر المبين .

ولكن هناك طريقة الحكمة فى التفكير لا السطحية التى تزكم الأنف كما ورد . فالحكمة المركبة والمعقدة فى هذا الكلام تقتضى أخذ أول الكلام من بدايته إلى نهايته واعتبار الكل لا الجزء وعدم تجزىء المفهوم ولكن شموليته بغض النظر عن الجزء ولكن ربط الجزء بالكل حتى نرى الصورة كلها كالآتى :

كان واقع المسيح مراً . فقومه محتلون بالإغريقوروما‌ن الموصوفون فى أنبياء العهد القديم بالوحش « "دانيال" » وذلك لشدة بأسهم وقوتهم وأيضا لجبروتهم فى التنكيل, والشرك وعبادة الأوثان هوى فى نفوسهم. وأعلم الله المسيح بأنهم لن يتوانوا حتى يضلوا أتباعه

ويبدلوا دينه :

« حتى يضلوا لو أمكن المختارين ». (متى : ٢٤ : ٢٤)

« لأنه يكون فى تلك الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التى خلقها الله إلى الآن ولن يكون . ولو لم يقصر الله تلك الأيام لم يخلص جسد » . (مرقس : ١٣ : ١٩ - ٢٠)

وقد يجادل فى ذلك البعض فنقول : إن المسيح احتج فى الأناجيل بنبوءات دانيال وقال بعدها « ليفهم القارىء » . (متى : ٢٤ : ١٦ ، مرقس : ١٣ : ١٤)

ونبوءات دانيال كما سبق وأشرت تنبىء بأن « التيس العفى » الروم سيفسدون كل شىء ويهدمون الهيكل ويضلون الخليقة . وأكثر من ذلك كان المسيح يعلم بأنهم سيبدلون دينه ويتخذونه إلهاً ويأكلون ما يعتقدونه جسده ويشربون ما يعتقدونه دمه كما سنوضح .

والمسيح أعلمه الله أنه لن يستخدم العنف « على أنه لم يعمل عنفاً ولم يكن فى فمه غش » . (أشعياء ٥٣ : ٩)

وكان يعلم ذلك ويقول عن نفسه :

« لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود ولكن الآن ليست مملكتى من هنا » . (يوحنا : ١٨ : ٣٦)

والمسيح كان السفير والرسول المبعوث والمرسل من الملك (الله) قبل الحرب . والأطباء فى حروب البشر الحالية لهم مكانة خاصة فلا أحد يقاتلهم بل يكون لهم السلام فى الحرب وفى الأسر . فقبل مجىء محمد ﷺ الذى سيحارب كفار البشر « وتكثر قتلاه هو وصحبه » وهو إعلان من الله وآذان بالحرب على كفار عباده كما جاء فى وصف الله له :

« لا تخافوا لأنه هكذا قال رب الجنود هى مرة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة . وأزلزل كل الأمم ويأتى مشتهى كل الأمم » . (حجى : ٢ : ٦ - ٧)

وكما جاء بالقرآن :

« وآذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خيرلكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم» (٩ : التوبة : ٢)

فحروب محمد ﴿ﷺ﴾ وصحبه هي أكبر حروب شنها الله على كفار عباده . والله يعلم ما كان ويكون وما سيكون . وهو خبير بما يحب عباده من أمور الشرف والخير ومن روائع العرف الآدمي « السفير قبل الحرب » و « الطبيب أثناء الحرب وبعده وقبله » والمسيح كان هو الطبيب والسفير الذى أرسله الله ليبشر بمحمد ﴿ﷺ﴾ وأمته . فكان نعم السفير بلا عنف !! والطبيب بكل معجزات الطب فى أى عصر وأخبر المسيح بذلك عن نفسه فقال كما جاء فى الإنجيل :

« ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ فدفع إليه سفر أشعياء النبى . ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوبا فيه . روح الرب على لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية . وأكرز « أعظ » بسنة الرب المقبولة . ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس وجميع الذين فى المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه . فابتدأ يقول إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم » . (لوقا : ٤ : ١٦ - ٢١)

فالمسيح يعلم أنه المبشر بمحمد ﴿ﷺ﴾ الذى جاء بعده فى أشعياء الذى كان يقرأه ففى سفر أشعياء يأتى هذا المبشر « المسيح » فى الإصحاح (٦١) قبل من ستكثر دماء أعدائه فى الإصحاح (٦٣) فجاء بعد قراءة المسيح لما هو موجود عن المبشر فى الإصحاح (٦١) عن محمد ﴿ﷺ﴾ فى الإصحاح (٦٣) المبشر به :

« من ذا الآتى من أدوم [1] بثياب حمر من بصره هذا البهى بملابسه المتعظم بكثرة قوته. أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص . ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصره . قد دست المعصره وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد فدستهم بغضبى ووطئتهم بغيظى فرش عصيرهم على ثيابى فلطخت كل ملابسى . لأن يوم النقمة فى قلبى وسنه مفديى الرب قد أتت .فنظرت ولم يكن معين وتحيرت إذ لم يكن عاضد فخلصت لى ذراعى وغيظى عضدنى . فدست شعوبا بغضبى واسكرتهم بغيظى وأجريت على الأرض عصيرهم » .

(أشعياء : ٦٣ : ١ - ٦)

فمن هذين الإصحاحين فى أشعياء يتضح لنا أن المسيح هو السفير والرسول الذى ينادى بالسلام « لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأعصب منكسرى القلب . لأنادى للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق . لأنادى بسنة مقبولة للرب وبيوم إنتقام لإلهنا لأعزى

(١) أدوم = شمال الجزيرة العربية .

كل النائحين ». (أشعياء : ٦١ : ١ - ٢)

فكما نرى المسيح جاء ليبشر بسنة مقبوله للرب وبيوم إنتقامه أى ليبشر ويعظ فقط أما الآتى من آدوم « شمال الجزيرة العربية أى المدينة المنورة » فهو الذى تأتى معه سنة الرب المقبولة ويوم الإنتقام :

« لأن يوم النقمة فى قلبى وسنة مفديى قد أتت » . (أشعياء ٦٣ : ٤)

فكل شيء واضح فى التواره والإنجيل ولا مجال للمغالطة ومحاولة إنكار نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ فوصفه لا يخطئه صاحب عقل وكما قال القرآن :

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (٦ : الأنعام : ٣٨)

وقال

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) ﴾ (٩٨ البينة : ٣)

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ (٣ : آل عمران : ١٩)

فمن سفارة المسيح لله نرى أن الله قد أوفى للبشر حقوقهم بمنطقهم فى أرقى عصورهم الفكرية وإرسل إليهم المسيح طبيباً وسفيراً يبشرهم بقدوم محمد ﴿ﷺ﴾ القوى المحارب الذى يؤمن به يكون له السلام ومن يحاربه ينهزم شر هزيمة وكان رد البشرعلى السفير فى منتهى القسوة فكفروا به واختاروا الشرك وجعلوا السفير نفسه هو المدعو إلهاً مع الله وردوا على السفير أرذل الردود .

ولكن إن أرسل الله سفيراً فلابد أن يكون أقوى السفراء وبلا عنف فكانت قوة المسيح فى حكمته البالغة مما يقودنا إلى الباب التالى :

الباب السابع

تنظيم المحكمة

الحكمة سلاح المسيح وقوته

لا أدعى الحكمة للمسيح . فقد أعلن المسيح أنها سلاحه فى وجه من عارضه فقال :

« فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا .لأنى أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديك أن يقاوموها أو يناقضوها » (لوقا : ٢١ : ١٤ - ١٥)

وقال :

« والحكمة تبررت من بنيها » . (متى : ١١ : ١٩ و لوقا : ٧ : ٣٥)

وأوصى أتباعه بالحكمة فقال :

« فمن هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه . طوبى لذلك العبد » . (متى : ٢٤ : ٤٥)

فكما نرى أن المسيح كان يتعمد الكلام بالحكمة والتى يفهمها العقلاء والعلماء ولا يفهمها مادون ذلك وقد قال القران نفس الشىء عن المسيح وزاد بأن الله نفسه هو الذى علّمه الحكمة فكيف تكون تلك الحكمة إن كان الله هو معلمها فقال القرآن عن ذلك :

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ (٣ آل عمران : ٤٨)

وقال :

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٥ المائدة : ١١٠)

وعن أن المسيح كان يتكلم بالحكمة وجاء خصيصا بها قال القرآن :

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ (٤٣ : الزخرف : ٦٣)

وعن أن المسيح وأتباعه تكلموا بالحكمة مكراً بأعدائهم ليحملوا الرسالة دون أن يفقهوها قال القرآن :

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ

الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

(٣ : آل عمران : ٥٢ - ٥٥)

فهنا عيسى والحواريون مكروا ومكر الله معهم فى شأن وفاته ورفعه إليه كذلك فى تطهيره ممن كفر به وجعله إلهاً فجعل من كفر به يحمل أقوال المسيح التى تنفى كونه إلهاً وتبشر بالخلافة الإسلامية « ملكوت الله » وتشرحها بالتفصيل . فالله مكر بالقاء شبهة الصلب وتعليم المسيح الحكمة هو وتلاميذه لينتصروا على أعدائهم والمسيح مكر بأن علم تلاميذه الحكمة وتكلم بها كما أخبر تلاميذه بأنهم جميعاً سيعثرون فى ليلة فراقه لهم وبالفعل عثروا ونصوا فى اناجيلهم على صلبه . وهكذا كل مكر خيراً على مقدار حكمته وكان الله خير الماكرين بأن جعل نبوءات أشعياء والمسيح حقائق فأخطأ كل جيل المسيح حتى التلاميذ فى مسألة صلبه كما نبأ كل من أشعياء والمسيح ، كذلك علَّم الله المسيح والتلاميذ الحكمة فوصلت إلينا أقوال المسيح التى تشهد لأمتنا وديننا برغم أن من حملوها طالما حاربونا أشد ما تكون الحروب وهكذا جعل الله أقوال من اتبعوه واضحة برغم من كفر إلى يوم القيامة حيث نرجع لله ويخبر بما اختلفوا فيه معنا .

وكما نصت الآيات فالمكر كان أمرين أولهما هو وفاة عيسى « أى أن يستوفى مدته على الأرض فى ذلك الوقت » ورفعه وثانيهما هو جعل من اتبع عيسى عليه السلام فوق من كفر وتطهير عيسى من الكافرين وهذا هو ما حدث فى استخدامهم المكر والحكمة فوصل كلامهم إلينا يوِّضحه ما جاء فى القرآن . وكما أشارت الآيات فسيرجع المؤمنون مع الكافرين لله وهم مختلفون فى شرح ما قاله عيسى فينبئنا فى هذا الإختلاف .

وبإشارة عبقرية لنوع المكر وأسلوبه وأنه وحى من الله تكلم القرآن فى الآيات السابقة لآية المكر - إن جاز لنا أن نسميها - بنفس إسلوب المسيح وتلاميذه فى الأناجيل فقال :

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

(٣ : آل عمران : ٥٢ : ٥٥)

استخدم القران هنا نفس طريقة كلام المسيح عن ابن الإنسان والملكوت وصعوبة الفهم ففى أول آيتين هنا لا نعلم للوهلة الأولى أى رسول آمن به الحواريون أمحمد أم عيسى عليهما الصلاة والسلام فهم يقولون « واتبعنا الرسول » فهذا قد يعني عيسى ولكن بمتابعة الآيات نجد أنهم يشهدون بالإسلام « واشهد بأنا مسلمون » فالرسول المقصود فى « واتبعنا الرسول» هو محمد ﴿ﷺ﴾ ويتضح ذلك من النصين التاليين

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ (٦١ : الصف : ٦)

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾
(٥ : المائدة : ١١١)

ففى سورة الصف عيسى جاء ليبشر بمحمد ﴿ﷺ﴾ وفى سورة الصف أيضا الله أوحى للحواريين وهم أسلموا .

وهذا هو نفس اسلوب الأناجيل فى الحديث عن مملكة الله وابن الإنسان كلام عميق المعنى صعب الفهم .

فمن واقع المسيح المر ومستقبله المظلم بأنه العبد الذى سيعبده البشر جاءت قوته ومعجزته فى إعلانه « حرب الحكمة » . وأقول أنه أعلن حرب الحكمة كإنسان مسالم يظلمه الجميع ولكن إن كان ظالموه ذوى قوة وبأس فالطريق الأوحد لهزيمتهم كسفير برسالة للبشر هى استعمال العقل الراجح والكلام الموزون الذى يأخذه من أمامه من أعدائه بفرح بينما يكون كلامه شاهدا على ظلمهم وطغيانهم وهكذا ساق المسيح كل ما أراد أن يقوله من نبوءات وتعاليم وعلمها لتلاميذه . لذلك نجد أن التلاميذ من كتبة الأناجيل وتابيعهم لم يسوقوا أى جمل وعبارات عن «ابن الإنسان » إلا فى مواضع الظلم الواقع على المسيح من تبديل وافتراء عليه وعلى رسالته وهى :

١ - المصلوب هو ابن الإنسان « ابن الرجل » .

٢ - مكون الملكوت هو ابن الإنسان « ابن الرجل » .

٣ - شارب الخمر ابن الإنسان « ابن الرجل » .

٤ - ابن الإنسان رب « سيد » السبت « كل رجل » .

٥ - ابن الرجل الذي يستغفر الله فيغفر له « كل رجل » .

فهنا وبإشارة عبقرية استطاع المسيح - كسفير عبقرى ورسول لما قبل الحرب - أن يجعل أعداءه وأعداء إلهه يحملون رسالته دون أن ينتبهوا ويفهموا أنها شاهد عليهم وليس لهم . واستطاع أيضاً أن يقول أن المصلوب ابن رجل ومحمد ﴿ﷺ﴾ مكون الملكوت هو ابن رجل وشارب الخمر هو ابن رجل أيضا وكل البشر الذين جعل الله لهم السبت ولم يجعلهم الله للسبت هم أبناء رجال بينما المسيح ليس كذلك فكل من يقرأ ويعرف ظلم أعدائه وعابديه يتضح له من أول وهله خطأهم فى فهم حكمة المسيح بأنه ليس المقصود بحديثه عن أبناء الرجل ولكن المقصودين هم أناس غيره لأنه ليس ابنا لأى رجل . فقد يقول البعض إنك شططت بعيداً وصور لك خيالك وانتماؤك للإسلام مالا يوجد فى كتبنا .. أقول لهم لا . ولكى أبرهن على رأيي هذا أضع بين يدى قارئى العزيز هذه الإتفاقية المعقودة بين الله والمسيح فى أنه سيجعل أعداءه تنطلى عليهم حكمته ويحملون كتبه وكلامه دون أن يفهموه فتعهد الله للمسيح بأنه سيبيد حكمة أعدائه جاء ذلك فى :

« توانوا وابهتو تلذذوا واعموا . قد سكروا وليس من خمر ترنحوا وليس من المسكر . لأن الرب سكب عليكم روح سبات وأغمض عيونكم . الأنبياء رؤساؤكم الناظرون غطاهم وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم الذى يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا أستطيع لأنه مختوم . أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة .

فقال السيد لأن هذا الشعب قد اقترب إلى بفمه وأكرمنى بشفتيه وأما قلبه فأبعده عنى وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة . لذلك ها أنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً فتبيد حكمة حكمائه وفهم فهمائه . ويل لمن يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم فى الظلمة » . (أشعياء : ٢٩ : ٩ : ١٦)

فكان تعهد الله للمسيح بإبادة حكمة معارضيه وعدم فهمهم لكلامه هو المشجع الأكبر له فى إعلانه « حرب الكلمة » ضد أعدائه وإدانتهم .

مما جعله يقول التعاليم الآتية عن حكمته وعن أن كلامه عن مملكة الله لن يفهمها إلا تلاميذه وأتباعهم المخلصون فقط أما الباقون فلن يفهموها لأن الله غطاها وأخفاها عنهم

« الأنبياء رؤساؤكم الناظرون غطاهم، وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم » .

فقال المسيح عن حكمته وعدم فهمهم لها و عن رسالته التى جاء يبشر بها وهى التبشير بمملكة الله :

« فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا لأنى أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها » . (لوقا : ١١ : ١٤ : ١٥)

وعن فهم تلاميذه فقط لحكمته وللملكوت جاء :

١ - « فقال : لكم قد أعطى أن تعرفوا أسرار ملكوت الله وأما للباقين فبأمثال حتى انهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون » . (لوقا : ٨ : ١٠)

٢ - « فقال لهم قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شىء . لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعون فتغفر لهم خطاياهم » . (مرقس : ٤ : ١١ - ١٢)

٣ - « فأجاب وقال لهم لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات وأما لأولئك فلم يعط » . (متى : ١٣ : ١١)

فمن ذلك نرى أن هناك حكمة خاصة بالتلاميذ علمهم أياها المسيح وببساطة قد أسس المسيح « تنظيم الحكمة » لمواجهة أعدائهم وكان مقدر ومكتوب لهذا التنظيم أن تستمر حكمته ولا تضيع وذلك لتعهد الله بحفظها وعدم زوالها كما جاء فى أشعياء وحكى عنه المسيح فى الأناجيل :

« ويأتى الفادى إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب يقول الرب . أما أنا فهذا عهدى معهم . قال الرب روحى الذى عليك وكلامى الذى وضعته فى فمك لايزول من فمك ولا من فم نسلك ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن وإلى الأبد ».

(أشعياء : ٥٩ : ٢٠ - ٢١)

مما دفع المسيح للتصريح بالآتى :

« السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول » .

(لوقا : ٢١ : ٢٣) ، (متى : ٢٤ : ٣٥) ، (مرقس : ١٣ : ٣١)

فهكذا تم تنظيم « منظمة الحكمة» للمسيح وأتباعه برعاية من الله وتعهده بحمايتها وكان غاية المسيح وأتباعه هو أن تستمر رسالته ونبوته عن مملكة الله والمسلمين إلى أن يأتوا وبعد

مجيئهم وإلى الأبد لبيان الهدف من تلك الحكمة وهو أنها قد قهرت أعداء المسيح بل واستخدمتهم كحامل لرسالة دون أن يفهموها وهذا هو أكبر إنتقام ورد على ما حاولوه وفعلوه مع شخص المسيح ومع رسالته .. فالثأر كان فى صورة إظهارهم كجهلة وحمقى أمام الحكمة وهذا هو اسلوب الله أيضا فى رده على من أنكر رسالته وتولى عنها.. فقال القرآن عن رد الله على المستهزئين برسالته وأنبيائه ونعمه :

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣)

فهنا استهزأ الله بمن حاولوا الإستهزاء برسالته بأنه يمدهم فى رفضهم لها ويعميهم عنها وقد جاء ذلك فى أكثر من موضع فى القرآن :

قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا (٧٥) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٧٦) (١٩ : مريم : ٧٥ - ٧٦)

فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦) (٢٣ : المؤمنون : ٥٤ - ٥٦)

وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) (٤ النساء : ١١٥)

وهذا يكون جزاء حساباً لأن المخلوق لابد له أن يفكر قليلا فى خالقه وعن أمور خالقه ولايترك نفسه ألعوبة فى يد المتسلطين أو يتنازل عن عبادة خالقه من أجل أهوائه وشهواته ومصالحه فيختار العقائد الفاسدة لأنه لم يفكر ويدقق لكى يختار عقيدته .

اسلوب التنظيم لحفظ الحكمة

إن اختلفت بعض الروايات بين الأناجيل فى الأشخاص أو الأماكن إلا أننا لا نجد إجماعا متفقا عليه - ونشدد على أنه متفق عليه - إلا فى روايات كاتبى الأناجيل لأقوال المسيح فى :

١ - أن الذى سيصلب هو ابن إنسان « ابن رجل » .

٢ – أن الذى يتم به الملكوت « المملكة » هو ابن رجل أيضاً فلم يورد لنا إنجيل واحد قولاً للمسيح أنه سيتم صلبه هو .... ولكن أن ابن الإنسان « الرجل » سيصلب ..كذلك لم يرو لنا اى إنجيل بأن الذى يكوّن الملكوت هو المسيح بل ابن رجل أيضا . وهذا الإجماع يشير إلى أنه كانت هناك تعليمات مشددة بأن النص المكتوب فى ذلك الأمر يكون بنفس الإسلوب وهو كتابة ابن الإنسان فى مواضع الصلب والملكوت . وهذا ما دعانى إلى القول بوجود اتفاق بين المسيح وتلاميذه على الكتابة بهذه الكيفية فبينما نرى الإختلافات بين الأناجيل وبعضها فى طريقة رواية معجزات المسيح عليه السلام وأماكنها . راجع كتاب « إظهار الحق » للشيخ خليل الرحمن الهندى (رحمه الله) بينما لا نجد أى إختلاف بين الأناجيل فى مسائل ابن الرجل والصلب والملكوت . أما يوحنا فقد أشرت مراراً إلى أنه كان عبقريا وحكيماً بل كان أكثر التلاميذ حكمة ولذلك نص إنجيله على صحبة المسيح له وطلبه من يوحنا أن يأخذ أمه . واخذ الأم عند اليهود فى التلمود له معنى آخر وهو أخذ الحكمة . فمما ينص عليه التلمود أنه من رأى فى نومه أنه يضاجع أمه فسوف تأتيه الحكمة ويكون حكيما . وإن كان إخراج تلك الرواية فى التلمود جاء بالطريقة الحاخامية القديمة التى جعلت الأنبياء أرذل زناة الأرض . فقد جعلت رواياتهم مضاجعة الأم لا العناية بها يدل على الحكمة أما أن أخذ الأم والعناية بها هو أخذ الحكمة فقد ورد فى إنجيل يوحنا وصية من المسيح ليوحنا بأن يأخذ أمة مريم ونص يوحنا على أنه أخذها ... « إلى خاصتة » مما يوضح لنا أنه أخذ الحكمة لأنه قال

« ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته » . (يوحنا : ١٩ : ٢٧)

وكما نرى أن يوحنا أشار إلى المفهوم اليهودى إلى أخذ الأم والحكمة وإن رفض الأسلوب اللاخلاقى التلمودى أيضاً .

نأتى لحكمة يوحنا وكيف أنه كتب فى إنجيله أن الذى يكفر بالمسيح سيعتقد أنه هو ابن الإنسان « «ابن الرجل » المشار إليه فى الأناجيل كما سيعتقد فى أكل المسيح وشرب دمه على أنه الله ليحل الله فى جسد الذى يأكله . وكيف روى ذلك يوحنا بطريقة عبقرية اعتقد فيها من كفر بالمسيح أنه نص صريح على أكله وشربه بينما كتبها يوحنا على أن الكفار فقط هم الذين يفعلون ذلك فجاء فى يوحنا : (٦ : ١ – ٦٥)

بعد هذا مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية. وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا أياته التى كان يصنعها فى المرضى . فصعد يسوع إلى جبل وجلس هناك مع تلاميذه وكان

الفصح عيد اليهود قريبا . فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعا كثيرا مقبل إليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء . وإنما قال هذا ليمتحنه لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل أجابه فيلبس لا يكفيهم خبز بمئتى دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئا يسيرا . قال له واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سمعان بطرس . هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان . ولكن ما هذا لمثل هؤلاء . فقال يسوع اجعلوا الناس يتكئون. وكان فى المكان عشب كثير. فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ والتلاميذ أعطوا المتكئين . وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا . فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكى لا يضيع شئ فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التى فضلت عن الآكلين . فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم . وأما يسوع فإذا علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا إلى الجبل وحده .

ولما كان المساء نزل تلاميذه إلى البحر .فدخلوا السفينة وكانوا يذهبون إلى عبر البحر إلى كفر ناحوم. وكان الظلام قد أقبل ولم يكن يسوع قد أتى إليهم ، وهاج البحر من ريح عظيمة تهب . فلما كانوا قد جذفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوه نظروا يسوع ماشيا على البحر مقتربا من السفينة فخافوا . فقال لهم أنا هو ولا تخافوا . فرضوا أن يقبلوه فى السفينة وللوقت صارت السفينة إلى الأرض التى كانوا ذاهبين إليها .

وفى الغد لما رأى الجمع الذين كانوا واقفين فى عبر البحر أنه لم تكن هناك سفينة أخرى سوى واحدة وهى تلك التى دخلها تلاميذه وأن يسوع لم يدخل السفينة مع تلاميذه بل مضى تلاميذه وحدهم غير أنه جاءت سفن من طبرية إلى قرب الموضع الذى أكلوا فيه إذ شكر الرب . فلما رأى الجموع أن يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه دخلوا هم أيضا إلى السفن وجاءوا إلى كفر ناحوم يطلبون يسوع . ولما وجدوه فى عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا أجابهم يسوع وقال الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم ، اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الأب قد ختمه . فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله .

أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله. فقالوا له فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك . ماذا تعمل. آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم

خبزا من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له يا سيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة . من يقبل إلى فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً . ولكنى قلت لكم إنكم قد رأيتمونى ولستم تومنون . كل ما يعطينى الآب فإلى يقبل ومن يقبل إلى لا أخرجه خارجاً . لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئه الذى أرسلنى . وهذه مشيئة الأب الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه فى اليوم الأخير . لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير .

فكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذى نزل من السماء . وقالوا أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه . فكيف يقول هذا إنى نزلت من السماء . فأجاب يسوع وقال لهم لا تتذمروا فيما بينكم لا يقدر أحد أن يقبل إلى إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . إنه مكتوب فى الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله . فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إلى . ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذى من الله . هذا قد رأى الآب . الحق الخق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية . أنا هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المنّ فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء إن أكل احد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم .

فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه . كما أرسلنى الآب الحى وأنا حيّ بالآب فمن يأكلنى فهو يحيا بى . هذا هو الخبز الذى نزل من السماء . ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد . قال فى المجمع وهو يعلّم فى كفر ناحوم .

فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا إن هذا الكلام صعب . من يقدر أن يسمعه . فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم أهذا يعثركم . فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولا . الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئا . الكلام الذى آكلمكم به روح وحياة ولكن منكم قوم لا يؤمنون .لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذى يسلّمه . فقال لهذا قلت لكم أنه لا يقدر أحد أن يأتى إلى إن لم يُعط من أبى » .

ما حدث فى جميع المدارس المسيحية هى التيه وفقدان المعنى الموجود فى آخر الحديث والتمسك بالمجريات التى فى الحوار بين المسيح واليهود وأخذ ما أنكره المسيح من أن اليهود الذين يستهزئون به برغم أنه يريهم الكثيرمن المعجزات ويطعمهم كما فى أول الإصحاح نفسه:
يوحنا (٦ : ١١ - ١٤)

« وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ والتلاميذ أعطوا المتكئين . وكذلك السمكتين بقدر ما شاءوا . فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكى لا يضيع شيء فجمعوا وملأوا اثنى عشرة قفّة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التى فضلت عن الآكلين . فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم . وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا إلى الجبل وحده » .

فالمسيح قد صنع أمامهم معجزة كبيرة بأن أطعم خمسة الاف شخص بخمسة أرغفة وسمكتين فهللوا له واعتقدوا أنه النبى الملك وصاحب الملكوت الموعود به لديهم بينما هو قد أجهد نفسه طالبا منهم التوبة انتظارا للملك والنبى الملك عليه الصلاة والسلام لذلك هرب لأنهم سيبالغون، ويجعلونه الملك لا المبشر به . فهرب منهم . ويسوق إلينا يوحنا الحكيم أنه بعدما هرب المسيح منهم ترصدوا له وتتبعوه وركبوا السفن وراءه ليس لأنهم آمنوا به ولكن ليأكلوا مرة أخرى أو مرات : (يوحنا : ٦ : ٢٤ - ٢٧)

« فلما رأى الجمع أن يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه دخلوا هم أيضا السفن وجاءوا إلى كفر ناحوم يطلبون يسوع . ولما وجدوه فى عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا . أجابهم يسوع وقال الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم

من الخبز فشبعتم . اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الآب قد ختمه » وضع ختمه عليه »(١) .

فنرى بداية ضجر وتذمر المسيح من عدم إيمانهم وجريهم وراء الماديات والطعام وليس وراء الإيمان بالله فطلب منهم ألا يجروا وراء الطعام ، والشراب ولكن وراء الايمان بما جاء المسيح ليبشر به وهو ابن الرجل الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ الذى يقودهم للإيمان والملك لأن الله قد وضع خاتم النبوه الإلهى عليه وختم به الأنبياء وواضح أن يسوع يتكلم عن شخص آخر قال عنه « الذى يعطيكم ابن الإنسان » ابن الرجل » لأن هذا الآب قد ختمه » .

وإن كان يقصد نفسه لقال : « الذى أعطيكم أنا لأن الآب قد ختمنى » لأنه لم يسبق للمسيح أن تكلم عن نفسه بضمير الغائب وكما أشرت من قبل أنه من الأمراض والعيوب النفسية والشخصية أن يتكلم الإنسان عن نفسه بضمير الغائب والمسيح الحكيم منزه عن ذلك.

ويسير سياق الحديث والحوار بعد ذلك بين المسيح واليهود هو يطالبهم بالإيمان وهم يطالبونه بالطعام وكفى .. فعندهم الخبز قبل الإيمان دائما وليس – حتى – أحياناً . فجاء الحديث التالى : (يوحنا : ٦ : ٢٨ – ٣١)

« فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله . فقالوا له فأيه آية تصنع لنرى ونؤمن بك ماذا تعمل . آباؤنا أكلوا المنّ فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا » .

مع أن المسيح قد أطعمهم الخبز والسمك وأرادوا أن يجعلوه ملكاً فهرب منهم ومع أنه هو نفسه المسيح الذى فعل تلك المعجزة أمامهم وتتبعوه فإذا بهم يقولون له « فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ماذا تعمل آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا » .

فإيمانهم مرتبط بالوجبة إذا أكلوها آمنوا وإن جاعوا كفروا وكذلك إن لم يعجبهم الطعام. فقد أراهم المسيح آية الطعام السمكتين والخمسة أرغفة أطعمهم وهم خمسة آلاف ولكنهم عندما جاعوا قالوا له « فآية آية تصنع لنرى ونؤمن بك » وكأنه لم يجر أية آية أمامهم بل طلبوا وجبة أخرى أو وجبات كثيرة كما أكل آباؤهم فإن جاءت الوجبات آمنوا وإلا فلا داعى للإيمان

---

(١) المعنى بين الأقواس هو ترجمة « ختمه » فى نسخة الملك جيمس الإنجليزية .

عندهم بل طلبوا منه أن يأكلوا دائما طوال حياتهم كما أكل آباؤهم المن أربعين سنة وعبثا جادل المسيح معهم فى أن التقوى والإيمان أفضل من الغذاء الذى يستطيع الإنسان الحصول عليه بالعمل لا أن يبتز الله فإن أطعمه آمن وإن لم يطعمه كفر : (يوحنا : ٦ : ٣٢ - ٤٠)

« فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له يا سيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة . من يقبل إلىّ فلايجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً . ولكنى قلت لكم إنكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون . كل ما يعطينى الآب فإلى يقبل ومن يقبل إلى لا أخرجه خارجاً . لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه فى اليوم الأخير . لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » .

وعبثا حاول المسيح إقناعهم بروحانياته وإيمانياته بالله وأن ذلك أكبر بكثير من إيمان الوجبات - إن جاز لنا تسميته بذلك - ولكن ماذا يفعل المسيح إن كان الله لا يريد لأمثال هؤلاء الهداية ليس ظلما منه ولكن أية نوعية من البشر كانوا ليتدنى الإيمان بالله إلى تلك الدرجة السفلى ويربطوا إيمانهم بنزول الوجبات جاهزة من السماء فليس لله حاجة بهم . وابتدأ المسيح فى الضجر منهم والتصريح بأنهم لا يؤمنون « ولكنى قلت لكم إنكم رأيتمونى ولستم تؤمنون ».

وفى خطاب المسيح المتكرر مع اليهود كان يطالبهم بأن « يولدوا من السماء » وكان يعنى أن تولد أرواحهم ثانية ولادة إيمانية لا مادية .. ولادة تؤمن بالله والغيبيات وليست ولادة حياة مادية "إيمانها بالوجبات" كما قال المسيح من قبل :

« أجاب يسوع وقال له الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله . قال له نيقوديموس كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ . ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد . فأجاب يسوع الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو الروح . لا تتعجب أنى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق » . (يوحنا : ٣ : ٣ : ٧)

فالولادة « أو النزول » من السماء فى لغة المسيح وروحانياته كان يقصد بها أن تنزل روحه

من السماء ولا ترتبط بالأرضيات أى أن يكون سماوياً .

والمسيح لم يكن سماوياً فقط ولم تولد روحه فقط من السماء - كأرواح البشر جميعا - بل كان أمره وشئونه تنزل من السماء . وعندما أخبر اليهود :

« كل ما يعطينى الآب فإلى يقبل ومن يقبل إلى لا أخرجه خارجاً . لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى ولكن مشيئة الذى أرسلنى » .

لم يكن ردهم عليه بأن يستفهموا منه ما معنى أنك نزلت من السماء فيشرح لهم أن روحه كأرواحهم أتت من السماء وقد ولد وظل سماويا لأنه لا يعمل مشيئته وهواه بل دائما يعمل ما يرضى الله أما هم فهواهم أخلدهم إلى الأرض ولذلك يجب أن يولدوا من السماء ويظلوا سماويين كما أشرت . لكن هل يستفهم من المسيح عن قصده من أقواله من اتبعه لأجل الولائم فقط ..؟

إن من يسأل يريد أن يتعلم . وليتهم لم يسألوا فقط ! ولكنهم أبدوا البذاءة والسفالة والتهكم عليه فقالوا همساً بينهم ماذا يظن نفسه نحن نعلم كيف جاء إلى العالم إنه ابن زنى أى سماوية يدعى وأبويه مريم ويوسف ونحن نعرف ما نعرفه عنهما .. فكيف يقول هذا أنى نزلت من السماء مما أغضب المسيح وفى غضبه يقول نبوءات تؤسفه ولكنهم يستحقونها وسيفعلونها فكان كما جاء وصفه :

« الذى إذا شُتِم لم يشتم عوضا بل يسلم أمره لمن يقضى بعدل » .

فهكذا سلم المسيح أمره لله مخبراً إياهم بما سيفعلونه بإيمانهم « إيمان الوجبات » فإنهم سيأكلونه ويظنونه ابن الإنسان « ابن الرجل » ويدّعون أن ذلك لأن الله يثبت فى المسيح وهم يثبتون فى المسيح وفى الله بأكل جسد المسيح وشرب دمه على طريقتهم التى أيدوها واصروا عليها طريقة « إيمان الوجبات » فعن ذلك جاء ما يلى من حوار : يوحنا (٦ : ٤١ - ٥٩)

« فكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذى نزل من السماء . وقالوا أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه . فكيف يقول هذا إنى نزلت من السماء ، فأجاب يسوع وقال لهم لا تتذمروا فيما بينكم لا يقدر أحد أن يقبل إلى أن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . إنه مكتوب فى الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إلى . ليس أن أحدا رأى الآب إلا الذى من الله هذا قد

رأى الاب الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية . أنا هو خبز الحياة . اباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » .

هذه الفقرة من حوار المسيح مع اليهود تبدأ بتذمرهم وهمسهم – الذى سمعه المسيح – بسب المسيح ، واتهامه بعقد النقص وذلك لأنه ابن زنا فى معتقدهم ولذلك يتعالى ويقول آنه نزل من السماء . بينما يبين يوحنا أن المسيح كان يقصد أنه الخبز الروحى أو بمعنى أصح الغذاء الروحى الذى نزل من السماء فقال يوحنا « وكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذى نزل من السماء » .

فحكمة يوحنا ومفهومه بأن المسيح هو الغذاء الروحى برسالته الآتية من السماء أما اليهود فكانوا يريدون الوجبات ولما لم يأخذوها أعربوا وهم يتفكهون ويتندرون على المسيح « أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه فكيف يقول هذا إنى نزلت من السماء» . فسخرية اليهود من المسيح – بعدما أراهم الكثير والعجيب من المعجزات النبوية – واضحة لكل من يفهم القراءة ويقرأ هذه الفقرة :

« وقالوا أليس هذا يسوع بن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه فكيف يقول هذا إنى نزلت من السماء » . (يو : ٦ : ٤٢)

فهم كما ورد فى النص يتبعونه ليطعمهم وهم يعرفون من هو ولكن إن قالوا بعد أن تتبعوه كل هذا « أليس هذا هو يسوع بن يوسف » .

فالغرض من السؤال هنا ليس الاستعلام ولكن السب والقول أليس هذا يسوع بن ....

وأنهم يعرفون قصة أمة كما يعتقد فيها اليهود إلى الآن « وهى المنزهة الطاهرة » وإصرارهم على أنه« يسوع بن يوسف » .

وترديدهم لذلك الإصرار « الذى نحن عارفون بأبيه » ينفى عنهم السذاجة والبراءة فى ترديدهم للكلام وبهذه الصورة فهم يسبونه بأفظع الشتائم وما يمكن أن يوجه له من سباب . والآن ما هو رد المسيح بعد أن حاول جهده معهم أن يؤمنوا الإيمان الصحيح بالله ويؤمنوا ببشارته بالملكوت القادم . فقد وصل إلى طريق مسدود ونهايته سب وشتم منهم فكل ما فعله

هو أن أظهر لهم عاقبتهم السيئة وما سيؤولون إليه بعد كفرهم به فأخبرهم كماقال القرآن لمحمد ﴿ﷺ﴾ فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم بمسيطر (٢٢) إلا من تولى وكفر (٢٣) فيعذبه الله العذاب الأكبر (٢٤) (٨٨ : الغاشية : ٢١ – ٢٤)

فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ . (٤٢ : الشورى : ٤٨)

فقال المسيح لليهود بعدما رأوا الآيات والمعجزات وسبوه « فأجاب يسوع وقال لهم لا تتذمروا فيما بينكم . لا يقدر أحد أن يُقبل إلى إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . إنه مكتوب ويكون الجميع متعلمين من الله . فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إلى . ليس أحداً رأى الآب إلا الذى من الله هذا قد رأى الآب . الحق الحق أقول لكم كل من يؤمن بى فله حياة أبدية . أنا هو خبز الحياة » . (يو : ٦ : ٤٣ : ٤٨)

فهنا قد أوضح لهم المسيح أنه لا يهدى من يريد ولكن الله هو الذى يهدى أما عن طلبهم منه أن يطعمهم دوماً كما أطعم موسى آباءهم الذين بعدما أكلوا عصوا موسى وعبدوا العجل فإنهم كآبائهم لن يأكلوا المن ويكفروا ولكنهم سيأكلون جسد المسيح ويشربون دمه بدلاً من عجل آبائهم فقد ورثوا الكفر فقال لهم عن ذلك

« آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . إن أكل احدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » .

(يو : ٦ : ٤٩ – ٥١)

فهنا يخبرهم أن آباءهم بعدما أكلوا المن فى البرية وكان المفروض ألا يعصوا فتكون لهم الحياة الأبدية فى النعيم ولكنهم أكلوه وماتوا فى كفرهم . وهم كآبائهم لن يأخذوا تعاليم المسيح ولكنهم سيأخذون لحمة وجسده ليأكلوه كفراً كآبائهم .

فاستغرب اليهود هذه النبوءة وقالوا :

« فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل . فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه . كما أرسلنى

الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي . هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا . من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد قال هذا في المجمع وهو يعلم في كفر ناحوم فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم أهذا يعثركم . فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً ولكن منكم قوم لا يؤمنون . لأن يسوع علم من البدء من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذي يسلمه . فقال لهذا قلت لكم إنه لا يقدر أحد أن يأتي إلي إن لم يُعط من أبي » .

(يوحنا : ٦ : ٥٢ – ٦٥)

فبعد أن سب اليهود المسيح فأخبرهم أنهم كيهود ورثوا الكفر وأشربوا العجل في قلوبهم فحياتهم هي الكفر وبدونه لاتكون لهم حياة .

« فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » .

فهكذا فليس لهم حياة في أنفسهم – الكافرة – حتى يأكلوا جسد المسيح قائلين أنه ابن الرجل كما يزعمون

« أليس هذا يسوع بن يوسف » أما عن طريقه أكله ولماذا .. لأنهم كانوا يتذمرون بعد أن قال لهم إنهم بكفرهم سيأكلون ما يعتقدونه جسده فقد غضبوا إذ أنبأهم بذلك « فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل » فعندما اندهشوا من ذلك أخبرهم يسوع أنهم ليس لهم حياة فيهم إلا بالكفر . حياتهم التي تطلب نزول الوجبات الجاهزة من السماء ليؤمنوا هي حياة قائمة على الكفر وبدونه لا يصير لهم حياة .

« فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » .

ولعلمه أنهم يندهشون لذلك القول وضّح لهم وشرح لهم متنبئا بما سيعتقدونه ويؤمنون به عند أكلهم القربان الذي يظنونه جسد المسيح وشربهم النبيذ ظانين أنه دمه شرح لهم معتقداتهم فيه بعد أن يصير هذا حالهم فقال :

« إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي

ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه . كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب فمن يأكلنى فهو يحيا بى هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا . من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد . قال هذا فى المجمع وهو يعلم فى كفر ناحوم » .

فبعد أن اندهشوا من رده على سبهم له بأنهم لن يؤمنوا به لأن الله لم يرد لهم الهداية وحياتهم مادية تشترط على الله لتؤمن تلك الحياة التى فيهم لاتكون إلا بالكفر فإن طلبوا الخبز من المسيح ولم يعطهم وسبوه فهم سيأكلون ما يعتقدونه جسد المسيح من خبز داعينه «العشاء الربانى » ويشربون النبيذ على أنه دم المسيح أيضا فى ذلك العشاء الربانى وشرح المسيح لهم أنهم سيعتقدون أن من يأكل جسد المسيح ويشرب دمه فسيقيمه المسيح فى اليوم الأخير وكذلك أعلمهم المسيح أن ما يقوله عن أنهم سيأكلون جسده هو نبوءة حقه لأنهم يعتقدون أنه حى بالله والله حل فيه فمن يأكله يأكل الله الحى . وهكذا يعتقدون أنهم أحياء بأكل الله لأن حياتهم كفر بكفر كآبائهم الذين ظلوا طوال حياتهم يأكلون المن والوجبات الجاهزة من عند الله ولم يكن ذلك داعياً لهم للإيمان بل ماتوا فى كفرهم . وقد يقول قائل كيف تلوى الكلام وتأوله على هواك وتظن أن تصريح المسيح بأننا لابد أن نأكل جسده ونشرب دمه أنه كلام للكفرة بينما هو يدعونا لذلك هل .. أنت أعلم منه أم عاصرته أم أنك تهاجم كمسلم وتطلق لنفسك العنان فى خيالاتك لتحقق من إنجيلنا وعقيدتنا ما تعتقدونه كمسلمين وما يخالفه نص إلهنا المسيح ؟! ورد على هذا أقول : إن الكلام يؤخذ من أوله وآخره وآخر كلام المسيح فى هذا الأمر هو الحوار بينه وبين تلاميذه وما نص عليه يوحنا بأن المسيح قد قال ذلك فعلاً لهم لأنه يعلم تماماً بكفرهم وخيانتهم له وانهم هم اليهود أنفسهم الذين سيحاولون تسليمه للروم لكى يصلبوه فهم أعداؤه والكفرة به لذلك شرح لهم عقيدتهم كماأشرت ويؤيد كل ما قلته يوحنا نفسه فى سياق الحوار التالى :

« قال هذا فى المجمع وهو يعلم فى كفر ناحوم فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه . فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون عليه فقال لهم أهذا يعثركم . فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً . الروح الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذى أكلمكم به روح وحياة . ولكن منكم قوم لا يؤمنون. لأن يسوع علم من البدء من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذى يسلمه . فقال لهذا قلت لكم لايقدر

أحد أن يأتى إلى إن لم يعط من أبى » .

فكما نرى هنا من الحوار الذى ساقه لنا يوحنا قول المسيح « الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئاً الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة . ولكن منكم قوم لا يؤمنون .لأن يسوع علم من البدء من هم الذين لايؤمنون ومن هو الذى يسلمه فقال لهذا قلت لكم لا يقدر أحد أن يأتى إلى إن لم يعط من أبى » .

فهنا تصريح قوى للمسيح بأن جسده لا يفيد شيئاً سواء كان جسده شخصيا أم أنهم تصوروه فى الخبز والخمر فهو لا يفيد بأى شىء ولكن منهم قوم لا يؤمنون وسيفعلون بطبيعتهم الكفرية عجلا آخر كعجل موسى ليعبدوه وفى هذه المرة سيتصورون أنه جسد المسيح ودمه وأن الإله يحل فى ذلك الخبز والنبيذ كما اعتقد اليهود بحلول الإله فى عجلهم الذى عبدوه بعد ذهاب موسى لميعاد الله . وشرح المسيح لتلاميذه أنه يعلم تماما أن اليهود هم الذين سيحاولون تسليمه للرومان وهو يعلم أيضا « أعلمه الله » بمن سيؤمن به ومن الذى يخونه واليهود الذين كان يعلمهم فى مجمع كفر ناحوم هم الذين سبوه فى ذلك اليوم وهم أيضا الذين سيخونونه ويسلمونه للروم فشرح لتلاميذه أنه لهذا قال « لا يقدر أحد أن يأتى إلى إن لم يعط من أبى » .

وأشير إلى أن كلام المسيح ونبوءته لليهود بكيفية كفرهم به وكيف سيأكلون لحمه ويشربون دمه فى عشائهم الربانى تلك النبوءة قد أدهشت تلاميده وجعلتهم يتذمرون لأنها عجيبة فقال لهم المسيح إن كان هذا عجيبا فى نظركم فهم سيقولون أيضا أننى ابن رجل وسأصعد إلى حيث كنت أولاً وسيعتقدون أنى إله نزلت إلى الأرض وصعدت إلى حيث كنت أولاً ويعتقدون أنى ابن رجل فقال لهم عن ذلك « فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا الكلام فقال لهم أهذا يعثركم . فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً . الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئاً الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة ولكن منكم قوم لا يؤمنون . لأن يسوع علم من البدء من هم الذين لا يؤمنون . ومن هو الذى يسلمه » .

فرد المسيح على تلاميذه إن كان ذكرى لأكلهم جسدى وهو كلام حق يدعوكم للدهشة والعثرة والشك فما بالكم فى اعتقادهم بأنى ابن رجل وانى إله سأصعد إلى حيث كنت أولاً بعد رحيلى فلا تلتفتوا لهذا الكلام لأن المؤمنين منكم لا يفعلونه ولكن القوم الذين لا يؤمنون سيفعلونه لأنه يعلم من الذى يؤمن ومن الذى سيخونه ولهذا قال لهم إنهم لا يستطيعون

الإيمان إن لم يعطهم الله تلك النعمة . وختاماً لذلك الفيض من الحكمة التى ساق بها يوحنا الحوار نختتم الكلام عن أسلوبه الذى استخدم به أعداءه فى حفظ الكلام الذى يدينهم ويشهد على كفرهم برغم أنهم حملة كلامه ويقدسونه نختم بحكمته الرائعة المنقولة عن فم المسيح .

« الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئاً الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة ولكن منكم قوم لا يؤمنون . لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذى يسلمه » . (يوحنا : ٦ : ٦٣ – ٦٥)

الباب الثامن

الهدف من الحكمة

الهدف من الحكمة والأسفار المختومة

كما أشرت أن الهدف من استخدام المسيح للحكمة هو النصر على أعدائه وإظهار جهلهم وضعفهم وأنهم مع جبروتهم وسطوتهم وحبهم لعبادة الملموسات المصورة - كإنسان - قد حملوا رسالته التى تدينهم ولم يفهموا الحكمة التى تحتويها ولا الكلام الموجود بها إلا عندما يجيء من بشّر به المسيح وهو محمد ﴿ﷺ﴾ ويحول رموز تلك الحكمة لواقع ملموس ويوضح لهم خطأ اعتقادهم .. وهذا هو الانتصار المبين والمعجز للمسيح ، أنه رغم كونه رجل سلام طبيب لا يستعمل العنف قد قهر جيوش الروم وكفرة اليهود وجعلهم يحملون رسالته دون أن يفقهوها وإن قدّسوها أشد التقديس وحاربوا حتى المسلمين الذين ما جاء المسيح إلا ليبشر بهم فهكذا تعصب أعداء المسيح لرسالته برغم نبوءته لهم بأنهم لن يفهموا معنى ملكوت الله وأن التلاميذ فقط سيفهمونها فهكذا حمل أعداؤه رسالته وتعصبوا لها وحاربوا من جاءت الرسالة التى يحملونها لتبشر بهم .

وهنا أعلم تماماً أن حاملى الإنجيل دون القرآن سيقولون لى: توقف هنا لقد أطلقت لخيالك وتعصبك الأعمى العنان وصورتنا نحن المؤمنين بالمسيح أننا كافرون به وأننا حملنا رسالته دون أن نفهمها وحارب الصليبيون أجدادك لأنهم لا يفهمون أن أجدادك هم الذين جاء المسيح خصيصاً ليبشر بهم .. هل هذا كلام يعقله بشر ؟ .... وهل تظن أنك الوحيد الفاهم - رغم أننا نعتقد أنك غير ذلك - إن لنا مؤسسات ليس لها همٌ طوال الألفى سنة إلا قراءة رسالة المسيح والمحافظة عليها وفهمها ؟

وبالطبع الرد جاهز .. ونبدأ بالقرآن مع أنكم لا تؤمنون به ولكنه هو الذى جاء بحل الكود والشفرات للحكمة التى تكلم بها المسيح وغيره وحتى لا تقول لى أى كود وأى شفرة أقول لك إنى لا أتخيل ذلك ولكن راجع الإصحاحات ٢٨ ، ٢٩ من أشعياء فهى التى قالت ذلك وسنذكر ما فيها ونوضحه بعد ذكر كلام الله فى القرآن . إن رسل الله لا تأتى جزافا ولكن برسالة واضحة ولهم دائماً النصر وإن حوربوا وقتلوا لكن رسالاتهم خالدة مما يجعلهم دائما منتصرين وأعداءهم مذمومين على مر العصور وأن المسيح انتصر بحكمته التى نفسرها الآن

كما فسرها أشعياء وتنبأ بمجيء القرآن بلسان غير عبراني وهو الكتاب الوحيد المنزل بلغة أخرى وشفاه أخرى وأنه فيه أمر يتعلق بالأمر الموجود في التوراه والإنجيل كنص أشعياء الذي قتل ولكنه ظل أعظم أنبياء بني إسرائيل بعد سليمان وظلت نبوءاته تشهد له على من قتلوه ولذلك فقد انتصر أشعياء رغم مقتله وهذا هو ما يقدره الله دائما لأنبيائه كما نص القران على ذلك :

وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ (٦ : الأنعام : ٣٤)

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ (١٢: يوسف : ٢١)

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ (١٢ : يوسف : ١١٠)

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾
(٣٧ : الصافات : ١٧١ – ١٧٣)

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾

(٤٠ : غافر : ٥١)

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ (٥٨ : المجادلة : ٢١)

فهكذا نرى نصر المسيح ونصر أشعياء في خلود رسالتيهما وحمل من أضطهدوهما لهما . ونرى أن الله دائما هو ورسله هم المنتصرون وإن اضطهد النبي أو قتل فلم يكتب لأحد الخلود فالكل سيموت إن لم يقتل .. ولكن أنبياء الله إنجازاتهم عظيمة ويؤدون رسالاتهم كما أراد الله لهم أن يؤدوها وطبقا لما قدره الله لتلك الرسالة فهم أعضاء في منظومة محكمة التخطيط تلك المنظومة التي جعلت من رسالة أشعياء محوراً عند المسيح ونبوءاتها عن علاقة القرآن بالإنجيل. فقد نص أشعياء على أن الله بعد أن يضل أهل الكتاب الذين يشربون الخمر ولا يحرموها لن يفهموا وحي الأنبياء لذلك سيكلمهم الله بلسان اخر وبشفة لها لكنه وسيجعل الله مفهوما مما لديهم يعتمد على مفهوم من الوحي الجديد وسطرا من الموجود في كتابهم ينتظر السطر الآخر مما يوحى به في اللغة الجديدة للوحي فهكذا يكون قليلا من هناك لنفهم قليلا من هنا فجاء في أشعياء. (٢٨ : ٧ – ١٣)

« ولكن هؤلاء أيضا ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر . الكاهن والنبى ترنحا بالمسكر ابتلعتهما الخمر تاها من المسكر ضلا فى الرؤيا قلقا فى القضاء . فإن جميع الموائد امتلأت قيئا وقذراً . ليس مكان . لمن يعلم معرفة ولمن يفهم تعليماً المفطومين عن اللبن للمفصولين عن الثدى . لأنه أمر على أمر . فرض على فرض . فرض على فرض . هنا قليل هناك قليل .

إنه بشفه لكناء وبلسان آخر يكّلم هذا الشعب الذين قال لهم هذه هي الراحة . أريحوا الرّازح وهذا هو السكون . ولكن لم يشاءوا أن يسمعوا فكان لهم قول الرب أمراً على أمرٍ أمراً على أمرٍ فرضاً على فرضٍ فرضاً على فرضٍ هنا قليلاً هناك قليلاً لكى يذهبوا إلى الوراء وينكسروا ويصطادوا فيؤخذوا »

هنا يصف أشعياء حال أهل الكتاب من قبل مجيء محمد ﴿ﷺ﴾ وإلى الآن فهم قد ضلوا « وهذا هو وصف القرآن فى سورة الفاتحة » وصارت الخمر ملهاتهم والهتهم عما يوجد بين أيديهم من رؤى الأنبياء حتى كهنتهم قد ضلوا عما يوجد فى كتبهم « وكما سنوضح صارت كتبهم غير مفهومة ومختومة » .

وإن أراد المسلمون الشرح لهم فلا مكان للتعليم ولا أذان تتعلم لأن الكتب الموجودة لديهم قد صارت بعد مجيء القرآن بلغة عربية ولسان آخر لا تفهم إلا بالقرآن فهو الوحيد الذى يحل الرموز والأشياء التى تتكلم عنها كتبهم ولا يجدوها ولا يستطيعوا تفسير ما فيها . فقد صارت كتبهم مختومة « وهذا هو لفظ أشعياء كما سنورد فيما بعد » فإذا نظر فيها الكاهن الذى يعرف القراءة قال إنها مختومة وكأنها بشفرة وكود كتبت ولا تفهم وإذا قدمت كتبهم للعامة قالوا لا نعرفها فهى من إختصاص رجال الكهنوت وهكذا صارت كتبهم رموزاً وطلاسم لا يفهمونها إلا بالقران الذى نص على ذلك :

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

(١٦ : النحل : ٦٣ - ٦٤)

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

(٥ : المائدة : ٤٨)

وعن أن محمداً ﴿ﷺ﴾ هو الذى يجعل نبوءات المرسلين صادقة وبالتالى يكون الأنبياء صادقين فى نبوءاتهم :

بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ (٣٧ : الصافات : ٣٧)

وأن القرآن هو اللسان الموعود به فى أشعياء الذى يصدق « أى يجعله صادقا » ما يوجد معهم من كتب .

وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ (٤٦ : الأحقاف : ١٢)

والآيات التى تنص على أن القرآن هو الذى يجعل التوراه والإنجيل صادقين كثيرة . وبمعنى آخر نرى صدق نبؤة أشعياء المذكورة التى تقول :

« إنه بشفه لكناء وبلسان آخر يكلم هذا الشعب .الذين قال لهم هذه هى الراحة أريحوا الزارح وهذا هو السكون ولكن لم يشاءوا أن يسمعوا فكان لهم قول الرب أمراً على أمرٍ أمراً على أمرٍ . فرضاً على فرضٍ فرضا على فرض هنا قليلاً هناك قليلاً » .

وقد يحتج قائل بأن الكلام هنا عن أمور وفروض داخل نفس الكتاب ولا علاقة للقرآن بذلك. ولكن لتوضيح ذلك نجد أن الكلام الذى تبنى عليه المفاهيم سيكون بلسان آخر والمسيح كان يتكلم العبرية وقد كانت بشارته « إنجيله » للناس بالعبرية . وإن ترجم البعض أو كتب بشارته باليونانية فليس هذا أصل كلام الله .... باليونانية لأن الأصل كان للمسيح بالعبرية وقد نهى المسيح عن إعطاء الخبز للكلاب « غير اليهود » فى حديثه مع المرأة اليونانية التى طلبت منه شفاء ابنتها . وإن أجابته المرأة بأن الكلاب تأكل الفتات من تحت منضدة السادة وشفى المسيح ابنتها إلا أنها أخذت الفتات لا الخبز كله وها قد صار أصل الأناجيل حالياً باليونانية فقط . وإلا فما كان هناك داع لأن يقول المسيح للمرأة اليونانية : « جاءت فى التراجم العربية أممية سورية فينيقية بالمولد » .

« وأما يسوع فقال لها دعى البنين أولا يشبعون لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب فأجابت وقالت له نعم يا سيد والكلاب أيضا تحت المائدة تأكل من فتات البنين»
(مرقس : ٧ : ٢٧ : ٢٨)

وحتى لا يعتقد البعض أن نبوءة أشعياء كانت عن أمور وفروض فأصل النبوءة كما جاءت

في نسخة الملك جيمس هى أنه مفهوم على مفهوم وسطر على سطر قليل من هنا وقليل من هناك .. ولنورد نص نسخة الملك جيمس بالإنجليزية ويقابلها المعنى بالعربية :

(أشعياء : ٢٨ : ٩ - ١٣)

٩ - من الذين سيعلمهم .... 9-"Whom Will he teach

المعرفة ؟ .... Knowledge? ....

ومن الذين سيجعلهم .... And whom will he make

يتفهمون الرسالة ؟ .... to understand the message?........

آهؤلاء المفطومين من اللبن ؟ .... Those weaned From milk

أم هؤلاء المأخوذين من على الثدى..... ....Those drawn from breasts?

١٠ - لأن مفهوم يجب أن يكون[١] ....10- For percept (must be)

على مفهوم ومفهوم[٢] .... upon percept, percept

على مفهوم . ... upon percept,

سطرٌ على سطرٍ سطرٌ على سطرٍ . ... Line upon line,line upon line,

بعض هنا وبعض هناك . ... Here a little,there a little.

١١ - لأنه بشفاة تركن .... 11 - For with stammering lips and

وبلسانٍ آخر . ... another tongue

سيكلّم هذا الشعب .... He will speak to this people

١٢ - لمن قال لهم : هذه هى .... 12 - To whom He said, "This the

الراحة وبها قد تجعلوا . ... rest (with which)

القلق يسكن . ... you may cause the weary to

وهذه هى السكينة .... rest," And this is the refreshing,"

---

(١) إضافة فى نسخة الملك جيمس الحديثة الصادرة فى هذه الأيام .

(٢) مفهوم أو إدراك

Yet they would not hear	إلا إنهم لا يسمعون .
13- But the word of the Lord	١٣- ولكن كلمة الرب .
was to them,	كانت لهم .
"Percept upon percept ,	مفهوم على مفهوم .
percept upon percept,	مفهوم على مفهوم .
Line upon line, line upon line,	سطرُ على سطر
Here a little, there a little"	سطرُ على سطرٍ
That they might go and fall	قليل هنا وقليل هناك
backwards ,and be broken	حتى لا يذهبوا ويسقطوا
And snared and caught.	للخلف وينكسروا ويحصروا ويمسكوا (١)

فيتضح مما سبق من نبوءات أشعياء أنه لن يوجد فيهم من يتعلم لأنهم مشغولون بخمرهم وهى أم الكبائر التى تجرهم لباقى المعاصى من زنا وخلافه كما نرى حالهم الآن فى أوروبا وأمريكا . ويتساءل الله بفم أشعياء من سيتعلم الحكمة والمعرفة أهم الأطفال المفطومين لأن حكمته ومعرفته ستكون مفاهيم فى كتابهم ومفاهيم فى الكتاب الجديد هذا مبنى على هذا فسطر هنا يشرحه سطر هناك عند الشفاة التى تركن عند قراءة القرآن فى حركات الوقف التى منها الوقف اللازم والجائز والجائز مع الوصل اولى وخلافة طبقا لأحكام تلاوة القرآن فشفاه القارىء كثيراً ما تسكن وتقف عند تلك العلامات كما أنه أوضح أن الشعب اليهودى «والمسيح كان لبنى إسرائيل فقط كما جاء فى الأناجيل والقرآن » سيخاطبه الله بلسان آخر . والمسيح تكلم العبرية فقط وتشهد بذلك كلماته العبرية فى الأناجيل للان . ولم يأت أى كتاب يوضح ويشرح ما فى التوراة والإنجيل ويزيل غموض كثير من المفاهيم التى لا يجدون لها تفسيراً لديهم إلا القرآن كوصف حزقيال للمسجد الحرام وتصاريح المسيح بأنه قد أرسل ليبشر بمملكة الله وهذا هو سبب إرساله « فقال لهم إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر

---

(١) لاحظ ما حدث ليهود بنى قريظة وبني النضير وبنى قينقاع فقد حوصروا وسقطوا وانكسروا لأنهم لم يعملوا بما يوجد لديهم عن محمد ﴿ﷺ﴾

بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت » . (لوقا : ٤ : ٤٣)

وإن سألت الكنائس المختلفة عن معنى ملكوت الله لأجابتك كل كنيسة إجابة مختلفة فهل تعقل أن الكنائس لا تعرف لماذا أرسل المسيح !!!!

لأنهم لا يعرفون ولا يتفقون على معنى لملكوت الله الذى كان يبشر به وقال إنه ما جاء إلا ليبشر به :

« ودعا تلاميذه الاثنى عشر، وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاة أمرض . وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله وليشفوا المرضى » . (لوقا : ٩ : ١ - ٢)

« وعلى إثر ذلك كان يسير فى مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر »

(لوقا : ٨ : ١)

وإن إختلفت الكنائس فى فهم معنى ملكوت الله وتعثر اليهود فى معرفة نبوءات حزقيال عن المسجد الحرام ونبوءات دانيال عن الشعب الذى يهزم الرومان ويكون آتيا برسالة من عند الله وتعثروا فى فهم نبؤات أنبيائهم عن محمد ﴿ﷺ﴾ فهذا هو ما يوجد لديهم بأن كتبهم وأسفارهم ستكون مختومة أى كالطلاسم لا تفهم . وأنه بالكتاب المرسل بلسان اخر كما أشار هنا أشعياء سيمكنهم حل الطلاسم والرموز والشفرة التى يمتلكون نصفها .. وهذا ليس إطلاقا للخيال ولا للتعصب ولكنه ما يوجد لديهم ويشير إليه القرآن أيضا . فقد جاء فى سفر أشعياء بعد تلك النبوءة المذكورة وفى الاصحاح التالى مباشرة . (أشعياء : ٢٩ : ٩ - ١٦)

« توانوا وابهتوا تلذذوا واعموا . قد سكروا وليس من الخمر ترنحوا وليس من المسكر . لأن الرب قد سكب عليهم روح سبات وأغمض عيونكم الأنبياء ورؤساءكم الناظرون غطاهم . وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم الذى يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ لنا هذا فيقول لا استطيع لأنه مختوم . أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ، ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة .

فقال السيد لأن هذا الشعب قد اقترب إلى بفمه وأكرمنى بشفتيه وأما قلبه فأبعده عنى وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمه . لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه . ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون من يبصرنا ومن يعرفنا . يالتحريفكم . هل يحسب الجابل كالطين

حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعنى . أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم » .

تشير تلك الايات إلى أنهم سيتلكأون ويفترون الكذب فى نبوءاتهم « توانوا وابهتوا وتلذذوا واعموا » .

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ (١٠ يونس : ٣٩)

ويكذبوا أنبياء الله الذين سيعمون عنهم كما أن الله سيزيدهم من غضبه بان يجعل نبوءات الأنبياء مغشية ومغطاه عليهم « مختومة » .

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)
(٥ : المائدة : ٧٠ - ٧٢)

فكما يشير أشعياء إلى عماهم عما يوجد فى نبوءات أنبيائهم يوضح القرآن ذلك مشيراً إلى كلام المسيح المتكرر فى الإنجيل :

« ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم إلهى وإلهكم » .

(يوحنا : ٢٠ : ١٨)

« فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل إلهنا رب واحد » .

فهنا المسيح يؤكد فى الإنجيل أن أول وصاياه أن يسمع بنى إسرائيل أن « إلهنا » أى الههم وإله المسيح هو رب واحد . ولكنهم جعلوا المسيح هو الله !!!!.

وهكذا يؤكد الله في القرآن ما سبق وقاله بفم أشعياء أنهم قد عموا عن النبوءات وزادهم الله عمى بأن تركهم يغالون فى غيهم وضلالتهم :

قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا (٧٥) (١٩ : مريم : ٧٥)

فهكذا لأنهم كما وصفهم أشعياء « توانوا وأبهتوا تلذذوا واعموا قد سكروا وليس من الخمر ترنحوا وليس من المسكر لأن الرب قد سكب عليكم روح سبات وأغمض عيونكم .

الأنبياء ورؤساؤكم الناظرون غطاهم » .

فقد كذبوا وتلذذوا بكذبهم على أنبيائهم وتكذيبهم للأنبياء فزادهم الله ضلالة وأغمض أعينهم وغطى الأنبياء عنهم ومن عرف من علمائهم الحقيقة وأراد الإسلام افتروا عليه الكذب ولفقوا له الأسباب المذمومه عن إسلامه ، وهكذا من عرف الحق منهم جعلهم الله أيضا يعمون عنهم ويبهتونهم مفترين الكذب عليهم ليس لسبب إلا لغضب الله عليهم فيجعلهم يعمهون عمن اتبع الحق من رؤسائهم وعلمائهم . وهكذا فقد صارت رؤيا الجميع من الأنبياء - وعلمائهم عندما يعرفون الحق - كأنها سفر مختوم أو كتب مكتوبة بشفرة إذا ألقوها للمماطلين من علمائهم لم يتوصلوا للمعنى ويدعون أن السفر مختوم وغير معلوم وقد يفترى أى تفسير لإبعاد السائل عنهم وكفى .

وبالطبع فالعامة لن يعرفوا ما فى تلك النبوءات كذلك من لا يعرف القراءة والكتابة .

وبناء على ذلك فقد زاد غضب الله عليهم لأنهم يكرمونه بشفاههم وقلوبهم بعيدة ، ولا تخشاه وصاروا يخشون الله بتعاليم الناس والمدعين وليس بتعاليم الله . فصار الأدعياء يدعون وصايا تقرب الناس لله « كالثالوث - والخلاص » وبعدوا عن تعاليم المسيح المذكورة عن خشية الله وقس على ذلك الكثير مما عند اليهود ، والنصارى .

ونظراً لما تقدم فقد استحقوا أن يستهزىء بهم الله بأن يجعلهم بلا حكمة ، ولا فهم لما لديهم من كتب « لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه » .

فسيختفى فهمهم لكتبهم وحكمة أنبيائهم فمثلا إن قال المسيح :

« فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها » . (لوقا : ٢١ : ١٤ - ١٥)

فهنا المسيح يعرفهم ويخبرهم أنه يتكلم بالحكمة وهى السبيل الوحيد لهم لفهم كلامه والحجة على أعدائهم . ولكن كما تنبأ أشعياء ستصير مخافه الله ليس بتعليم الأنبياء ولكن بكلام الأدعياء وهوى الرجال العاديين « وصارت مخافتهم منى وصيه الناس معلمه » .

(أشعياء : ٢٩ : ١٤)

فتغيرت وصية المسيح عن الحكمة واستعمالها إلى :

« إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلاً لكى يصير حكيما . لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله لأنه مكتوب الاخذ الحكماء بمكرهم . وأيضا الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة » . (١ : كورنثوس : ٣ - ١٨ - ٢٠)

فهكذا يجب أن يكون الحكماء جهله حتى يكونوا حكماء وذلك لأنه كما يدعى « الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة » .

أى افتراء على الله فهو يستند على (أيوب : ٥ : ١٣) « الآخذ الحكماء بحيلتهم فتتهور مشوره الماكرين » .

فالقول فى سفر أيوب بأن الله يحاسب الماكرين سوءً من الحكماء بأنهم يتهورون ويفقدون حكمتهم عندما يمكرون السوء . فهل صارت الحكمة مذمه فكيف سيفهم الناس كلام المسيح وهذه ليست أول مرة يتكلم فيها بولس عن الحكمة هكذا فقد ساق أيضاً :

« لأنه إذا كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة «الوعظ» » . (١ : كورنثوس : ١ : ٢١)

فهل الحكمة التى أمر المسيح بأخذها لكى يعرف الناس الله صارت مذمومة وهل يستحسن الله الجهالة ليخلص وينقذ الناس .. أى افتراء على الله والمسيح بكل أسف يدعى آباء الكنيسة أن كلام بولس هو كلام الله لأن الروح القدس « الله » قد حل فى بولس وهكذا صدقت نبوءة أشعياء « وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمه » . (أشعياء : ٢٩ : ١٤)

وهكذا أيضا صارت تعاليم المسيح مختومة ولا يفهمها الناس وغطاها الله عنهم « لأن الرب قد سكب عليكم روح سبات وأغمض عيونكم الأنبياء ورؤساؤكم الناظرون غطاهم . وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم » . (أشعياء : ٢٩ : ١٠ - ١١)

وللعجب ولروعة نبوءات المسيح أنه كان يعرف ذلك بل وقاله لهم إنهم لن يفهموا رسالته التى جاء من أجلها وهى التبشير بملكوت الله :

« فقال لهم إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخرى بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت » .

(لوقا : ٤ : ٤٣)

هنا يبين المسيح السبب من مجيئة وهدف رسالته وهى التبشير بملكوت الله ولكنه كان يعلم

تماما أن تلاميذه فقط سيعرفون المعنى والأسرار أما الباقون فلا ...... أى أن إنجيله وبشارته ستصير كما تنبأ أشيعاء مثل السفر المختوم الذى لا يمكن فهمه .. وعن عدم معرفة أى فرد غير التلاميذ لمعنى الملكوت قال :

١ - فى إنجيل متى (١٣ - ١٠ - ١٤) :

« فتقدم التلاميذ وقالوا له لماذا تكلمهم بأمثال فأجاب وقال لهم لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات . وأما لأولئك فلم يعط فإن من له سيعطى ويزداد وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه من أجل هذا أكلمهم بأمثال لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين ولا يفهمون فقد تمت فيهم نبوة *إشعياء القائلة* تسمعون سمعا ولا تفهمون ومبصرين تبصرون ولا تنظرون » .

٢ - فى إنجيل مرقس (٤ : ٩ - ١٢) :

« ثم قال من له أذنان للسمع فليسمع . ولما كان وحده سأله الذين حوله مع الإثنى عشر عن المثل . فقال لهم قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله . وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شىء . لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم » .

٣ - وفى إنجيل لوقا (٨ : ٨ - ١٠)

« وسقط آخر فى الأرض الصالحة فلما نبت صنع ثمراً مئة ضعف . قال هذا ونادى من له أذنان للسمع فليسمع .

فسأله تلاميذه ما عسى أن يكون هذا المثل . فقال لكم قد أعطى أن تعرفوا أسرار ملكوت الله وأما للباقين فبأمثال حتى إنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون » .

وفى أن عددا قليلا فقط ، وهم مائة وأربعة وأربعين ألفا هم الذين سيتعلمون معنى الإنجيل « ثم نظرت وإذا خروف واقف على جبل صهيون ومعه مائة وأربعة وأربعون ألفا لهم اسم أبيه مكتوبا على جباههم . وسمعت صوتا من السماء كصوت مياه كثيرة وكصوت رعد عظيم . وسمعت صوتا كصوت ضاربين القيثارة يضربون بقيثاراتهم وهم يترنمون كترنيمه جديدة أمام العرش وأمام الأربعة الحيوانات ، والشيوخ ولم يستطع أحد أن يتعلم الترنيمة إلا المئة والأربعة والأربعون الفاً الذين اشتروا من الأرض . هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء. لأنهم

أطهار هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب هؤلاء اشتروا من بين الناس باكوره لله وللخروف » (رؤيا يوحنا : ١٤ : ١ – ٥)

فهنا فى رؤيا يوحنا نجد أن من أستطاع أن يتعلم إنجيل المسيح مائة وأربعة واربعون ألفا كلهم من اليهود اثنى عشر ألفامن كل سبط ، ولم يكن بينهم أحد من غير اليهود كما فى رؤيا يوحنا (٧ : ٤ : ٨)

وأما أنه لم يستطع أحد أن يعرف معنى حكمة المسيح وإنجيله « ترنيمته فى الرؤيا » إلا هذا العدد ١٤٤ ألفا « ولم يستطع أحد أن يتعلم الترنيمة إلا المئة والأربع والأربعون ألفا » .

(رؤيا : ١٤ : ٣)

وأما أن المسيح قد أعطى سفراً مختوماً « الإنجيل » وكان يعلم كيفية فك الأختام كما سنشير فيما بعد لمفتاح فك الأختام :

« ورأيت على يمين الجالس على العرش سفراًمكتوباً من داخل ومن وراء مختوماً بسبعة ختوم ورأيت ملاكاً قوياً ينادى بصوت عظيم من هو مستحق أن يفتح السفر ويفك ختومه فلم يستطع أحدٌ فى السماء ولا على الأرض ، ولا تحت الأرض أن يفتح السفر، ولا أن ينظر إليه فصرت أبكى كثيراً لأنه لم يوجد أحد مستحق أن يفتح السفر ويقرأه ولا أن ينظر إليه فقال لى واحد من الشيوخ لاتبك هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السفر، ويفك ختومه السبعة » . (رؤيا : ٥ : ١ – ٥)

فمما سبق من أقوال المسيح وسفر الرؤيا نرى أن عددا قليلا سيفهم الإنجيل كما أعطاه الله للمسيح وأما الباقون فلن يفهموه وإن عفا الله عن البعض ورحمه ليس معنى ذلك أنهم قد فهموا رسالة وبشارة المسيح كما جاء فى القرآن أيضا :

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) (٥ المائدة : ١١٦ - ١١٩)

فهنا صدق الصادقين سينفعهم أما من كفر أى جاءته الرسالة المحمدية وكفر أى ستر عقله وغطاه كذلك ستر ما عنده فى كتابه وغطى بشارات المسيح والأنبياء بمحمد ﴿ﷺ﴾ فهؤلاء من قال القرآن عنهم :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)
(٩٨ : البينه : ٦)

فهكذا من فهم إنجيل « بشارة » المسيح بمحمد ﴿ﷺ﴾ كذلك من عرف رسالة محمد ﴿ﷺ﴾ وعرف أنها الحق وستر عقله « أى كفر » ولم يفكر تنطبق عليه الآية أيضاً . مما سبق تبين لنا كيف أن بشارة « إنجيل » المسيح كان مقدرا لها أن تكون مختومة ومغطاة عن الكثير وعرف المسيح ذلك وتنبأ به كما أوردنا من أقواله ومن سفر الرؤيا فهل تركت رسالته هكذا دون أن يتنبأ عن كيفية فهم رسالته أو المفتاح لحل ذلك الغموض - بلى لقد نبأ المسيح أيضا بمفتاح فهم رسالته وبمعنى أخر كيفية حل شفرة وغموض إنجيله « بشارته » عندما تتوه المعانى والحكمة بين من سيتعصب لرسالته دون أن يفهمها وللعجب أن مفتاح الشفرة والمدخل «Access» إلى فهم ما قاله هو نفس المفتاح الذى ذكره القرآن وتلك هى العبقرية فى نبوءات الكتب السماوية والإعجاز الساحق الآتى من عند الله متحديا البشر الذين يظنون أنهم يمكرون فى رسالات الله فقد ذكر المسيح مفتاح التعرف على ملكوت الله وهى سبب إنجيله وبشارته ورسالته « ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت»

(لوقا : : ٤ : ٤٣)

فعندما وجد تلاميذه أن هناك مشاكل فى فهم الملكوت والتعرف عليه عندما يأتى سألوا المسيح فقال :

١ - « فمن شجرة التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب هكذا أنتم متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب » .

(متى : ٢٤ : ٣٢ - ٣٣)

٢ - « فمن شجرة التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقاً تعلمون أن الصيف قريب هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أنه قريب على الأبواب»

(مرقس : ١٢ : ٢٨ - ٢٩)

٣ - « قال لهم مثلاً انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار . متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب . هكذا أنتم متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريباً » . (لوقا : ٢١ : ٣٠ - ٣١)

فهنا يربط معرفتهم الملكوت بشجرة التين وباقي الأشجار متى استوى سيقانها وأخرجت الثمار تعرفون أن المملكة قد أتت . وباقي الأشجار قد تخرج ثماراً في الصيف أو في الشتاء وقد مر كثير من مواسم الصيف والشتاء ولكن المقصود هو أن معرفة الملكوت الذى ضرب له المسيح أمثالاً حب « القمح والخردل والتين عندما يأتوا بثمر جيد » .

معرفة الملكوت مرتبطة بتلك الأشجار والزروع . فبأى طريقة ترى .... ؟ هنا جاء الختم وعدم المعرفة والشفرة التى جاء المفتاح لها . تم حل الرمز والطلاسم بالآية القرآنية التى دلت وأعلنت أن هذا المثل المقصود به مجيء الإسلام والمسلمين وقيام خلافتهم وملكوتهم الذى يحكم الله فيه بشريعته .

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٤٨ : الفتح : ٢٩)

وهكذا صدقت نبوءة أشعياء

« لأن مفهوما على مفهوم ، ومفهوما على مفهوم سطرا على سطرٍ ، سطرا على سطرٍ بعض هنا وبعض هناك . لأنه بشفاه تركن وبلسان آخر سيكلم هذا الشعب » .

(أشعياء : ٨ : ١٠ - ١١)

وهكذا كان مجيء محمد ﴿ﷺ﴾ هو الذى جعل أشعياء والمسيح وغيرهم صادقين فى نبوءاتهم .

بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ (٣٧ : الصافات : ٣٧)

وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

(٤٦ الأحقاف : ١٢)

الباب التاسع

قصد المسيح بابن الرجل

من قصد المسيح بابن الرجل ؟!

إن قال المسيح ابن الرجل « الإنسان » فلابد أنه يعنى ما يقول . والمسيح حكيم وأبسط قواعد الحكمة هى المعرفة والعلم . وأول العلم ، العلم بحقيقة نفسه ومن حوله وقدرة وقدر من يتكلم معهم وواقعه وواقع الآخرين . وكلنا يعلم كيفية مجيء المسيح للحياة بلا دخل لرجل . فهل يكون المسيح حكيما يعرف حقيقة مجيئه وواقعه وظن اليهود فيه - أنه ابن زنا - وهل يكون قد علم قدر اليهود وواقعهم إن استفزهم وأكد ظنهم فيه بأنه ابن رجل..... وإن جاءت ترجمة ابن الرجل فى الكتاب المقدس « ابن الإنسان » إلا إنها فى كل تراجم الكتاب المقدس باللغات الأخرى جاءت ابن الرجل . فات ذلك الوصف كل من قرأ كلام المسيح عن ابن الرجل وقد فات على أيضا فى أول قراءاتى للإنجيل إلا أن هناك محوراً آخر يشرح حكمة المسيح بمنتهى السهوله وهو مفتاح شفرات الحكمة التى تكلم بها المسيح .كما أشرت من قبل فى الفصل السابق جاء المفتاح فى القرآن أيضاً الذى وصفه الله بأنه حكيم .

﴿ يس (١) والقرآن الحكيم (٢) ﴾ (٣٦ : يس : ١ - ٢)

﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم (١) ﴾ (١٠ : يونس : ١)

﴿ الم (١) تلك آيات الكتاب الحكيم (٢) ﴾ (٣١ : لقمان : ١ - ٢)

﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم (٥٨) ﴾ (٣ : آل عمران : ٥٨)

فحكمة القرآن أشارت أيضاً بأن المسيح قد علمه الله الحكمة .

﴿ وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ (٥ : المائدة : ١١٠)

﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل (٤٨) ﴾ (٣ : آل عمران : ٤٨)

والمفتاح الذى أتت به حكمة القرآن لفهم حكمة المسيح هو أن القرآن وصفه دائماً بالمسيح ابن مريم وذلك ببساطة لكى يعلمنا ويعلم من قرأه وتلاه بأنه عندما يقرأ الإنجيل ويقرأ فيه كلام المسيح عن ابن الرجل يتنبه فوراً لوصف القرآن له بأنه ابن مريم وللتو ينظر من قصد المسيح بذلك ... ؟ فيرى المزيد من الحكمة فى كلام المسيح عن ابن الرجل .

١ – ابن الرجل الذي سيصلب

تمت مناقشة ذلك من قبل وأثبتنا أن المسيح كان يقصد أنه آخر من يمكن صلبه لأن كل الناس أبناء رجال إلا هو . فإن تم صلب الناس كلهم – وهذا محال – لايمكن بعد ذلك أيضاً صلب المسيح لأنه وببساطة معروف لكل حكيم وكل من يحاول أن يفهم الحكمة « ليس ابناً لأى رجل » .

٢ – ابن الرجل الذي يعمل في يوم السبت

الحكمة العميقة والكبيرة هى التى تحتوى على أكثر من معنى جيد وتنفى المعنى السيىء . فقد تباهى الشاعر العربى بأنه يقول شعره ويذهب وينام فى بيته ويظل القوم ساهرين متسائلين هل هذا هو المعنى الذى أراده أم ذلك أم ذاك . وقد ورد هذا عن القرآن فقد قال الرسول عن فضله على الأنبياء بأنه « أوتى جوامع الكلم » أى الكلام الذى يحمل أكثر من معنى طيب عن تفسيره وقد جاء ذلك أيضاً فى القرآن بأن الراسخون فى العلم يقولون أنهم آمنوا بكل المعانى التى تحملها كلمات القرآن فى تفسير نفس المقطع : فكله قد أراده الله لأنه يعلم كل المعانى التى يمكن أن يفسر بها الكلام الذى ساقه فى اللغة العربية التى يعلم الله معانيها كما يعلم كل المعانى التى قد يحملها أى نص فى كل اللغات التى علمها الله للبشر.. فعن وجود أكثر من معنى لتفسير الآية المتشابهة، وغير المحكمة يقول القرآن :

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٧﴾

(٣ . آل عمران : ٧)

واستعمل المسيح ذلك الأسلوب فى الكلام عن أبناء الرجال « الإنسان » وكان فى أوقات يذكر محمداً ﴿ﷺ﴾ بأنه ابن رجل وذلك لعلمه أن من سيحمل كتابه سيعطى المسيح صفات محمد ﴿ﷺ﴾ وبمنتهى الحكمة كان يخبرهم بأنه لن يفعل مايصفه ولكن آخر سيكون له أب من الرجال . وفى مسألة السبت تكلم عن آخر سيكون سيداً ليوم السبت مثل المسيح فإن كان المسيح قد أحل العمل فى يوم السبت فإن هناك آخر « أيضا » وقد ذكر المسيح كلمة « أيضا »

أى أنه غيره .. سيحل العمل يوم السبت كما .. تحتوى الكلمات أن أبناء الرجال من البشر أيضا « لأن المسيح ليس ابن رجل » يحل لهم العمل يوم السبت فذكر المسيح :

١ - متى : (١٢ : ٦ - ٨)

« ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل فلو علمتم ماهو . إنى أريد رحمة لاذبيحه لما حكمتم على الأبرياء فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا » .

وفى نسخة الملك جيمس

« For the Son of Man is Lord even of the Sabath. »

وترجمتها :

« لأن ابن الرجل هو سيد معادل « مساوٍ » للسبت » .

وهنا يفيد المعنى أن ابن الرجل محمد ﴿ﷺ﴾ سيعادل المسيح ويساويه فى أن تعمل أمته أيام الأسبوع كله ولا يحرم عليهم العمل فى السبت . وذكر متى إنه سيد مساوٍ أو معادل للمسيح لأنه كما ذكرنا فى مناقشتنا بأن متى نص على قول المسيح عن نفسه أنه ليس ابن الإنسان « ابن الرجل » .

٢ - مرقس : (٢ : ٢٣ : ٢٨)

« واجتاز فى السبت بين الزروع . فابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون . فقال له الفريسيون أنظر لماذا يفعلون فى السبت مالايحل . فقال أما قرأتم ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه . كيف دخل بيت الله فى أيام أبيأثار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله إلا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضا . ثم قال لهم إنما جعل السبت لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت . إذاً ابن الإنسان هو رب السبت أيضا » .

وقد جاءت ترجمة الآية (٢ : ٢٨) كالآتى فى نسخة الملك جيمس

"Therefore the Son of Man is also Lord of the Sabbath"

بمعنى

« لذلك ابن الإنسان يكون أيضا رباً «سيداً» للسبت » .

وهى تعنى بوضوح أن محمداً ﴿ﷺ﴾ أيضا سيكون سيداً ليوم السبت ولا تعمل أمته فيه

لا أن يوم السبت سيكون سيده ولا يعمل فيه . وقد تحمل أن أبناء الرجال جميعا ولكن يبعد ذلك المعنى . ومعنى محمد ﴿ﷺ﴾ أقرب لأنه لم يقل « إذاً ابن الإنسان هو رب السبت » لكنه أضاف كلمة أيضاً أى ان هناك آخر غيره ابن رجل سيحل له العمل فى السبت .

٢ - لوقا (٦ : ١ - ٥)

« وفى السبت الثانى بعد الأول اجتاز بين الزروع وكان تلاميذه يقطفون السنابل ويأكلون وهم يفركونها بأيديهم فقال لهم قوم من الفريسيين لماذا تفعلون مالايحل فعله فى السبوت . فأجاب يسوع وقال لهم أما قرأتم ولا هذا الذى فعله داود حين جاع هو والذى معه . كيف دخل بيت الله وأخذ خبز التقدمه وأكل وأعطى الذين معه أيضاً . الذى لا يحل أكله إلا للكهنة فقط وقال لهم إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً » .

فهنا الترجمة تشير إلى أن ابن الإنسان هو رب السبت وغيره لأنها تحرِّف المعنى بأن يكون المسيح هو ابن الإنسان ورب السبت وإله أيضاً وهكذا حرف عن قصد المترجم ما جاء بأن ابن الإنسان أيضاً رب السبت وقد جاءت فى نسخة الملك جيمس (لوقا : ٦ : ٥)

« And He said to them, The Son of Man is also Lord of the Sabbath » .

وتعنى

« وقال لهم : ابن الإنسان أيضاً يكون سيداً للسبت » .

مما يشير ويؤكد أن غيره ابن رجل محمد ﴿ﷺ﴾ سيحل الله لأمته يوم السبت ويسودوا يوم السبت ولا يسودهم كما يعطى معنى بعيداً عن البشر جميعا ولكن المعنى هنا يؤكد « إبن الإنسان أيضا » .

٣- ابن الإنسان والمغفرة بلا دماء

كان المسيح يعلم من الله ما سيصبح عليه من حملوا بشارته فسيعتقدون فى عقيدة الخلاص التى تأسست على أن الله لا يغفر الذنوب إلا بدم .

ولكن يؤكد المسيح أن الله ليس إلهاً دموياً يحب سفك الدماء سواء كانت ذبائح الإثم والخطية وغيرها من ذبائح اليهود أو كانت الذبيحة هى المسيح الذى يعتقد من يحملون بشارته أنه - أى المسيح - قد صار ذبيحة تكفر عن خطايا البشر لأنهم كلهم يخطئون . وقد كان مقرراً لهم الحياة الخالدة لولاً أن آدم وذريته أخطأوا . ونظراً لأنه لا بد من دفع ثمن خطيئتهم

وهم لا يستطيعون فقد اتخذ الله جسداً بشرياً هو جسد المسيح ليذبح بدلاً من خراف الإثم والخطيئة وغيرها لدفع الثمن لله . أى أن الله قرر أن ينذبح بدلاً من الذبائح ليدفع الثمن لنفسه وفى زعمهم أن الله فعل ذلك لفرط محبته لهم .. سبحانه وتعالى عما يصفون .

لذلك حرص المسيح أن يبين أن هذا الزعم هو إفتراء وحط من قدر الله لأن الله يعلم المستقبل ويعلم أن البشر سيخطئون من قبل أن يخلقهم بل خلقهم ليخطئون ويطلبون مغفرته ويندمون على المعصية فيغفر لهم ، كما أنه ينعم عليهم بكل نعمة ولا يمل ويجزل العطاء فغفرانه أولى . لذلك حرص المسيح على أن يتكلم بذلك مباشرة وتارة أخرى بالحكمة فعن الوصية المباشرة :

« فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم » (متى : ٦ : ١٤ - ١٥)

فكما نرى من تلك الآيات أن مغفرة الله ليست بالدم وسفكه ولاتحتاج أو تشترط دم الخراف والحيوان والمسيح ولكنها ترتبط بسلوك الشخص مع أفراد مجتمعة وحرصه عليهم وأن يسامح من أساء له طلبا لمغفرة الله . ولتأكيد ذلك المفهوم الذى لم يقل المسيح غيره عن المغفرة ولم يصرح إطلاقا بأنه الذبيحة لكفارة خطايا البشر تلك العقيدة « عقيدة الخلاص » التى أسسها بولس بعد المسيح ولتأكيد وتأصيل ذلك المفهوم تكلم مباشرة كما فى الآيات السابقة ولعلمه بأن هناك مشاكل ستحدث فى فهم رسالته وبشارته شرح لهم ذلك بأمثال كثيرة عن الملكوت التى تكون تلك هى عقيدته ، فاليهود يعتقدون فى الذبائح لمغفرة الخطايا والمسيحيون يعتقدون فى صلب المسيح لمغفرة الخطايا . أما المسلمون فيعتقدون أن عقيدة الأنبياء جميعا من أيام نوح هى :

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ (٧١ : نوح : ١٠)

وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ (٤ : النساء : ١١٠)

رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ (١٧ : الإسراء : ٢٥)

يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ (٤٨ : الفتح : ١٤)

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ (٢٠ طه : ٨٢)

فهكذا كل ما تحتاجه المغفرة هى التوبة والعمل الصالح وأن يهتدى الإنسان بعد ذلك وإن عاد فأخطأ فليعد ويهتد ويستغفر ويتوب وهذا ما حرص المسيح أن يوضحه فى أمثاله على أمل أن يفهموا بشارته المختومة :

« حينئذ تقدم إليه بطرس وقال يارب كم مرة يخطىء إلى أخى وأنا أغفر له . هل إلى سبع مرات . قال له يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات لذلك يشبه ملكوت الله إنساناً ملكاً أراد أن يحاسب عبيده . فلما ابتدأ فى المحاسبة قدم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنه . وإذ لم يكن له ما يوفى أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له ويوفى الدين فخر العبد وسجد له قائلا يا سيد تمهل على فأوفيك الجميع . فتحنن سيد ذلك العبد، وأطلقه وترك له الدين . ولما خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديوناً له بمئة دينار فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً أوفنى مالى عليك . فخر العبد رفيقه على قدميه وطلب إليه قائلاً تمهل على فأوفيك الجميع . فلم يرد بل مضى وألقاه فى سجن حتى يوفى الدين . فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جداً وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى فدعاه حينئذ سيده وقال له أيها العبد الشرير أفما كان ينبغى أنك أيضا ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا وغضب سيده وسلمه إلى المعذبين حتى يوفى كل ما كان له عليه فهكذا أبى السموى يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » . (متى : ١٨ : ٢١ - ٣٤)

وهكذا أوضح المسيح أن الله يمكن أن يغفر الخطايا بل ودائما يغفرها إن تاب الإنسان وأقلع عن الشرور، والمعاصى وعمل عملاً صالحاً وسأل الله المغفرة . وأوضح أيضا أن هذه من خصائص الشريعة التى ستأتى فى مملكة الله « الخلافة الإسلامية ».. جاء ذلك كله فى تبشير المسيح عن محمد ﴿ﷺ﴾ ابن الرجل وأمته ملكوت السماء فى أقواله التالية :

١ - متى : (٩ : ١ - ٨)

« فدخل السفينة واجتاز وجاء إلى مدينته وإذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحاً على فراش فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج ثق يا بنى مغفورة لك خطاياك . وإذا قوم من الكتبة قد قالوا فى أنفسهم هذا يجدف . فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم . أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم ، وامش . ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا . حينئذ قال للمفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك . فقام ومضى إلى بيته . فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانا

مثل هذا » .

٢ - مرقس : (٢ : ١ - ١٢)

« ثم دخل كفر ناحوم أيضا بعد أيام فسمع أنه فى بيت . وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب . فكان يخاطبهم بالكلمة . وجاءوا إليه مقدمين مفلوجا يحمله أربعة . وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه من أجل الجمع كشفوا السقف حيث كان وبعدما نقبوه دلوا السرير الذى كان المفلوج مضطجعاً عليه . فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج يا بنى مغفورة لك خطاياك . وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون فى قلوبهم لماذا يتكلم هكذا بتجاديف . من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده . فللوقت شعر يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم فقال لهم لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم . أيما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك . أم أن يقال قم واحمل سريرك وامش . ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا . قال للمفلوج . لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك . فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط . ثم خرج أيضا إلى البحر وأتى إليه كل الجمع فعلمهم.» .

٣ - لوقا : (٥ : ١٧ - ٢٦)

« وفى أحد الأيام كان يعلم وكان فريسيون ومعلمون للناموس جالسين وهم قد أتوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم . وكانت قوة الرب لشفائهم . وإذا برجال يحملون على فراش إنسانا مفلوجا وكانوا يطلبون أن يدخلوا به ويضعوه أمامه ولما لم يجدوا من أين يدخلون به لسبب الجمع صعدوا على السطح ودلوه مع الفراش من بين الأجر إلى الوسط قدام يسوع . فلما رأى إيمانهم قال له أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك . فابتدأ الكتبة والفريسيون يفكرون قائلين من هذا الذى يتكلم بتجاديف . من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده . فشعر يسوع بأفكارهم وأجاب وقال لهم ماذا تفكرون فى قلوبكم . أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك . أم يقال قم وامش . ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا قال للمفلوج لك أقول قم واحمل فراشك واذهب إلى بيتك . ففى الحال قام أمامهم وحمل ما كان مضطجعا عليه ومضى إلى بيته وهو يمجد الله .

فأخذت الجميع حيرة ومجدوا الله وامتلأوا خوفاً قائلين إننا قد رأينا اليوم عجائب » .

كما نرى هنا تأكيد المسيح أن غفران الخطايا أسهل من أن يقول للمشلول « قم وامش »

فهو لا يتطلب تعقيد الأمور والزعم بأن الله نفسه دفع الكفاره للبشر فى تجسده وصلبه . وتأكيد المسيح بأن غفران الخطايا يتم بواسطة جميع البشر عندما يطلبون من الله مؤمنين تائبين هو الذى جعل الناس فى أيام المسيح يتعجبون من أن الله قد أعطى « الناس » مثل هذا السلطان « فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانا مثل هذا » .

وكان ذلك هو أبلغ رد على الفريسيين « الذين يتبعون التقليد اليهودى المحفوظ وكتب اليهود المكتوبة الذين كان فى تصورهم أن غفران الخطايا لا يتم إلا بواسطة الله وما اشترطته كتب الاويين من ذبائح ودم لكن المسيح أعلمهم أن ذلك خطأ وأن المغفرة أيسر من أن يقول للمريض « قم وامش » فهي أيسر من أن يتكلم الإنسان ولا تتطلب ذبائح ولا دماً ولكن ايمان وتوبة . وأما أنه قال للمشلول بشلل نصفي مغفورة خطاياك فهو أيضا ما أقره الإسلام بأن المرض والأذى الذى يصيب المؤمنين جعله الله ليكفر عن ذنوبهم وأن الأمراض والأذى تكون كفاره ومغفرة للذنوب فالمريض المؤمن غفرت له خطاياه والله جعل من مرضه مغفرة لذنوبه كماجاء فى القرآن وصار شريعة لملكة الله

وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ (١٠ يونس : ١٠٧)

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
(٩ : التوبة : ١٢٠)

وهكذا نرى المقصود فى هذه الآيات بابن الرجل كان كل البشر ويضم أيضاً محمدا ﴿ﷺ﴾ على وجه الخصوصية لأن إستغفاره له من أجل الناس كان مقبولاً شريطة الإيمان . كما نص القرآن على نهى الله محمد ﴿ﷺ﴾ عن الإستغفار للمشركين ولو كانوا ذوى قربى وهو نفس دين الله المرسل منذ الأزل وأن ابراهيم وعد أبيه بالإستغفار ولما لم يتب أبوه عن كفره برأ ابراهيم إلى الله منه .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ (٤ : النساء : ٦٤)

وقد طلب الله من رسوله الاستغفار للمؤمنين فقط :

فاعفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشاوِرْهُمْ في (٣ : آل عمران : ١٥٩)

وكان الرسل يفعلون ذلك فيعقوب سأل الله أن يغفر لإخوة يوسف

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٢ : يوسف : ٩٧ – ٩٨)

وابراهيم إستغفر لأبيه

قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ (١٩ : مريم : ٤٧)

وأن الله هو الوحيد الذى يمكنه الغفران وقد وعد المؤمنين المغفرة ونهى عن الاستغفار للكفار ولم يقبل استغفار الأنبياء لهم كإبراهيم حتى ولو لأبيه :

وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ (٦ . التوبه : ١١٤)

وحتى سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ لا يقبل الله منه استغفاره للكافرين لو فعل ذلك :

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ (٩ : التوبة : ٨٠)

٤ – ابن الإنسان شريب الخمر وتشويههم لصورة محمد ﴿ﷺ﴾

تنبأ المسيح عن تشويه اليهود « ومن اختلط عليه الأمر فى فهم رسالة المسيح » لصورة محمد ﴿ﷺ﴾ وكان المسيح فى وصف ذلك حصيفاً حكيماً أوضح أن كلامه عن محمد ﴿ﷺ﴾ فى هذه الفقرة لابد أن يفهمه الحكماء وأبناء الحكمة الذين سيكون كتابهم حكيما ويؤمنوا بالذكر الحكيم فيصيروا أبناء للحكمة . فبعد أن أنهى المسيح كلامه عن تشويه ذوى الإيمان الفاسد لصورة محمد ﴿ﷺ﴾ ذكر أن « الحكمة تبررت من بنيها » مشيراً إلى أن هذه هى المرادفات أو الأمارات التى سيقولونها عن محمد ﴿ﷺ﴾ ويذكرها أيضا الذكر الحكيم القران :

﴿وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧﴾

(٢٥ : الفرقان : ٦ - ٧)

فهنا القرآن يخبرنا بأنهم بضربهم الأمثال قد ضلوا ولا يستطيعون شيئاً فى ضلالهم « فلا يستطعون سبيلا » فهم لا يملكون شيئاً فقد ضربوا الأمثال عن تشويه صورة محمد ﴿ﷺ﴾ تلك الأمثال التى تنبأ عنها المسيح بأنهم سيشوهون صورة محمد ﴿ﷺ﴾ بقولهم على مأكله ومشربه ويزيدوا على ذلك كما شوهوا صورة يوحنا المعمدان البرىء الذى كان وديعاً :

« الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه . ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن وملكوت الله يغصب والغاصبون يختطفونه لأن جميع الأنبياء والناموس تنبأوا . وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى من له أذنان للسمع فليسمع . وبمن أشبه هذا الجيل يشبه أولاداً جالسين فى الأسواق ينادون أصحابهم ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا . نحنا لكم فلم تلطموا ، لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب . فيقولون فيه شيطان جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة ، والحكمة تبررت من بينها » .

(متى : ١١ : ١١ - ٩)

وكما جاء أيضاً فى لوقا : (٧ : ٢٨ - ٣٥)

« لأنى أقول لكم إنه بين المولودين من النساء ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه . وجميع الشعب إذ سمعوا والعشارون برروا الله معتمدين بمعمودية يوحنا وأما الفريسيون والناموسيين فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه .

ثم قال الرب فبمن أشبه هذا الجيل وماذا يشبهون يشبهون أولاداً جالسين فى السوق ينادون بعضهم بعضا ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا نحنا لكم فلم تبكوا . لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان . جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاه والحكمة تبرر من جميع بنيها » .

فيوحنا كان لا يأكل ولا يشرب إلا القدر القليل أى كان ناسكا زاهدا متعبد فادعوا أن به شيطانا « لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان » فهكذا لم يعجبهم الزاهد الصائم وادعوا أن هناك شيطانا يسكنه وعلى العكس جاء محمد ﴿ﷺ﴾ يأكل ويشرب ويمشى فى الأسواق ولا فرق عنده بين غنى وفقير يأخذ الحظ المقدر له من الدنيا عكس يوحنا الزاهد فادعوا أن محمداً ﴿ﷺ﴾ يأكل الطعام ويرتكب المعاصى كما وصفته المصادر المسيحية واليهودية حتى الآن وقالوا عنه أكثر مما قاله المسيح عن أقوالهم فى تشويه صورته « جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاه . والحكمة تبررت من بنيها » .

فقد جاء محمد ﴿ﷺ﴾ يعيش وسط الناس ويأكل ويشرب وهى صورة أخرى مخالفة لصورة يوحنا الزاهد فادعوا أن محمداً ﴿ﷺ﴾يجيز الزنا بتعدد الزوجات وغيرها من الاتهامات التى إن شئت راجع كتاباتهم فى ذلك فى كتاب « الإسلام والمسيحية » تأليف أليكسى جورافسكى وترجمة د . خلف محمد الجراد وصدر عن سلسلة عالم المعرفة الكويتية . والعجيب أن المسيح يقول بعدها « والحكمة تبررت من بنيها » فهو ينص على أن الحكمة ستصدر وتتحقق من بنيها فجاء القرآن شارحاً للمسلمين أن الكافرين قد ضربوا الأمثال التى ذكر منها وعنها المسيح أقواله عن تشويه صورة محمد ﴿ﷺ﴾

« فيقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاه » فقد تحققت نبؤة المسيح السفير الذى أعلمه الله بكل أمور المملكة التى جاء يبشربها وصدرت الحكمة من القرآن مصدقة لكلام المسيح :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ (٢٥ : الفرقان : ٤ - ٩)

وقد تنبأ أشعياء أيضا بتشويه صورة محمد ﴿ﷺ﴾الذى يبشر به المسيح الذى تكون معجزته الشفاء ، فقال عن عبد الله محمد ﴿ﷺ﴾ بن عبدالله :

« هو ذا عبدى يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى جداً كما اندهش منك كثيرون كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته اكثر من بنى أدم » .   (أشعياء : ٥٢ : ١٣ - ١٤)

والأمر الجدير بالإشارة هو معرفة قدر صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ من قول المسيح : إن أقل رجل فى صحابة رسول الله الذين كونوا الملكوت أعظم من يوحنا المعمدان فقال المسيح عن ذلك « لأنى أقول لكم إنه من بين المولودين من النساء ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه » .

(لوقا : ٧ : ٨٢ ، متى : ١١ : ١١ - ١٢)

وهذامصداق لقول الرسول ﴿ﷺ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ :

« لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » .   (رواه مسلم)

فلا أحد يستطيع جمع ذهباً فى وزن جبل أحد وينفقه فى سبيل الله ولو فعل ذلك لما استطاع أن يقترب من أعمال أحد صحابته الكرام ولا نصفه .

الباب العاشر

محمد (ﷺ) في الأناجيل

٥ - ابن الإنسان القوي مؤسس الملكوت

المسيح عليه السلام كان الرسول أو المبعوث من عند الله ليبشر بمجيء الملكوت القوى طويل الأجل والدين الحق من الله والرسول الذى انتظره جميع الأنبياء واتخذ المسيح فى وصف ذلك عدة محاور: فوصف فى المحور الأول الملكة وشريعتها وموعد مجيئها ومختلف أمورها فى حديثه عن ملكوت الله . وفى المحور الثانى توضيح الإدعاءات الباطلة للتنازع بين من حملوا رسالته وعادوا تلك المملكة . أما المحور الثالث فهو وصف محمد ﴿ﷺ﴾ بتعبير ابن الرجل لينفى عن نفسه – المسيح – ما سيلصقه حملة بشارته « إنجيله » من صفات لمحمد ﴿ﷺ﴾ ومحاولتهم إلصاقها بالمسيح لذلك وصف المسيح محمداً ﴿ﷺ﴾ بأنه ابن رجل ليوضح أن المسيح لا يقصد نفسه بتلك الصفات ولكن يقصد آخر يكون إبنا لرجل هو محمد ﴿ﷺ﴾ وهو الذى يكون الملكوت ويطبق شريعته التى تمثل مشيئة الله التى ستكون على الأرض فقد أوصى أتباعه بالصلاة لمجيء المملكة التى تحقق مشيئة الله على الأرض كما يطبق الله مشيأته فى السماء .

« فصلوا أنتم هكذا . أبانا الذى فى السموات ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض » . (متى : ٦ : ٩ – ١٠ ، لوقا : ١١ : ٢)

وإن كان المسيح قد وصف أمور المملكة فقد كان من اللازم أيضا أن يصف من مسحه الله ملكاً لتلك المملكة وقد كان ... فوصف محمداً بابن الإنسان كما جاء :

أولاً : ابن الإنسان القوي في إنجيل متي

جاء الحديث عن محمد ﴿ﷺ﴾ فى إنجيل متى كابن الرجل فى الفقرات التاليه :

١ – المسيح ليس ابن الإنسان : متى (١٦ : ١٣ – ١٧)

« فلما جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان فقالوا . قوم يقولون يوحنا المعمدان . وآخرون إيليا وآخرون إرميا أو واحد من

الأنبياء قال لهم وأنتم من تقولون إنى أنا . فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى » .

فكما أشرت فى سياق مناقشة موضوع المسلمين فى إنجيل متى أن المسيح قد استغرب أن يظن الناس بأنه المقصود بحديثه عن ابن الرجل فسأل تلاميذه من يقول الناس إنى أكون .... اابن الرجل فلما أجابوه بأنهم مختلفون فى الظن الخطأ فبعضهم يعتقد أنه إيليا وآخرون إرميا أو يوحنا المعمدان. فسألهم لأنهم تلاميذه والذين سيكتبون بشارته « إنجيله » عن مملكة الله فمن تظنون أنتم أن أكون أنا فأجابه بطرس إجابة حكيمة بأنه ليس ابن رجل أو أى إنسان وأنه لذلك ممسوح أى معين إبن لله ، وليس بالنسب أو بالنسل ، ولكن بالإنتساب فقال له بطرس « أنت المسوح ابنا لله الحى » وهى إجابة حكيمة تفيد بأنه ليس إبنا لأى رجل وبالتالى ليس المقصود بابن الإنسان أو ابن الرجل وأيضا ليس ابنا لجوهر الله بل إنتساباً فقط .

٢ - ابن الإنسان الذى يكوّن الملكوت : متى (١٦ : ١٣ - ١٧)

« فأجاب وقال لهم الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان والحقل هو العالم والزرع هو بنو الملكوت » .

فهنا يوّضح المسيح من هو المقصود بابن الإنسان ... وهو الذى يزرع الملكوت أو بمعنى آخر يبدأ تكوينه وأنه سيكون إبنا لرجل ويقصد المسيح أنه لن يكون هو الذى يكون أو يزرع الملكوت ولكن آخر يكون له أب من الرجال وهو محمد ﴿ﷺ﴾ وهذا الزارع سيزرع أبناء مملكته فى عالمه وأرضه الأخرى « المدينة والجزيرة العربية » وهذا هو مثل المسلمين فى الإنجيل الذى أخبر به القرآن ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾

٤٨ : الفتح : ٢٩)

٣ - المسيح لا يعلم وقت مجيء محمد ﴿ﷺ﴾ ولكن يعلم ما سيحدث قبل مجيئه :

متى (٢٤ : ٣٠ - ٣٦)

« وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض

ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصاها . فمن شجرة التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله . السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول . وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده » .

هنا يتكلم المسيح عن مجيء محمد ﴿ﷺ﴾ ابن الرجل الذى يكون ذهابه إلى فلسطين بعد الرسالة راكبا السحاب في ليلة الإسراء وتكون علامات فى السماء ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ۝٢﴾ (٥٤ : القمر : ١ - ٢)

وقد رأى أهل الكتاب انشقاق القمر وقالوا عنه سحر وأرسل محمد صحبة «ملائكته» ليجمعوا من أختارهم الله للإسلام من زوايا الأرض الأربع وقد يقول قائل إنه يتكلم عن ملائكة « فيرسل ملائكته » ونقول لقد استخدم الكتاب المقدس كلمة الملاك وكان يقصد البشر « هأنذا أرسل ملاكى فيهيء الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرون به » . (ملاخى : ٣ : ١ - ٢)

وفى (ص - ٢) سفر الرؤيا تكلّم عن من يرعى الكنائس بأنهم ملائكة « اكتب إلى ملاك كنيسة أفسس » .

« وأكتب إلى ملاك كنيسة سميرنا » .

« واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى برغامس » .

« واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى ثياثرا » .

وقد نص القرآن على حروب الملائكة فى صف المؤمنين من أتباع محمد ﴿ﷺ﴾ :

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢٣ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ۝١٢٤ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ (٣ ال عمران : ١٢٤ - ١٢٥)

وحروب الملائكة مع المسلمين هو ما أخبر به موسى فى حديثه عن محمد ﴿ﷺ﴾ وطلب موسى من اليهود أن يتأملوا فى آخر أيامهم كيف تهزم أمة العرب قليلة العدد ممالك العالم

فقال :

« ولو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم كيف يطرد واحد ألفا ويهزم اثنان ربوه » .

(تثنية : ٣٢ : ٢٩ - ٣٠)

ولكن قصد المسيح من « فيرسل ملائكته » هو الصحابة الكرام وذلك لما أشرنا إليه من تكرار وصف البشر بالملائكة فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، كما أن الصحابة هم الذين اجتذبوا الأمم إلى الإسلام .

وهكذا نعلم أن المسيح أخبره الله بعلامات مجيء محمد ﴿ﷺ﴾ وخصائص أمته وأعمالها لكن ميعاد مجيئه بالسنين والأيام كان لا يعلمه المسيح ولكن مبلغ علمه كان أنه بمجرد رفع المسيح ستبدأ هذه العلامات والأحداث فى الوقوع لذلك قال :

« السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول . وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده »

٤ - إضطهاد التلاميذ بعد المسيح جعلهم لا يكملون مدن إسرائيل . والشهداء سيرون محمدا ﴿ﷺ﴾ لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون . سبق أن أشرت إلى نبوءة أشعياء بأن الله سيكلم اليهود بلسان آخر وشفاه ترتل القرآن وسيكون الكتاب الجديد أساسياً لفهم مالدى اليهود لأن الله جعل سطراً من هنا يفسره سطر من هناك ومفهوم من الكتاب المقدس يوضحه مفهوم من القرآن والمسيحيون فى العالم يتحيّرون فى تفسير تلك الآيات وشبيهاتها فى الأناجيل:

« ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإنى الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان » . (متى : ١٠ : ٢٣)

« فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد بحسب عمله الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان » .

(متى : ١٦ : ٢٧ - ٢٨)

فقد مات أو قتل كل تلاميذ المسيح قبل أن تسود الديانة المسيحية ومات كل تلاميذه فى أوج الإضطهاد لذلك لا يجد المسيحيون تفسيراً لتلك الآيتين أما القرآن فقد أخبرنا بذلك فى سهولة ويسر .

فعن قول المسيح « متى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإنى الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان » وشرح ذلك يسير ويحفظه لنا التاريخ فقد اشتد اضطهاد التلاميذ مباشرة بعد القبض على المسيح حتى أن بطرس أقوى أتباعه أنكره فى ليلة القبض عليه وفر معظم التلاميذ من مدن إسرائيل ولم يكملوها لذلك ترى أن كلام المسيح هنا كان يقصد من شدة الإضطهاد لن يكملوا مدن إسرائيل ولم يكملوها حتى يأتى ابن الرجل محمد ﴿ﷺ﴾ .

« ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإنى الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان » .

وقد صدق المسيح وهرب الجميع ومن بقى ظل مكانه ولم يستطع الترحال من شدة الإضطهاد وقتل الكثير من تلاميذ المسيح وهنا نرى صدق كلامه فى الآيات ولم يكمل التلاميذ مدن إسرائيل من شدة الإضطهاد وإلى أن جاء محمد ﴿ﷺ﴾ وعن قوله :

« فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد بحسب عمله . الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته » (متى ١٦ : ٢٧ - ٢٨)

وكلام المسيح صادق فقد رأى الشهداء الذين عاصروا المسيح « إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته » وذلك لأن الله أخبرنا بأن كل من قتل فى سبيل الله لا يموت بل هو حى يرزق فأصحاب المسيح الذين نالوا الشهادة هم أحياء إلى الآن ورأوا محمدا ﴿ﷺ﴾ وأمته وذلك بنص القرآن :

وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ (٣ آل عمران : ١٦٩ - ١٧١)

وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

(٢ : البقرة : ١٥٤)

فهكذا يتضح لنا قصد المسيح من قوله :

« الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته » .

ونرى أن القرآن يخبرنا بقصد المسيح فى تلك الأقوال التى يعجز أى من أهل الإنجيل فى تفسيره بل صار ذلك الكلام معثرة لهم ومدعاة لعدم الإيمان فنرى أهمية القرآن لتفسير الكتب السابقة والعكس صحيح . وبذلك نرى تحقق نبوءة أشعياء « لأن مفهوم يجب أن يكون على مفهوم ومفهوم على مفهوم . سطرا على سطرٍ ، سطرا على سطرٍ بعض هنا وبعض هناك لأنه بشفاه تركن وبلسان آخر سيكلم هذا الشعب » . (أشعياء : ٢٨ : ١٠ – ١١)

٥ – لن يعرفوا محمداً ﴿ﷺ﴾ عند مجيئه : من العجب أن تكون رسالة المسيح هى البشارة بملكوت الله ومحمد ﴿ﷺ﴾ والخلافة من بعده والعجيب أن يحارب من حملوا إنجيله «بشارته » الأمة التى جاء رسولهم ليبشر بها ولكن هذا ما تنبأ به المسيح فى سياق كلامه عن ابن الإنسان الرجل محمد ﴿ﷺ﴾ فقال المسيح :

« وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات وسأله تلاميذه قائلين لماذا يقول الكتبه إن إيليا يأتى أولاً ويرد كل شىء.. فأجاب يسوع وقال لهم : «إن إيليا يأتى أولا ويرد كل شىء ولكنى أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » (متى : ١٧ : ٩ – ١٢)

هنا وبنص عبقرى يوضح متى القصد المزدوج لحديث المسيح عن المصلوب بأنه ابن رجل «ابن الإنسان » وأيضا أن القوى الذى سيكون الملكوت بأنه ابن رجل وذلك ليوضح لمن يحمل بشارته أن المسيح ليس هو الذى سيصلب وأيضا ليس هو الذى سيكون الملكوت فالاثنان هما أبناء لرجال بينما المسيح ليس كذلك . فتكلم هنا المسيح عن المصلوب بدلاً منه راجياً أصحابه بألا يخبروا أحداً بمعجزة التجلى وظهور إيليا وموسى له حتى يقوم المصلوب من الموت واصفا المصلوب بأنه ابن رجل ونظراً لأن التلاميذ كان يغلب على فكرهم ابن الإنسان القوى محمد ﴿ﷺ﴾ فسألوه لماذا يقول الكتبة إن إيليا سيأتى قبل يوم القيامة فلم يشر المسيح إلا بأن إيليا نفسه جاء واضطهدوه ولم يعرفوا أنه نبى وكذلك فعند مجىء محمد ﴿ﷺ﴾ لن يعرفوه وسوف يتألم لرفضهم له وهذا ما تحدث عنه القرآن كثيراً :

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) (١٨ : الكهف : ٦)

باخع نفسك : قاتل نفسك أو مجهدها أو مهلكها .

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ (٣٥ : فاطر : ٨)

كذلك أنبأت كتب أنبياء بنى إسرائيل فقال أشعياء عن أنهم سيخذلون محمداً ﴿ﷺ﴾ ويكرهونه ويذمونه لذلك سيعطيه الله كل الأمم لتؤمن به بدلا من اليهود :

(أشعياء : ٤٩ : ١ - ٨)

« إسمعى أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد الرب من البطن دعانى من أحشاء أمي ذكر اسمي . وجعل فمي كسيف حاد . فى ظل يده خبأنى وجعلنى سهما مبريا فى كنانته أخفانى . وقال لى أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد . أما أنا فقلت عبثا تعبت باطلاً وفارغاً أفنيت قدرتى . لكن حقى عند الرب وعملى عند إلهى .

والآن قال الرب جابلى من البطن عبداً له لإرجاع يعقوب إليه فينضم إليه إسرائيل فأتمجد فى عينى الرب وإلهى يصير قوتى . فقال قليل أن تكون لى عبداً لإقامة أسباط يعقوب ورد محفوظى إسرائيل فقد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض . هكذا قال الرب فادى إسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلطين ينظر ملوك فيقومون . رؤساء فيسجدون لأجل الرب الذى هو أمين وقدوس إسرائيل الذى اختارك هكذا قال الرب فى وقت القبول استجبتك وفى يوم الخلاص أعنتك » .

هنا يلاحظ وصف محمد ﴿ﷺ﴾ باسرائيل هو وأمته لأنها تعنى بالعبرية مجاهد الله ومجاهدى الله وذلك لأنه وضح أن إسرائيل غير يعقوب مع أن إسرائيل هو الإسم الذى سماه الله ليعقوب ولكن النبوءة هنا تتكلم عن عبد آخر سماه الله بكنية وهى مجاهد الله فى العبرية وسمى شعبه بإسرائيل وأن أسباط يعقوب « اليهود » ستنضم إلى إسرائيل وهنا لا تفهم المعنى فكيف ينضم يعقوب إلى نفسه وهو إسرائيل ولكن المعنى هنا هو أن يعقوب ينضم إلى أمة مجاهدى الله وهو محمد ﴿ﷺ﴾ الذى سماه الله إسرائيل وإسرا = مجاهد ، وئيل = الله، محمد ﴿ﷺ﴾ سماه الله مجاهد الله فى اللغة العبرية وتنطق أيضا إسرائيل كذلك سمى المسلمين الأوائل مجاهدى الله وتعنى أيضا إسرائيل فجاء :

« وقال لى أنت عبدى إسرائيل »

وجاء أيضاً:

« لإقامة اسباط يعقوب ورد محفوظى اسرائيل » .

وكل هذه الفقرات تشير إلى تألم محمد ﴿ﷺ﴾ من كفر اليهود به . وعن وصفه فى أول الآيات بنفس المذكور فى أشعياء « وجعل فمي كسيف حاد » لأنه القرآن سيأتى على شفتيه ولسانه وجاء أيضا نفس الوصف عن محمد ﴿ﷺ﴾ فى سفر الرؤيا . وصف لسان محمد ﴿ﷺ﴾ بأنه سيف حاد سيضرب به الأمم :

« ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى صادقاً وأميناً وبالعدل يحكم ويحارب . وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيره وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو . وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله والأجناد فى السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزا نقيا ومن فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد » . (رؤيا : ١٩ : ١١ – ١٥)

ويلاحظ من تلك النبؤة ليوحنا :

١ – ذكره صراحة ما كان يطلق على الرسول ﴿ﷺ﴾ فى الجاهلية الصادق الأمين .

٢ – أنه سيحكم ويحارب .

٣ – على رأسه تيجان كثيرة وذلك لهزيمة أمته لأمم كثيرة ودوام ملكها لألف عام .

٤ – عيناه كلهيب نار : والأحاديث تروى إحمرار عينه ﴿ﷺ﴾ عند غضبه .

٥ – « إسمه مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو » وتقضى هذه الفقرة على زعم المسيحيين أن المقصود بذلك هو المسيح لأن المسيح عرف كل الناس اسمه فى زمن رؤيا يوحنا بينما محمد ﴿ﷺ﴾ لم يأت اسمه صراحة فى كتب أنبياء اليهود ، وهذا يبرر لنا أن المسيح نفسه ذكر أن اسمه أحمد :

وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (٦١ : الصف : ٦)

٦ – تكرر وصف الرسول بالثوب ذى الدم كما فى « أشعياء ٦٣ » عندما وصف أنه سيأتى من شمال الجزيرة العربية أدوم :

« من ذا الآتى من أدوم بثياب حمر من بصره هذا البهى بملابسه المتعظم بكثرة قوته . أنا

المتكلم بالبر العظيم للخلاص . ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس معصره الخمر » .

(أشعياء : ٦٣ : ١ - ٢)

فهكذا يصر الكتاب المقدس أن من يخرج الدين لباقى الأمم « بعد أن انحصر الأنبياء فى بنى إسرائيل » سيحارب وتعلو ملابسه الدماء ومع ذلك يصر حملة إنجيل « بشارة » المسيح أن المسيح هو رسول الأمم .

٧ - حرب الملائكة مع محمد ﴿ﷺ﴾ « والأجناد فى السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض»

٨ - وصف القرآن بأنه سيف يخرج من فم محمد ﴿ﷺ﴾ « ومن فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الأمم » . رؤيا يوحنا : (١٩ : ١٤)

كما جاء فى أشعياء : (٤٩ : ٢)

« وجعل فمى كسيف حاد » .

وصدقت النبوءات للمسيح وأشعياء وتألم محمد ﴿ﷺ﴾ من رفض أهل الكتاب له ولم يتبعه إلا بعض علمائهم فقط .

أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) (٢٦ : الشعراء : ١٩٧)

وفى تأكيد المسيح على إنكار بعضهم لمحمد ﴿ﷺ﴾ عند مجيئه قال لهم :

(متى : ٢٤ : ٣٧ - ٤٥)

« وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضاً مجىء ابن الإنسان . لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع كذلك يكون أيضا مجىء ابن الإنسان . حينئذ يكون اثنان فى الحقل . يؤخذ الواحد ويترك الآخر . اثنتان تطحنان على الرحى تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم . واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب . لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان »

كما قال : (متى : ٢٥ : ١٣)

« فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان » .

توضح الفقرات السابقة مدى علم المسيح بأمور مجيء الإسلام وموقف من يحملون بشارة المسيح « إنجيله» من الإسلام عند مجيئه فبعضهم سيلهو ويكذِّب ولا يدخل الإسلام ويكون كقوم نوح لم يصدقوا نوحاً حتى جاء الطوفان وأخذهم وهذا هو حال من رفض الإسلام من حملة الإنجيل « البشارة بالإسلام » . والبعض الآخر وهم أقلية منهم كشعوب وسط آسيا ستدخل الإسلام وينجون كمن نجا من قوم نوح . وفى قوله « حينئذ يكون اثنان فى الحقل يؤخذ واحد ويترك الآخر اثنتان تطحنان على الرحى تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى » معجزة كبيرة نراها واقعة الآن ففى كل بلاد المسيحية فى وسط آسيا دخل البعض الإسلام وبقى البعض على ديانته للأن كذلك ما حدث فى البلاد العربية وغيرها . وفى قوله :

« لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان » وقوله «فاسهروا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان » .

تلك الأقوال التى تعتبر نبوءة عظيمة فلم يتبين الكثير منهم مجيء محمد ﴿ﷺ﴾ لأنه لم يسهر على أقوال المسيح ويفهمها كذلك نرى فى كلام المسيح عن عدم علمه وعلم أتباعه باليوم والساعة التى يأتى فيها محمد ﴿ﷺ﴾ هو مصداق لقول القرآن بأن الله وحده يعلم الغيب وتلك الأمور من عدم معرفة الناس بموعد مجى ء محمد ﴿ﷺ﴾ باليوم والساعة ولكن العلامات فقط هو نفس ناموس الله فى استئثاره بعلم الغيب ليدلنا على وجوده وعظمته ومدى عدم علمنا بالأشياء إلا عندما يريد ويسمح وقد أشار القرآن لذلك فى قوله :

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ (٣ : آل عمران : ١٧٩)

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ (٦ : الأنعام : ٥٩)

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) (٧٢ : الجن : ٢٦)

وهنا الآية تفيد بأن الله لا يجعل أحداً ظاهراً وبارزاً فى علم غيبة فإن أعلم أحد رسله ببعض الغيب إلا إنه يكون عاجزاً فى كثير من أمور الغيب وليس ظاهراً قوياً والله يسمح لمن شاء ببعض أمور الغيب وليست كلها كما هو الحال مع المسيح فقد وصف أمور الإسلام ومحمد ﴿ﷺ﴾ ولكنه عجز عن معرفة الساعة واليوم هو وأتباعه وهذا ما قاله القرآن :

وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ (٢ القرة : ٢٥٥)

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ (١٢ يوسف : ١٠٢) ، (٣ آل عمران : ٤٤)

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْك (١١ هود : ٤٩)

قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ (٧٢ : الجن : ٢٥ – ٢٨)

فهنا علم الغيب لله وحده ولا يطلع على الغيب إلا من ارتضى من رسله ويتابع الله ذلك ليبلغ الرسل ذلك للناس وتتضمن ذلك رسالاتهم كما رأينا وهذا ما قاله المسيح « وأما ذلك اليوم ، وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده » .

(متى : ٢٤ : ٣٧)

فقد بلّغ المسيح عن أمور محمد ﴿ﷺ﴾ وأمته واستأثر الله باليوم والساعة .

ابن الإنسان المنقذ والمخلص

إن طغيان الروم وفسادهم أنبأت به نبوءات زكريا وإرميا وأشعياء ودانيال والمسيح ورؤيا يوحنا . وطغيانهم كان واقعا وماضياً ومستقبلاً عند كثير من الأنبياء لوقت يتم الخلاص بعده على يد مملكة الله كما فى نبوءات الأنبياء . فطوفان البغى الرومى لا يمكن وقفه برسالة نبى فقط بدون قوه وقتال . فالأنبياء مهما تنبأوا فهم يتنبأون ويعطون من المعجزات ما يكفى لأن يؤمن من يخشى الله ويتقى بوجهه سوء العذاب . ولكن الأنبياء يتنبأون والبشر خاصة الطغاة منهم يفعلون ما يريدونه بغض النظر عما أنبأ به الأنبياء . وخطيئة الإنسان واحدة برغم توالى الأجيال فآدم قد أكل من الشجرة رغم نهى الله له لأن آدم ظن أن الخير فى أكل الشجرة أو لأنه اشتهاها وغفل عن أمر الله، كذلك فى كل الأمم جاءتهم الرسل بأوامر من الله ولكن البشر يفعلون ما يحلو لهم ويروقهم ويغفلون دائماً عن نبوءات الأنبياء بل ويضطهدونهم فى غالب الأحيان هكذا علم المسيح وأتباعه عليهم السلام أنهم مهما قالوا فهوى البشر سيضرب بكلامهم عرض الحائط ويفعلون ما سيحلو لهم من اتخاذ المسيح إلها رغم كلام المسيح وأتباعه . من هنا جاء وجوب استعمال الحكمة كى تظل رسالة المسيح للأبد رغما عمن يضربون بكلام الإنبياء عرض الحائط فاعلين ما يحلو لهم . وكانت رسالة المسيح هى التبشير بالملكوت والملك

القوى الذى سيغير كل ذلك عنوة ويحد السيف قهراً للبغاة والعتاة من البشر معطيا الفرصة لأتقياء البشر للإنضمام إلى أمة الله ودينه لذلك وصفت حكمة المسيح محمدا ﴿ﷺ﴾ كابن لرجل لبيان أنه غير المسيح الذى لم يكن له أى أب من الرجال لأنه مهما قال المسيح فالبغى سيقع ويفعل البشر مايحلو لهم غير عابئين برسالة المسيح . فبرغم كلام المسيح المتكرر فى الأناجيل بأن له إله وأنه لا يستطيع أن يفعل أو يقول شيئاً من نفسه « راجع كتاب المسيح فى الإنجيل بشر للمؤلف » تم وضع قانون الإيمان المسيحى الذى جعل المسيح هو الله . وقد أخبر الله المسيح بما سيحدث لرسالته لذاكان خلاص المسيح من هذا المأزق هو مجىء محمد ﴿ﷺ﴾ كما أشرت وجاء فى نبوءة أشعياء فى إصحاحه الثالث والخمسين عن العبد المستقيم الذى يعرف المسيح المعرفة الحقة وبذلك يصحح ويقوم معتقد الكثير من البشر وهكذا تكلم المسيح عن ابن الرجل محمد ﴿ﷺ﴾ الذى سيقوم ويخلص الكثير بقوة وبشعب وملائكة ومجد فى الأقوال التالية عن ابن الإنسان « ابن الرجل »

« انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأنى أقول لكم إن ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يخلص ما قد هلك . ماذا تظنون إن كان لإنسان مئة خروف وضل واحد منها أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب يطلب الضال » (متى : ١٨ : ١٠ – ١٢)

فهنا يبين المسيح حرصه على تعليم الأطفال بشارته كى لا يهلكوا لأن محمداً ﴿ﷺ﴾ جاء ليخلص من هلك واتخذ المسيح إلها وأشرك بالله من كل الأمم أيضا كما جاء فى القرآن عن محمد ﴿ﷺ﴾

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) (٢١ : الأنبياء : ١٠٧)

ويكون محمد ﴿ﷺ﴾ مخلصاً لكل البشر وكل عالم على مر العصور برقته ولينة مع المؤمنين وشدته مع الكفار فقد وصفه المسيح بأنه يتعب ويكد من أجل الآخرين ولم يكن محمدا ﴿ﷺ﴾ سيداً متسلطاً ولكن كان يعمل يداً بيد مع أصحابه ولا يتعالى عليهم ونذكر قصته مع أصحابه عندما أرادوا الطعام فاختار أحدهم الذبح والآخر الطهى واختار محمد ﴿ﷺ﴾ جمع الحطب أصعب الوظائف قائلاً « وعلى جمع الحطب » وهذا ما وصفه به المسيح والقرآن فقال عن ذلك:

« فدعاهم يسوع وقال لهم أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم فلا يكون هكذا فيكم . بل من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادماً ومن أراد أن

يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً . كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » . (متى : ٢٠ : ٢٥ – ٢٨)

وهذا هو ما سلكه محمد ﴿ﷺ﴾ ووصفه القران:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ (٣ : آل عمران : ١٥٩)

فالله قد جعله برحمة منه ليناً مع أصحابه وأمره – مع ذلك – بمزيد من العفو وأن يستغفر الله لهم ويشاورهم فى الأمور مع أنه نبى الله .. سبحان الله وبحمده وصلواته عليه وسلامه . فكان الرسول ﴿ﷺ﴾ هكذا يستحق وصف الله له .

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ (٦٨ : القلم : ٤)

فهكذا كانت عظمة محمد ﴿ﷺ﴾ حازماً فى الرسالة وأوامر الله لينا مع أصحابه ذو خلق عظيم مع الكل . وهكذا انطبق أيضا وصف المسيح عليه السلام له بالقوة واللين مع أصحابه وخدمتهم كما فى جمعه للحطب وحرصه عليهم .

وإن كان هذا حال ابن الإنسان محمد ﴿ﷺ﴾مع أصحابه وحملة رسالته فما حاله مع من وقف يحارب كلمة الله ورسوله وكفر بنعم الله ومعجزات أنبيائه ويفعل ما يحلو له كفراً ضارباً بنبوءة ورسالة الأنبياء عرض الحائط واضعا قانونا لما يوجد فى هواه وقلبه من عباده للمنظور والمحسوس وعدم التسليم بنزاهة الله وعدم قدرة البشر على رؤيته بل جعل الله يقتل نفسه معذبا على الصليب ليغفر لمن خلقه واضعا فى ذلك تفسيرات لنبوءة أنبياء الله تبعد تماما عما جاء به الرسل. ويفرض هواه على البشر بالقوة فردّ الله على هؤلاء بينته نبوءة أنبيائه جميعا بمجيء القوى الذى صارت ثيابه حمراً من دم أعداء الله . ومجيئه لن يكون نكرة بل ظاهراً وواضحاً كما البرق فى السماء كما وصفه المسيح « لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان » (متى : ٢٤ : ٢٧)

فوصف المسيح دقيق بأن ظهور ابن الرجل سيكون واضحاً مثل وضوح البرق فى السماء وبالطبع وصفه بابن الرجل لأن كل حملة بشارته ينحلون تلك الصفة للمسيح ولكن المسيح الحكيم بين أن المخلص والقوى سيكون ابن الرجل كى لا يشك أحد فى كلام المسيح وينسب كلامه عن محمد ﴿ﷺ﴾ لآخر حتى ولو كان المسيح نفسه وهكذا أعطانا المسيح حجة قوية ضد

كل المزاعم التى تضيّع وضوح نبوءة المسيح عن محمد ﴿ﷺ﴾ وهذا ما كان يقصده المسيح دائما فقال :

« فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا . لأنى أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها » (لوقا : ٢١ : ١٤ – ١٥)

فهكذا كان ظهور محمد ﴿ﷺ﴾ قوياً ومضيئا لأنه نور من الله لا يستطيع من أنكر إطفاءه كما قال عنه القرآن :

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)

(٩ : التوبة : ٣١ – ٣٢)

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)

(٦١ : الصف : ٦ – ٩)

فهل هى المصادفة أيضا التى جعلت المسيح يصف ظهور الإسلام كالبرق الذى يضىء فى السماء من الشرق وتراه من الغرب ويجىء القرآن ومن قبل ظهور الإسلام خارج الجزيرة العربية ويصف الإسلام أيضا بأنه « نور الله » ويصفهم بأنهم يحاولون إطفاء النور الذى تنبأ عنه المسيح وأرسله الله بأفواههم التى تفترى على الله الكذب بينما يدعوهم ما لديهم من كتب مقدسة للإسلام وإن كان الحال هكذا فقد أتى محمد ﴿ﷺ﴾ أيضا لمهمة أخرى وصفها المسيح بأنها من مهام ابن الرجل – وليس ابن مريم – تلك المهمة هى الشهادة على من كفر منهم ووضعه مع الماعز وليس الخراف التى يظن أنه منهم :

« ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجتمع أمامه كل الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء » . (متى : ٢٥ : ٣١)

فالرسول ﴿ﷺ﴾ جاء وأدى رسالته وشهد .. ويوم القيامة يشهد بما رأى وبما بلغ . ورفض البعض وآمن البعض الاخر لذا سيشهد كما يشهد معه تلاميذ المسيح :

« فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متي جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر » . (متى : ١٩ : ٢٨)

فتحير المسيحيون لقد تم رفع المسيح ومات من تبعه فكيف سيجلسون على الكراسى مع المسيح عند مجيئه ليدينوا أسباط إسرائيل الذين ماتوا أيضا . ولكن « فى التجديد » هنا فى نسخة الملك جيمس جاءت فى البعث أو إعادة الخلق «In the regenration» أى يوم القيامة وهذا أيضا ما موضحه القرآن :

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ (٤ : النساء : ٤١)

« ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء . ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (١٦ : النحل : ٨٩)

وفى «نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكى شىء وهدى » ما يوضح أن القرآن هنا يوضح ويبين ما جاء فى كلام المسيح والأنبياء عن شهادة محمد ﴿ﷺ﴾ على الأمم يوم القيامة ونود أن نشير لآخر آية تمت ترجمتها فى إنجيل متى بحيث تحاول إطفاء نور الله وإبهام معنى ابن الرجل وإبعاده عن محمد ﴿ﷺ﴾ وهى عن قول المسيح بعد القبض عليه لرئيس الكهنة كما ورد فى ذلك الحوار :

« فأجاب رئيس الكهنة وقال له استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله قال له يسوع أنت قلت وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء » (متى : ٢٦ : ٦٣ - ٦٤)

فهنا جعل المترجم رؤية الناس لابن الإنسان فى التو واللحظة مع القبض على المسيح والحكم عليه « من الآن تبصرون ابن الإنسان » ولكن النص فى نسخة الملك جيمس « فيمابعد سترون ابن الإنسان » .

وكما جاءت الآية ٦٤

"Jesus said to him, It is as you said, Nevertheless,I say to you, hereafter

you will see the son of Man sitting at the right hand of the power and coming on the clouds of heaven"

وهكذا نرى أن المسيح فى آخر عهده بالأرض يتوعد أعداءه بمجيء محمد (ﷺ) بالقوة ويزور فلسطين على السحاب كما نبأ بذلك القرآن :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ① ﴾ (١٧ : الإسراء : ١)

وهكذا يثبت المسيح فى بشارته « إنجيله » ما جاء فى القرآن عن زيارة محمد (ﷺ) الوحيدة إلى فلسطين بعد أن صار نبيا فقد أسرى به الله ليلا إلى هناك وكما قال المسيح عنه « وآتيا على سحاب السماء » صدق الله ورسله .

ثانيا : ابن الإنسان القوي في إنجيل مرقس

أشارت كل الأناجيل إلى ابن الرجل القوى الذى يتم معه تكوين ملكوت الله ونستعرض معا ما ورد عن ذلك فى بشارة مرقس :

١ - ابن الرجل « ابن الإنسان » القوى الذى يزور القدس على السحاب : أشار البشير مرقس نقلا عن السيد المسيح إلى ابن الرجل الذى يحشد القوات وتكون الملائكة ضمن قواته . كما أشار إلى كون محمد هو النبى الوحيد الذى سيأتى إلى القدس على السحاب وهذا ما نبأ به القرآن كما أشرت فى مناقشة نفس الموضوع كما أورده البشير متى فى بشارته « إنجيله » نقلا عن المسيح واليك ما أورده مرقس ناقلا عن المسيح من بشارة « إنجيل » عن محمد ﴿ﷺ﴾ القوى زائر القدس فى إسرائه .

« لأن من أستحى بى وبكلامى فى هذا الجيل الفاسق الخاطىء فإن ابن الإنسان يستحى به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين » (مرقس : ٨ : ٣٨)

فهذه الآية تشير إلى أن من أحس بالخزى والعار من المسيح وكلماته وبشارته فسوف يكون مدعاة للخزى عندما يأتى ابن الرجل - وليس ابن مريم - محمد ﴿ﷺ﴾ فى المجد الذى سيكون له من حكم وقوة ونصر من الملائكة وهذا هو ما أشار إليه القرآن مراراً .

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ (٢ : البقرة : ١٥ - ١٦)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٩٨ : البينة : ٦)

فهكذا كل من حرف رسالة المسيح وبشارته قد أخرجه القرآن من رحمة الله ودينه القويم ، كذلك من أنكره من اليهود.

كما أشارت تلك الآيات إلى قوة محمد ﴿ﷺ﴾ ومجده « وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحاب بقوة كثيره ومجد » (مرقس : ١٣ : ٢٦)

« فسأله رئيس الكهنة وقال أأنت المسيح ابن المبارك فقال يسوع أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء » (مرقس : ١٤ : ٦١ - ٦٢)

فالآية الأولى تشير إلى مجيء ابن الرجل بعد عصور الإضطهاد وهدم الهيكل وقيام أدعياء فى ديانة المسيح يبدلونها وتمام أزمنة الأمم « الروم » كما أشار المسيح إلى نبوءات دانيال عن أن من سيهزم الروم ويخرجونهم من القدس هى أمة الملكوت . ولم يفعل ذلك إلا المسلمون كل ذلك الوصف جاء فى الإصحاح الثالث عشر من مرقس كماجاء فى متى ولوقا وناقشناه من قبل فى إنجيل متى وسنناقش ما ورد عن ذلك فى بشارة المسيح كما أوردها لوقا ولكن فى كتاب « المسلمون فى إنجيل لوقا » ولكننا الآن بصدد مناقشة ما ورد عن قوة ابن الرجل الذى أجمعت أقوال المسيح على زيارته للقدس فوق السحاب ووضح القرآن ذلك عن محمد ﴿ﷺ﴾ وفى الآية الثانية نرى أن المسيح فى أشد حالات الضيق والكرب وهم يأسرونه إلى رئيس الكهنة يعزى نفسه ويتوعد رئيس الكهنة ومن معه بمجيء ابن الرجل فى القوة والمجد لكى ينصر الحق وينتقم لشهداء الحق وممن أستهزأ بالمسيح :

« ترنمى أيتها السموات وابتهجى أيتها الأرض لتشد الجبال بالترنم لأن الرب قد عزى شعبه وعلى بائسيه يترحم » (أشعياء : ٤٩ : ١٣)

« أشيدى ترنمى معاً يا خرب أورشليم لأن الرب قد عزى شعبه فدى أورشليم . قد شمَّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا »

(أشعياء : ٥٢ : ٩ - ١٠)

« كإنسان تعزيه أمة هكذا أعزيكم أنا وفى أورشليم تعزون . فترون وتفرح قلوبكم وتزهو عظامكم كالعشب وتعرف يد الرب عند عبيده ويحنق على أعدائه لأنه هوذا الرب بالنار يأتى ومركباته كزوبعة ليرد بحمو غضبه وزجره بلهيب نار . لأن الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتلى الرب » (أشعياء : ٦٦ : ١٣ - ١٦)

وإن كانت هذه هى قوة محمد ﴿ﷺ﴾ ابن الإنسان فكيف حاله مع رفاقه وأصحابه ذلك وصفه المسيح وصدّقه الواقع والقرآن فيما بعد كما فى الآيات التالية فقال المسيح :

« ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون عبداً للجميع لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت ليُخْدَم بل ليَخْدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مرقس : ١٠ : ٤٤ - ٤٥)

فهنا يوضح المسيح سلوك محمد ﴿ﷺ﴾ مع أصحابه فقد كان وليهم ونصيرهم أولهم فى الضيق واخرهم في اليسر يملك عليهم وتروى زوجاته بأكلهن التمر شهرين متواصلين دون أن يوقدن ناراً فى بيوتهن لإعداد أى طعام سوى التمر . ونصحه لابنته ﴿ﷺ﴾ بعدم لبس حلية من الذهب فكان أميراً عليهم زاهداً فى الدنيا طامعاً فى الآخرة إذا ذبح شاة تصدق بها إلا الذراع وإن تكلمت زوجه فى ذهاب الشاة كلها وبقاء ذراعها قال لها « ذهبت الذراع وبقيت الشاة » لذلك وصفه القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (٦٨ : القلم : ٤)

وعن لينه مع أصحابه :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾
(١٠٢ : آل عمران : ١٥٩)

لذلك لا عجب إن ضرب المسيح بأخلاقه المثل لأصحابه فقد كانوا جميعا مبشرين به فلا عجب إن تأسوا بخلقه عليه الصلاة والسلام .

ثالثا : ابن الإنسان القوي في لوقا

إتخذ المسيح ثلاثة محاور لوصف الخلافة الإسلامية هى :

١ – وصف ملكوت الله ووقت مجيئه ، وإنه سيكون فى أرض أخرى وأمة غير اليهود .

٢ – وصف أمور الرسول ﴿ﷺ﴾ بطريقة حكيمة . واصفا إياه بابن الرجل ليبين أنه المقصود بكلامه ليس المسيح نفسه كما أكد أيضا على وجود ابن إنسان « رجل » آخر سيتم صلبه وذلك ليبين أيضا أنه لن يصلب كما أشارت التوراة فى أشعياء (٥٣) وكما أشار القرآن .

٣ – وصف نقاط الإختلاف بين من سيحمل رسالته دون أن يفهمها وبين الأمة المقصودة بملكوت الله .

لذا نجد أن تركيز المسيح على أوصاف محمد ﴿ﷺ﴾ ووصف مختلف أموره جاء فى سياق كلام المسيح عن ابن الإنسان وساقها لنا إنجيل البشير لوقا كالتالى :

١ - نصيحة للتلاميذ بالتحمل لأجل محمد ﴿ﷺ﴾ :

جاءت وصايا المسيح لأتباعه بالصبر والتحمل والسهر من أجل مجىء ابن الإنسان فى أقواله التالية :

« طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان » . (لوقا : ٦ : ٢٢)

« فكونوا أنتم مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان » (لوقا : ١٢ : ٤٠)

« وقال للتلاميذ ستأتى أيام تشتهون أن تروا يوما واحداً من أيام ابن الإنسان ولا ترون . ويقولون لكم هوذا ههنا أو هوذا هناك . لا تذهبوا ولا تتبعوا . لأنه كما أن البرق الذى يبرق من ناحية تحت السماء يضىء إلى ناحية تحت السماء كذلك يكون أيضا ابن الإنسان فى يومه. ولكن ينبغى أن يتألم ويرفض من هذا الجيل وكما كان فى أيام نوح كذلك يكون أيضا فى أيام ابن الإنسان . كانوا يأكلون ويشربون ويتزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع . كذلك أيضاً كما كان فى أيام لوط كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون . ولكن اليوم الذى خرج فيه لوط من سدوم أمطر ناراً وكبريتاً من السماء فأهلك الجميع هكذا يكون فى اليوم الذى فيه يظهر ابن الإنسان . فى ذلك اليوم من كان على السطح وأمتعته فى البيت فلا ينزل ليأخذها . والذى فى الحقل كذلك لا يرجع إلى الوراء . اذكروا امرأة لوط من طلب أن يخلص نفسه يهلكها ومن أهلكها يحييها . أقول لكم إنه فى تلك الليلة يكون اثنان على فراش واحد فيؤخذ الواحد ويترك الآخر . تكون اثنتان تطحنان معا فتؤخذ الواحدة وتترك الأخرى . يكون اثنان فى الحقل فيؤخذ الواحد ويترك الآخر . فأجابوا وقالوا له أين يارب . فقال لهم حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور » (لوقا : ١٧ : ٢٢ – ٣٧).

« اسهروا وتضرعوا فى كل حين لكى تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون . وتقفوا قدام ابن الإنسان » (لوقا : ٢١ : ٣٦)

فنجد فى الآية الأولى أن تلاميذ المسيح سيعتبرونهم أشراراً أثناء تبشيرهم بابن الإنسان محمد ﴿ﷺ﴾ كذلك أيضا وصفوا المسلمين ومازالوا « طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا إسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان » (لوقا : ٦ : ٢٢)

فبشر المسيح أصحابه إذا حدث لهم هذا لعلمه أن أتباع محمد ﴿ﷺ﴾ سيحدث لهم نفس الشيء ممن حملوا إنجيله وصاروا أهله وغاب عنهم وصف المسيح لمحمد ﴿ﷺ﴾ وأمته لذا حذرهم من الغفلة وأن يفوت مجيء محمد ﴿ﷺ﴾ عليهم « وهذا ما حدث فعلا » ولم يوصهم بالحذر فقط بل بالسهر وعدم الغفلة « فكونوا أنتم مستعدون لأنه في ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان » (لوقا : ١٢ : ٤)

فأى بشير كان المسيح الذى صارت بشارته ونبوءاته عن المسلمين ، وعلاقة أهل إنجيله بهم معجزة نقرأها الآن كتاباً مفتوحاً تحققت كلمة بكلمة وسطرا بسطر فبينما نجد نحن المسلمين وصفه لنا دقيقا شاملا لا يجد أهل إنجيله أى تفسير آخرلكلام المسيح عن ابن الإنسان ومجيئه كل هذا لأنهم أنكروا محمداً ﴿ﷺ﴾ وماطلوا فصار حالهم أنهم يؤمنون بكتاب ويحملون بشارة لا يفهمونها لأنها تحققت أمام أعينهم وهم غافلون تماماً كتشبيهه لقوم نوح وقوم لوط الذين لهوا وتعاموا عن إنذار النبيين حتى جاءتهم الكوارث والهلاك وهكذا أهل الإنجيل تموت أجيال وراء أجيال دون الإيمان بمن يحقق التفسير الواضح لإنجيلهم فهل ينتظرون الساعة : هذا ما قاله القرآن :

هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

(٢ : البقرة : ٢١٠ - ٢١١)

أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

(٦ : الأنعام : ١٥٦ - ١٥٨)

وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

(٧ : الأعراف : ٥٢ -٥٣)

فنرى فى رد القرآن على من فسر ابن الإنسان بأنه المسيح كأقنوم لله بأن هؤلاء أينتظرون أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ومعه الملائكة هل يعقل عاقل هذا الكلام أن خالق المجرات والكون ذو الفضاء اللانهائى الملىء بالكواكب والأجرام فى مجموعاتها ومجراتها خالق هذا الكون سيركب سحاب الأرض ويأتى لهم ؟! بالطبع يمكن هذا التصور للإنسان البدائى الذى لا يعرف حجم خلق الله ومخلوقاته فى الكون اللانهائى أما فى عصرنا الحالى وبعد أن صار حجم الكون يمكن تصوره وتخيله عند أطفالنا لا نتخيل أن خالق هذا الكون تحمله سحابة ويمكن لأعيننا أن تراه فى هذه الصورة وهذا هو ما أنكره القرآن فى قوله :

هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٢١٠) سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)

(٢ : البقرة : ٢١٠ - ٢١١)

ومن قول المسيح : « وكما كان فى أيام نوح كذلك يكون أيضاً فى أيام ابن الإنسان . كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع » .

نرى بطلان ادعاءات أهل الإنجيل بمختلف طوائفهم

١ - إدعاء طائفة بأن ملكوت الله يكون بعد القيامة وفى السماء فتبين وتوضح أقوال المسيح هنا بأن ابن الإنسان سيمكث فترة على الأرض ومن بعده يمتد الملك كأيام نوح ويتزوج الناس ويأكلون ويشربون حتى يأتيهم الهلاك كما أتى فى أيام نوح مما يوضح بطلان ادعاءاتهم بأن ملكوت الله الذى بشر به المسيح سيكون فى السماء .

٢ - إدعاء الطائفة الكاثوليكية وغيرهم بأن كنيستهم هى مملكة الله : فأين ابن الإنسان الذى ذكره المسيح وأين ذهابه للقدس على السحاب وأين حربه بالسيف ومختلف الأمور التى شرحها الإنجيل عن مملكة الله وأنها شريعة جديدة ستطبق مشيئته على الأرض كما هى فى السماء ؟! .. بالطبع لا يوجد عندهم أى إجابة .

٣ - إدعاء أن المسيح هو المقصود بابن الإنسان ذلك الإدعاء أنكره المسيح كما أشرت من قبل فى إنجيل متى كما أنه يسىء أيضا للمسيح وأمه عليهما السلام كما أوضحنا من قبل . ومنعا للقيل والقال فقد كان قول المسيح عليه السلام فاصلاً قاطعاً فى أمر مجىء محمد

ﷺ وإعلانه عن نفسه وظهوره الذى ستعرفه كل الأرض تماما كالبرق فى السماء ولا يحتاج لاجتهاد جهابذه أهل الإنجيل ذلك الإجتهاد الذى تعارض بشدة مع قول المسيح بأن ظهور ابن الإنسان والملكوت سيكون واضحاً ويعلن عن نفسه كما أعلن القرآن قبل قيام دولة المسلمين بأنهم هم مملكة الله وأن مثلهم فى الإنجيل هو الزرع الجيد الذى يخرج الثمر والنتيجة المرجوة، وأخبر المسيح بوضوح عن ذلك عندما يأتى « وقال للتلاميذ ستأتى أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان ولا ترون . ويقولون لكم هوذا ههنا أو هو ذا هناك . لا تذهبوا ولاتتبعوا . لأنه كما أن البرق الذى يبرق من ناحية تحت السماء يضيء إلى ناحية تحت السماء كذلك يكون أيضاً ابن الإنسان في يومه ولكن ينبغى أولاً أن يتألم ويُرفض من أبناء هذا الجيل » .

فرفضه أهل الكتاب وصارت أيامهم كأيام نوح الآن يأكلون ويتمتعون إلى أن تأتيهم الساعة وفى تلك الأثناء تهلك الأجيال وراء الأجيال بحثاً عما يخفونه ويغطونه « يكفرون به » بأنفسهم وبأفواههم التى تأبى أن تشهد للحق وتريد أن تطفيء نور الله والله قد أتم نوره برغم ما كرهوه .

محمد ﷺ لا يكل ولا ينام حتي يظهر الحق

أوصى المسيح أتباعه بأن يرفعوا محمدا ﷺ ويعلوا من شأنه تماماً كما رفع موسى الحية النحاسية حتى لا يهلك المصابون منهم . وكان محمد ﷺ أسوة طلب المسيح من أتباعه التأسى بها لأنه أشد من سعى فى سبيل الله وكان دائم السعى قليل الراحة فقال عن ذلك المسيح :

« وفيما هم سائرون فى الطريق قال له واحد يا سيد أتبعك أينما تمضى فقال له يسوع للثعالب أوْجرة ولطيور السماء أوكار . وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه . وقال لآخر اتبعنى فقال يا سيد ائذن لى أن أمضى أولا وأدفن أبى . فقال له يسوع دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله . وقال آخر أيضا أتبعك ياسيد ولكن ائذن لى أولا أن أودع الذين فى بيتى . فقال له يسوع ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله » (لوقا : ٩ :٥٧ – ٦٣)

فيوضح المسيح فى تلك الآيات طريقة السعى فى ملكوت الله « الخلافة الإسلامية » من أول محمد ﴿ﷺ﴾ حتى صحابته ، فمحمد ﴿ﷺ﴾ كانت غزواته بمعدل يفوق الثلاث أو الأربع غزوات فى العام منذ هجرته إلى المدينة ولم يكن يمكث بالمدينة شهرين بل أقل من الشهر فى غالب الأحيان ثم يخرج غازياً .

وفى فترة إقامته كان يعلم دين الله للمسلمين ويؤمهم فى الصلاة ويحل لهم ما يطرأ من مشاكل ونزاعات فكان دؤوب العمل قليلاً ما يرتاح يصوم النهار ويقوم الليل فلك أن تتخيل غزوات وراء غزوات وما بين الغزوات توطيد للدين واقامته وإمامه فى الصلاة وصيام بالنهار وقيام بالليل وإعداد للغزوة القادمة فكان بحق كما وصفه المسيح « وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه » فالثعالب والطيور تأوى يوميا إلى سكنها ويبيتون نهاراً أو ليلا أما محمد ﴿ﷺ﴾ فليس له أن يبيت ليالى منتظمة أو يقيم أياماً هنيئة ولكنه دائم السعى والعمل .

وأما صحابته فقد ضرب المسيح المثل عنهم لاصحابة بأنهم أولى لهم ألا يدفنوا موتاهم أو حتى يأخذوا فرصة لتوديع ذويهم لأن السعى من أجل ملكوت الله أهم من ذلك « فقال له يسوع ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله » فواضع يده على المحراث يأمل فى الزرع والمال من ورائه فهو يرغب فى الدنيا والذى ينظر وراءه واضعاً يده على المحراث منهمك فى الدنيا بماضيه ومستقبله أى تشغله أمواله وأهله عن الدعوة وقد أشار المسيح بأن مثل ذلك الإنسان لا يصلح لملكوت الله وهذا ما نص عليه القرآن :

قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

(٩ : التوبة : ٢٤)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

(٩ : التوبة : ١١١)

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾

(٩ : التوبة : ١٢٠)

أما عن قوة محمد ﴿ﷺ﴾ وأنه الذى ينتظره المضطهدون المغلوب على أمرهم فى دينهم جاءت أقوال المسيح التالية لتصف ذلك :

« وحين تمت الأيام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم . وأرسل أمام وجهه رسلاً فذهبوا ودخلوا قرية للسامريين حتى يعدوا له . فلم يقبلوه لأن وجهه كان متجها نحو أورشليم . فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا يارب أتريد أن تقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضا . فالتفت وانتهرهما وقال لستما تعلمان من أى روح أنتما لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص فمضوا إلى قرية أخرى » .

(لوقا : ٩ : ٥١ - ٥٦)

« ثم دخل واجتاز وإذا رجل اسمه زكّا وهو رئيس للعشارين وكان غنياً وطلب أن يرى يسوع من هو ولم يقدر من الجمع لأنه كان قصير القامه . فركض متقدما وصعد إلى جميزة لكى يراه . لأنه كان مزمعاً أن يمر من هناك فلما جاء يسوع إلى المكان نظر إلى فوق فرآه وقال له يا زكا أسرع وانزل لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك . فأسرع ونزل وقبّله فرحاً . فلما رأى الجميع ذلك تذمروا قائلين إنه دخل ليبيت عند رجل خاطىء . فوقف زكا وقال للرب ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف . فقال له يسوع اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن ابراهيم . لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك » (لوقا : ١٩ : ١ - ١٠)

« ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها . حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال . والذين فى وسطها فليفروا خارجاً .والذين فى الكور فلا يدخلوها . لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم . وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم .

وتكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم .وعلى الأرض كرب أمم بحيرة . البحر والأمواج تضج . والناس يُغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتى على المسكونة لأن قوات السماء تتزعزع . وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير . ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤسكم لأن نجاتكم تقترب وقال لهم مثلاً انظروا إلى

شجرة التين وكل الأشجار متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب . هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب . الحق أقول لكم إنه لا يمضى هذا الجيل حتى يكون الكل .السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول . فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة . لأنه كالفخ يأتى على جميع الجالسين على وجه الأرض اسهروا وتضرعوا فى كل حين لكى تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدام ابن الإنسان » .

(لوقا : ٢١ : ٢٠ – ٣٦)

بالرغم من قوة محمد ﴿ﷺ﴾ وحروب الملائكة معه ضد أعدائه إلا أنه لم يأت لكى يهلك الناس بل لخلاص البشرية والمعذبين وحروبه لم تكن ضد الخطاه من البؤساء الذين دفعتهم ظروف معيشتهم وفرض مفاهيم ضاله عليهم . لكنه جاء ليوضح لهم وينقذهم من تلك المفاهيم أما عن حروبه وقوته فهى ضد من يفرض تلك المفاهيهم على ضعاف البشر من الناس كما حدث من إضطهاد لأتباع المسيح . ومحمد ﴿ﷺ﴾ لم يحارب هؤلاء المضطهدين ولكنه حارب الروم الذين فرضوا تلك المفاهيم على البشرية وهذا ما وضحه القرآن بأن المسلمين يقاتلون أئمة الكفر ومن حشدوا من الجيوش. وإن أراد أئمة الكفر أنفسهم السلام وامتنعوا عن محاربة المسلمين ودعوتهم كان فرضاً على محمد ﴿ﷺ﴾ وأتباعه الجنوح للسلم وقبوله وهذا ما توضحه الآيات الآتية :

فعن محاربة المسلمين لقادة الكفر وأبواقه الداعين له :

وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾

(٩ : التوبة : ١٢)

وفى عدم محاربة من لا يحارب المسلمين حتى ولو كان مشركا وإعطائه الفرصة حتى يسمع الدعوة ويفهم الإسلام وبعد ذلك يختار الإسلام أو المكان الآمن له بالرغم من كفره وعدم دخول الإسلام : وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ (٩ : التوبة : ٦)

فتشير الآية إلى احترام العقل البشرى وإعطاء الفرصة له حتى يفهم وإن ظل بعد تفسير الدعوة وكلام الله له على ما عنده من كفر فيجب على المسلمين حمايته حتى يصل لمكان يعيش

فيه مع معتقداته ويحرم على المسلمين فرض الإسلام على الناس بالقوة ، أو إكراههم عليه :

لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (٢ : البقرة : ٢٥٦)

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ (١٨ : الكهف : ٢٩)

فالنص القرآنى يلزم المسلمين بعدم إكراه البشر على الإسلام بل جعل الله للناس الخيار فى أمر قبول الدعوة أو رفضها وحسابهم عند الله.

إن دين الإسلام دين سلام ويقبله فى أى وقت حتى أثناء الحروب وأن ذلك ليس فيه خيار للمسلمين بل فُرض عليهم من الله قبول السلام حتى اثناء الحرب . أكثر من ذلك جعل الله كلمة السلم مرادفاً للإسلام وطلب من المؤمنين الدخول فيهما :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾

(٢ : البقرة : ٢٠٨)

وفى أن السلام فُرض على المسلمين قبوله حتى ولو فى حرب مع المشركين ويتفوق فيها المسلمون يقول الله تعالى :

وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

(٨ : الأنفال : ٥٩ - ٦١)

وهكذا حلّت الآيات القرانية المشكلة التى توجد عند مطالعة الإنجيل عن ابن الإنسان القوى الذى يحارب ولكنه جاء ليخلص الهالكين لا ليعذبهم ، فكما أشار المسيح عند رفض السامريين له بأن ابن الرجل « محمد ﷺ لم يأت ليهلك الناس » فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا يارب « ياسيد أو يا معلم » أتريد أن تقول أن تنزل ناراً من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً . فالتفت وانتهرهما وقال لستما تعلمان من أى روح أنتما لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلّص . فمضوا إلى قرية أخرى » .

وهكذا وضح المسيح للتلاميذ أن محمداً ﷺ لم يأت لهلاك حتى من كفر به كما كفر السامريون بالمسيح ولكنه سيبلغهم مأمنهم ويترك من كفر به إذا لم يحاربه ولم يمنعه من

الدعوة إلى دينه والله يحاسبهم :

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
(٩ : التوبة : ٦)

ومحمد ﴿ﷺ﴾ لم يأت ليتبرأ من الخطاه بل ليدعوهم للإسلام فيقلعوا عن خطاياهم وهكذا ينقذ الهالكين وهذا ما أشار إليه المسيح فى قصته مع زكا العشار[1] الذى يعتبره اليهود خاطئاً إذ يبيع أهله اليهود للروم ويوشى بهم وكانت دعوة المسيح له حافزاً للتوبة وضرب المسيح بتوبة زكا المثل لمحمد ﴿ﷺ﴾ابن ابراهيم أيضاً كالمسيح « من جهة أمة » وزكا كيهودى « اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن ابراهيم . لأن ابن الإنسان قد جاء يطلب ويخلص ما قد هلك » .

فيشير المسيح إلى أن ابن الرجل سيكون من أبناء ابراهيم أيضا مثل زكا العشار . والقرآن يشير إلى دعوة البشر خيارهم وشرارهم للإسلام وهكذا يكون الجميع صالحين :

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ (٣٤ : سبأ : ٢٨)

وباب التوبة مفتوح على مصراعيه فى الإسلام ويكاد لا يكون لها باب فهى متاحة لمن أراد ليلاً ونهاراً والله يفرح بتوبة عباده ويغفر لهم ما سلف بل ويبدل سيئاتهم حسنات إذا داوموا على العمل الصالح بعد توبتهم :

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ (٢٠ طه : ٨٢)

إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾
(١٩ : مريم : ٦٠)

إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾
(٢٥ : الفرقان : ٧٠)

ويسوق المسيح المثل عن معرفة ابن الإنسان عند مجيئه ويوضح أنه سيأتى بعد خراب الهيكل « ٧٠ م » وشتات اليهود « ١٣٥ م » وبعد ذلك يتم زمان إقامة الأمم من روم وإغريق فى

---

(١) فى الحقيقة هو جامع الضرائب للرومان وليس عشور الزكاه المفروضة علي اليهود التى يؤدونها للاويين فكان يؤدى للرومان لا للهيكل وخدمه .

أورشليم حتى يأتى محمد ﴿ﷺ﴾ بعلامته وهى الزرع المثمر كما قال القرآن :

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ (٤٨ : الفتح : ٢٩)

وقد قال المسيح عن ذلك :

« وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً فى سحابة بقوة ومجد كثير . ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤسكم لأن نجاتكم تقترب وقال لهم مثلاً انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار . متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب » .

فنبوءة المسيح هنا دقيقة للغاية فبعد مجيء محمد ﴿ﷺ﴾ إلى القدس فى سحابة الإسراء إقتربت نجاة المؤمنين لأنها تمت فى عهد عمر الذى هزم الأمم التى اضطهدت أتباع المسيح . وكانت الإشارة فى الإنجيل هى نفس الرمز فى القرآن الزرع المثمر من أى نوع « انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار متى أفرخت » .

محمد ﴿ﷺ﴾ ينصر المسيح والمسيح ينصر محمدا ﴿ﷺ﴾

جاء المسيح ليبشر بمحمد ﴿ﷺ﴾ وأمته وكان فى كل لحظة ومع كل معجزة يذكر محمداً ﴿ﷺ﴾ تارة ليوضح الشريعة التى سيجيء بها وتارة ليوضح نبوءات العهد القديم بهما وهكذا صار المسيح أكبر داعية لرسالة محمد ﴿ﷺ﴾ وصاحب البشارة « الإنجيل » بمحمد ﴿ﷺ﴾ وكان المسيح يعرف أن تمام رسالته هى مجيء محمد ﴿ﷺ﴾الذى يعرِّف الناس حقيقة المسيح كما نبأت التوراه بذلك فى أشعياء (٥٣ : ١١)

« وعبدى البار بمعرفته يبرر الكثيرين » وهكذا يكون نصر محمد ﴿ﷺ﴾ للمسيح فمن شعر بالخزى والحياء من اليهود وغيرهم من اتباع رسالة المسيح وبشارته « إنجيله » فهذا الذى يشعر محمد ﴿ﷺ﴾ والمسلمون بالخزى منه لأنه عرف بشارة « إنجيل » المسيح ولم يتبعه فقال المسيح :

« لأن من استحى بى وبكلامى فبهذا يستحى ابن الإنسان متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين » (لوقا : ٩ : ٢٦)

نبوءة مزدوجة بحرب الملائكة مع محمد ﴿ﷺ﴾ وشعوره بالخزى من الرافضين من اليهود والنصارى وسيشهد محمد ﴿ﷺ﴾ عليهم بما أنكروه كما نبأ المسيح بذلك :

« وأقول لكم كل من اعتراف بى قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله ومن أنكرنى قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله . ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له . وأما من جدّف على الروح القدس فلا يغفر له » (لوقا : ١٢ : ٨ - ١٠)

فاليهود أنكرو المسيح واستنكر القرآن موقفهم من محمد ﴿ﷺ﴾ والمسيح :

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ (٤ : النساء : ١٥٦ - ١٥٧)

وأشار المسيح إلى القاعدة الإسلامية فى دعوة أهل الكتاب لعبادة الله وحده وعدم اتخاذ المسيح إلها مغيرين ومبدّلين ما فى الإنجيل الذى أوضح المسيح فيه أنه عبد الله ورسوله وليس إلها ولكنهم حرّفوا ما أنزل الله « جدفوا على الروح القدس » فقد أضافوا لعقيدتهم ألوهية المسيح وهذا هو ماأسماه المسيح بالتجديف على الروح القدس وأشار بأن هؤلاء لن يغفر الله لهم : « ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له . وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له » فالقرآن طالب أهل الكتاب بالبقاء على دينهم مع عبادة الله وحده وعدم الإعتراف بمحمد ﴿ﷺ﴾ إذا استكبروا عن ذلك ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له » فإن أنكروه « وهذا منكر » فعلى الأقل يعبدوا الله

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ (٣ : آل عمران : ٦٤)

إلا أن المسيح قد حذر من رفض محمد ﴿ﷺ﴾ لانه آية لأتباعه كما كان المسيح آية لهم أيضا ويونان لأهل نينوى :

« لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضا لهذا الجيل ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع رجال هذا الجيل وتدينهم لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان وهوذا أعظم من سليمان ههنا . رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداه يونان وهوذا أعظم من يونان ههنا » (لوقا :١١ : ٣٠ - ٣٢)

فالمسيح بحكمته البالغة التى أشرت إليها من قبل كان عظيما وأعظم من يونان وسليمان. وأهل نينوى آمنوا بيونان فلم يهلكوا وقارن المسيح بينه وبين يونان ومحمد ﴿ﷺ﴾فى أنهم

جاءوا لينذروا من قبل أن يأتي العذاب فمن آمن بهم كان له السلامه وإلا فقد أدان نفسه بظلم وذنب وكفر عظيم . كما قارن بين حكمته وحكمة سليمان وأضاف أن أهل نينوى سيشهدون على اليهود كما يشهد عليهم المؤمنين برسالات الله كملكة سبأ - التى جاءت لتنصت لحكمة سليمان - وأعرض اليهود وآخر كلام المسيح عن محمد ﴿ﷺ﴾ ابن الرجل يوضح أن محمداً ﴿ﷺ﴾ كان هو السلوى للمسيح عندما رفضه اليهود وقد كان أثناء دعوة المسيح الخاطر الملح فى ذهنه فإن شفى مريضاً قال « إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » وإن أمر بمعروف أو بشّر بالمغفرة تذكر محمداً ﴿ﷺ﴾ وذكر بأنه أيضا سيقر أن المغفرة تعطى بالدعاء « ذلك لتعلموا أن لابن الإنسان سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا » فصار محمد ﴿ﷺ﴾ هو ما يشغل ذهن المسيح لأنه جاء خصيصاً ليبشر به « ينبغى أن أسير اليوم وغداً لأبشر المدن الأُخر بملكوت الله لأنى لهذا قد أرسلت » وفى آخر أيامه على الأرض وهو بين يدى كهنه اليهود مقبوضا عليه إذا به يقول :

« وإن سألت لا تجيبونى ولا تطلقونى . منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة»
(لوقا : ٢٢ : ٦٩)

فلا يهم ما يفعله الكهنة به لأنه قد بلغ رسالته بالحكمة ووضحها وجعل محمداً ﴿ﷺ﴾ عن يمين القوة فى أن أمره لا يختلف اثنان ذوا عقل عندما يقرآن كيفية وصف المسيح له ولأمته فوصف المسيح له جعله يكاد يكون مرئياً ومنظوراً أو بمعنى أخر رسم له المسيح بكلماته صورة واضحة ومفصلة جعلتهم يرونه فى أقوى حجة وبينة فصار جالساً على قوه الحجة والبيان ، وقد أشرت للتحريف الواقع فى الترجمة (منذ الآن) فى شرح المعنى نفسه فى إنجيل متى .

ابن الإنسان عند يوحنا

أورد يوحنا وصفاً واحداً لابن الإنسان محمد ﴿ﷺ﴾ ولم ينص كباقى البشيرين لوقا ومتى ومرقس على صلب ابن الرجل بدلاً من المسيح ابن مريم ولكنه ذكر بطريقة فقهيه يهوديه على أن المسيح لم يمت ولم يدخل القبر فى نصه بأن مريم المجدلية نزلت القبر ولكنها لم تجد المسيح ورأته واقفا خارج القبر وطلب منها عدم لمسه لكى لا تنجسه أى أنه كان طاهراً ولم

يمت لأن الميت نجس عند اليهود ومن لمسه يتنجس فكون المسيح طاهراً وخارج القبر يعني إنه لم يدخله أبداً . وبمطالعة إنجيله نجده يورد وصف المسيح لابن رجل واحد ذو مكانة عالية يصعد إلى السماء « في معراجه » وينبغي على اليهود أن يوقروه ويرفعوه ليذهب عنهم الشرك والكفر فهو الرقيه والتقيه من الشرك تماماً كما كانت الحية النحاسية ترقى وتشفى من نظر إليها من مصابي اليهود أثناء رحلتهم من مصر إلى فلسطين . وأورد أيضا شهادة ابن الرجل على الأمم وإدانته لكفارهم وأنه أيضاً يعطيهم غذاءً روحياً يؤدي بهم إلى الخلد والحياة الأبدية في الفردوس كما أورد مشكلة فهم ابن الإنسان حتى على بعض التلاميذ وأورد شغف المسيح بمجيء محمد ﴿ﷺ﴾ابن الرجل الذي سيوضح حقيقة المسيح .

المسيح وعروج محمد ﴿ﷺ﴾ إلي السماء

أول ما بدأ المسيح الحديث عن ابن الرجل كما نقل عنه يوحنا نجده يقول عن معراجه :

« إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف إن قلت لكم السماويات . وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء . ابن الإنسان الذي هو في السماء » .

(يوحنا : ٣ : ١٢ : ١٣)

يخبر المسيح سامعيه بأنهم لا يؤمنون ببشارته المبسطة عن أمور محمد ﴿ﷺ﴾ وملكوت الله فكيف إن أخبرهم بالأمور التي يصعب تصديقهاإلا على المؤمنين مثل عروج محمد﴿ﷺ﴾ وكونه الوحيد الذي صعد إلى السماء وأخبر بما رآه أهل الأرض . ولم يفعل ذلك من البشر إلا محمد ﴿ﷺ﴾ ... وإن إدعى بولس ذلك في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (١٢ : ١ - ٦)

« إنه لا يوافقني أن أفتخر فإني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته . أعرف إنساناً في المسيح قبل أربع عشرة سنة أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم . الله يعلم . اختطف هذا السماء الثالثة . وأعرف هذا الإنسان أفي الجسد أم خارج الجسد لست أعلم . الله يعلم . إنه اختطف إلى الفردوس وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها . من جهة هذا أفتخر ولكن من جهة نفسي لا أفتخر إلا بضعفاتي » .

فهكذا يورد بولس أنه صعد « لم يعرج » إلى السماء فهل هو ابن الإنسان ذو القوة والمجد بالطبع بولس نفسه كان لا يعرف إلا المسيح كابن رجل « وبالطبع المسيح لم يكنْ ابنا لأي

رجل» ومن قول المسيح:

« ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء » نعرف درجة صدق بولس لأن المسيح كان يصف أن ابن رجل مازالت روحه فى السماء أى لم يولد بعد . وبالطبع كان بولس فى ريعان شبابه ويعيش على الأرض عندما قال المسيح ذلك وبالتالى المسيح نفسه يخبرنا بأن بولس لم يصعد لا بالروح ولا بالجسد إلى السماء والله أعلم إن كان بولس يعلم أنه لم يصعد إلى السماء أم أنه رأى حلماً وظن أنه فى السماء فكل الناس يحلم بأنهم يطيرون ولم يدعوا أنهم رسل .

أما عن قول المسيح « ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء » . وبمطالعة أقوال يوحنا عن المسيح فى الولادة من السماء وأن الناس لابد أن يولد من فوق أى إنسان سماوى مولود من السماء أى مولود بتأييد وبر سماوى تمنى المسيح لأتباعه أن يولدوا من السماء كما فى حديثه مع نيقوديموس فى الإصحاح الثالث من يوحنا .

ويؤكد المسيح على أن الإيمان بعروج محمد ﴿ﷺ﴾ هو مبلغ قوة الإيمان والتصديق به هو علامة الإيمان الحقه فيقول لتلاميذه :

« فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم أهذا يعثركم . فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً . الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئاً » .

(يوحنا : ٦ : ٦١ : ٦٣)

فتلاميذ المسيح عندما نبأ المسيح من لا يؤمنون به أنهم سيأكلون ما يعتقدونه جسده ويشربون دمه انصرف بعض التلاميذ عنه (يوحنا : ٦ : ٦٦)

« من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه » .

فالمحنة تظهر المؤمن القوى فكان حديث المسيح عن العشاء الربانى عند من سيغالى فى أمره جاعلونه إلهاً ذلك الحديث استغربه بعض تلاميذ المسيح ولم يتصوروا أن يصل الأمر لهذه الدرجة فأخبرهم المسيح إن لم يصدقوا هذه النبوءه فكيف يصدقون نبوءته عن محمد ﴿ﷺ﴾بأنه سيعرج إلى السماء وبرزخ أرواح الأنبياء التى كانت روح محمد ﴿ﷺ﴾ فيه قبل أن يولد وينزل الله روحه « كأرواح جميع البشر للأرض » فقال المسيح لتلاميذه إن كانت نبوءتى عن العشاء الربانى تعثركم فكيف إذا قلت لكم عن عروج ابن الرجل « لا ابن مريم »

إلى السماء حيث كانت روحه أولاً وكانت فعلاً هذه النبوءة صعبه حتى فى أيام محمد ﴿ﷺ﴾ ولكن ابا بكر أجاب على المستهزئين بخبر عروج محمد ﴿ﷺ﴾ قائلا :

« إن قال ذلك فقد صدق » وبالفعل ارتد بعض المسلمين عن محمد ﴿ﷺ﴾ عند إخبارهم بخبر الإسراء والمعراج فعن الإسراء قال القرآن ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ① ﴾ (١٧ : الإسراء : ١)

وعن المعراج قال القرآن :

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ⑭ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ⑮ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⑱
(٥٣ : النجم : ٨ – ١٨)

وقّروا محمداً(ﷺ) وارفعوه

جاء أمر المسيح لأتباعه بتوقير محمد ﴿ﷺ﴾ وتعظيمه ورفعه نصب أعينهم حتى لا يضلوا ويموتوا من وسوسة الشيطان « فضرب مثلا بالحية النحاسية التى أمر الله موسى أن يصنعها ويحملها اليهود فوق رؤوسهم وينظر إليها من لدغته حيات الصحراء فيشفى بمجرد رؤيته للحية المرفوعة فوق الرؤوس وهكذا فإن آمنوا بمحمد ﴿ﷺ﴾ ووقروه فسوف يشفون من الضلال والكفر فقال المسيح عن ذلك :

« وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به » (يوحنا : ٣ : ١٤)

فهنا رفع محمد ﴿ﷺ﴾ هو الإيمان به ولا يهلك من يفعل ذلك وهذا ما نص عليه القرآن :

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ⑧ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ⑨
(٤٨ : الفتح : ٨ – ٩)

وأوضح المسيح أيضا أن محمدا ﴿ﷺ﴾ هو مسيح أيضا بالنبوءة والحكم ودعاه مسيحاً ولن يبقى إلى الأبد ولكنهم يجب أن يرفعوه ويوقّروه .

« فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد فكيف تقول أنت إنه

ينبغى أن يرتفع ابن الإنسان من هو هذا ابن الإنسان » .

تلك الآية توضح أن المسيح أخبرهم بأن محمد ﴿ﷺ﴾ الممسوح بالحكم والنبوة لن يبقى للأبد ولكن رسالته وأمته سيبقون إلى يوم القيامة كذلك توضح صعوبة فهم معنى ابن الإنسان على معاصريه . وعن أن محمداً ﴿ﷺ﴾ هو الوحيد الذى سيُعرِّف الناس حقيقة المسيح بعد ضلالهم جاء طلب المسيح منهم أن يوقروا محمدا ﴿ﷺ﴾ ويرفعوه لأنه هو الذى يعرفهم من هو المسيح « فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسى بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى » (يوحنا : ٨ : ٢٨)

فهنا يشرح المسيح لمعارضيه ومن لم يفهموا « كسياق الآيات فى يوحنا » أنهم متى رفعوا محمدا ﴿ﷺ﴾ وامنوا به سيعلمون أن المسيح ليس هو الله وأنه لا يفعل شيئاً من نفسه لأنه رسول وأن الله يعلّمه فهكذا غلبت حكمة يوحنا جهالة من إدعى أن يوحنا هو الذى نص إنجيله على لاهوت المسيح . وأضاف يوحنا أقوال المسيح بأن محمدا ﴿ﷺ﴾ سيعطيهم الكلام الذى يكون غذاء الروح وطعاماً للآخرة وحياة الخلد .

« إعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان » .

(يوحنا : ٦ : ٢٧)

فينهى المسيح فى تلك الآية اليهود عن إيمان الوجبات « سبق شرحه » ويسألهم بالإرتفاع عن الماديات والإيمان بكلام محمد ﴿ﷺ﴾ الذى يحييهم وهكذا أمر القرآن أيضاً :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ (٨ : الأنفال : ٢٤)

وقد دعا المسيح محمدا ﴿ﷺ﴾ ابناً للمسيح لأنه سيأتى من بعده فأخبر بذلك عندما أخبر بأن محمدا ﴿ﷺ﴾ سيكون شاهداً يدين من كفر :

« لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الإبن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان » (يوحنا : ٥ : ٢٦ – ٢٧)

فهكذا يوضح المسيح أن كلام محمد ﴿ﷺ﴾ يحيى الناس الذين يعيشون موتى بلا إيمان ، فالإيمان هو الحياة والمؤدى للحياة الأبدية كماجاء فى الآية

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ (٨ : الأنفال : ٢٤)

كما أشار المسيح أيضا لإدانة محمد ﴿ﷺ﴾للكفار وشهادته بذلك .

وكعادة الأناجيل فالمسيح يردد فى أوقات الشده عزاءه بمجىء محمد ﴿ﷺ﴾فقال :

« قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير » (يوحنا : ١٢ : ٢٣)

فمحمد ﴿ﷺ﴾ سيقع فى الأرض الصالحة التى تؤتى بثمر أيضا بعد وفاته فانتشر الإسلام فى العالم على يد أصحابه .

وكان المسيح يعرف أنه برفعه ستتم الأحداث التى يكون محمد ﴿ﷺ﴾ ذروتها فقال:

« فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت قال يسوع :

« الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه إن كان الله قد تمجد فيه فإن الله سيمجده فى ذاته ويمجده سريعاً » (يوحنا : ١٣ : ٣١)

فبعد أن أخذ يهوذا الإسخريوطى اللقمة من المسيح وخرج ليخونه عرف المسيح أنه سيرتفع وذلك ضمن مجريات الأمور قبل مجىء محمد ﴿ﷺ﴾ الذى ينتظره المسيح ويكاد يعد اللحظات والأحداث التى تقرِّب من مجىء محمد ﴿ﷺ﴾.

تم بحمد الله

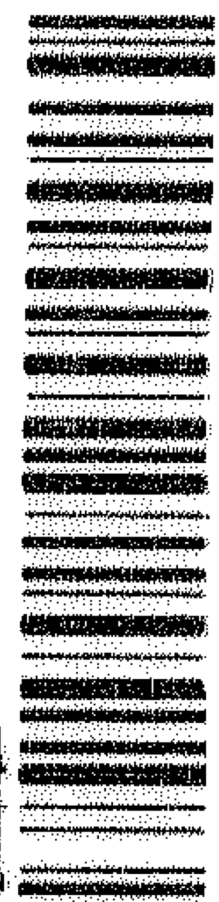
الفهرس

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾

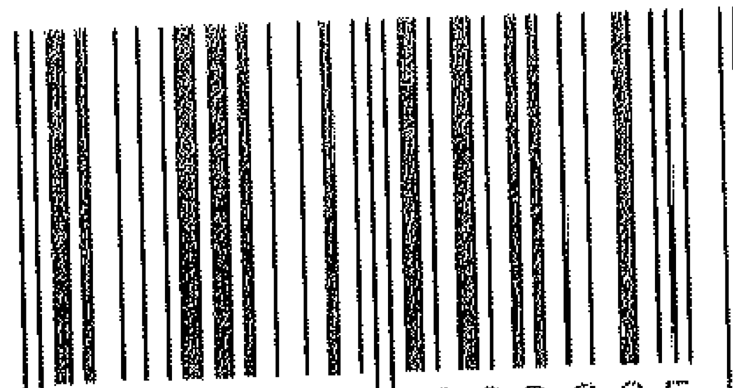


مملكة السموات

المسلمون فى إنجيل متى



I.S.B.N. 977-19-9280-5



مكتبة النافذة